مراجعات قرآنية

أسئلة شبهات وردود

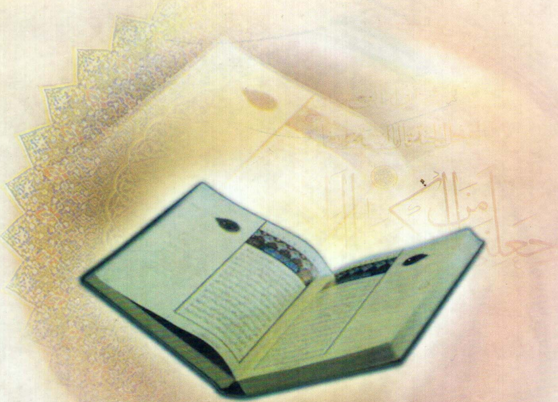

السيد رياض الحكيم

دار الهلال

مراجعات قرآنية

مراجعات قرآنية

أسئلة شبهات وردود

بقلم

السيد رياض الحكيم

دار الهلال

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

اسم الكتاب .... مراجعات قرآنية/ أسئلة، شبهات وردود
المؤلف.. السيد رياض الحكيم
المطبعة .... ستاره
العدد .... ٣٠٠٠ نسخه
الناشر .... دار الهلال

ISBN: 964-8276-29-3

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾.

شغل القرآن الكريم مساحة واسعة من بحوث ودراسات الباحثين على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والثقافية، ومن ناحية أخرى يشكّل المحور الرئيسي لاهتمام المسلمين باعتباره الثقل الأكبر الذي خلّفه لهم نبيّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قبل رحيله، فعكفوا على دراسته والتمعن فيه، كما تصدى علماء المسلمين ومفسّروهم للإجابة على ما أثير حول آياته من تساؤلات وشبهات في مجالات شتى.

وبموازاة اهتمام الطبقات المثقفة بالقرآن الكريم وإقبالهم عليه ـ تزامناً مع الصحوة الإسلامية التي يشهدها العالم المعاصر ـ تزايد تكالب أعداء الإسلام على الطعن في كتاب الإسلام الخالد ومعجزته الكبرى من خلال تشكيك المسلمين بكتابهم وإثارة الشبهات حول آياته.

ومن هنا ارتأيت القيام بمراجعة متأنية وشاملة للقرآن الكريم، وجمع التساؤلات والشبهات التي أثيرت أو قد تثار لدى القارئ المثقف، والإجابة عنها بما يتيسّر لي من خلال مراجعة النصوص أو المصادر التفسيرية أو ما

ترجّح في ذهني، مشيراً إلى الوجوه والدلائل الترجيحية ـ من دون أن أدعي أنها تمثل الحقيقة القرآنية، بل إن اصبت فذلك من فضل ربي وإن اخطأت فمن نفسي ـ متجنباً في كل ذلك البحوث المعمّقة والتفصيلية، وما أبتغيه هو المساهمة في نشر وتعميم الثقافة القرآنية على نطاق واسع بين الأفاضل في الحوزة العلمية والمبلّغين الدينيين، وكذلك الأوساط الجامعية المهتمة بالشأن القرآني. سائلاً الباري تعالى أن يغفر لي الهفوات وأن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن، إنه سميع مجيب.

رياض الحكيم

١٤٢٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

س ١ ـ يتردد في كلام كثير من المسلمين أن القرآن دستور الإسلام، مع أن المعروف أن يقتصر الدستور على القوانين الرئيسية العامة ويخلو من التكرار والإعادة بينما نجد القرآن يتضمن بعض الأحكام الفرعية والقضايا الجزئية ويشتمل على تكرار الموضوعات والقصص، مما لا ينسجم مع طبيعة الدساتير، فما هو الدور والمهمة التي يؤديها القرآن الكريم؟

ج ـ القرآن الكريم كتاب إلهي تميّز بمجموعة من الخصائص والأدوار، لعل أهمها هي..

١ ـ إنه أحد المرجعين الرئيسيين للمسلمين، في معرفة أصول دينهم وتعاليمه إلى جانب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما قال تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ وقد جعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أحد الثقلين اللذين خلّفهما لأمته بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم، كما أكده حديث الثقلين المعروف: «إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1].

(١) يراجع المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٣/ ١٠٩، وأخرجه الذهبي، واعترف كلاهما بصحته على شرط الشيخين.

٢ ـ إنه معجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام الخالدة التي تحدى بها البشرية وغيرها على مرّ العصور: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[1] بل تطور التحدي إلى الإتيان بسورة مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2][3].

٣ ـ تثبيت المؤمنين وتوثيق ارتباطهم برسالة السماء من خلال ارتباطهم الروحي والنفسي بهذا الكتاب الذي تحوّل الى الرمز الأبرز للإسلام، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[4]. فان شعور المسلم بوجود كتاب ربّه بين يديه يقوّي ارتباطه بربّه وبعقيدته وتعاليم دينه، ولذلك نلاحظ المكانة المتميّزة للقرآن الكريم في نفوس المسلمين في كل عصر.

وقد ساهم حجم القرآن الكريم ولغته التي تنسجم مع كل المستويات في اهتمام كل المسلمين به قراءةً وتدبّراً وتفهّماً وتقديساً، ومن هنا نعرف الحكمة من عدم جمعه لكل التفاصيل الفقهية والتعاليم الإسلامية الأخرى، لأنّه بذلك يتحوّل الى كتاب موسّع بمجلّدات كثيرة فيقتصر حضوره على رفوف المكتبات الخاصة للعلماء والباحثين، ويفقد بذلك

---

(١) سورة الإسراء: ٨٨.

(٢) سورة يونس: ٣٨.

(٣) لمعرفة جوانب من وجوه الإعجاز القرآني يراجع كتاب «علوم القرآن ـ دروس منهجية» للمؤلف: ص ١٤.

(٤) سورة النحل: ١٠٢.

رمزيته ومساحته وبُعده الشعبي العام.

٤ ـ إنه مَعلم شامخ لثقافة الإسلام وتعاليمه وأحكامه يحول دون مسخ وتحريف الهوية الإسلامية الأصيلة، وذلك إن المبادئ والأديان تتأثر بثقافات الأمم والنظريات المخالفة ولا تصمد عادة أمام أعاصير الزمن وتحولاته، ولذلك نلاحظ المدى الواسع للتشويه والمسخ الذي عانت منه الأديان السابقة بسبب انعدام النسخة الأصلية المعتمدة لكتبها السماوية، حتى شمل أهم ركن فيها وهي عقيدة التوحيد.

وهنا نعرف أهميّة اشتمال القرآن على بعض الأحكام الفقهية والفرعية والتعاليم والجزئيات الثقافية المتنوعة وعدم اقتصاره على أُسس العقيدة والقوانين الرئيسية، لأن وجود نص قرآني واضح يتناول تلك المفردات والجزئيات في المجالات المختلفة يكون داعماً قوياً لما تضمنته النصوص الحاكية عن السُنّة المشتملة على باقي التفاصيل، ومانعاً من تخرّصات وآراء وتحليلات متأثرة بثقافات أجنبية، تمس الكيان الثقافي الإسلامي وتمسخ محتواه.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنها ستكون فتن. قلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه خبر ما قبلكم وما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به الأهواء..[(١)].

٤ ـ إن القرآن الكريم لا يقتصر على سرد القوانين والتعاليم الإسلامية ضمن قوالب قانونية جافة، بل يؤدي دور وسيلة الإعلام المؤثرة التي تتناغم مع مشاعر الناس وعواطفهم من خلال اسلوبه المتميز في الفصاحة والبلاغة والتأثير، ولعلّه لذلك ورد الحث على الإكثار من حفظه

(١) المختصر النافع: ١٧، وقريب منه في سنن الدارمي: ٢/ ٤٣٥.

وقراءته، وقد أشار إلى هذا الدور قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [١] وهنا تبرز أهمية التكرار وتنّوع الأساليب القرآنية وحيويتها، للتكيف مع مخاطبة مختلف المستويات وضمان الفاعلية والتأثير في كل الظروف.

٥ ـ إن القرآن الكريم ـ بالإضافة إلى كونه كتاباً دينياً ـ كتاب علمي دقيق يصلح مرجعاً للعلماء والباحثين على مرّ العصور، ولذلك لا نستغرب من اشتماله على كم ضخم من المفاهيم والبحوث العلمية الدقيقة والمعمّقة، في مجالات علمية متنوعة، قد لا يكون بعضها دينياً بالمعنى الضيّق. ولذلك ورد التأكيد على التدبر والتعمق في أغواره باعتباره مرجعاً للعلماء والباحثين. ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتحدث عن القرآن: «... وله ظهر وبطن، فظاهره حكمة وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعروف لمن عرف النصفة، فليرعَ رجل بصره...» [٢].

وهناك بحوث مفصلة حول أهمية القرآن الكريم ودوره نوكلها إلى فرصة أخرى ان شاء الله تعالى.

---

(١) الحشر: ٢١.

(٢) مقدمة الميزان: ١/ ١٢.

سورة الفاتحة

س ٢ ـ لماذا تسمى هذه السورة بالفاتحة وبأم الكتاب وبالمثاني؟

ج: ـ ذكرت عدة وجوه لتسمية السورة بالفاتحة:

منها: أن الفاتحة بمعنى الأولى، وهذه السورة أول سورة كاملة نزلت.

ومنها: أنها تفتتح بها القراءة في الصلاة.

ومنها: أنها تفتتح بها المصاحف. وعلى هذا الوجه تكون هذه التسمية من الشواهد على أن جمع القرآن في مصحف كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنها كانت بداية ذلك المصحف المجموع في عصره، بناء على ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم من التسمية المذكورة، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قال الله عزّ وجلّ: قسّمتُ فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل...» (١).

٢ ـ وأما التسمية بأم الكتاب فإما باعتبار أنها متقدمة على سائر السور. والعرب تسمي كل أمرٍ جامع أو متقدّم لما يتبعه «أُمّاً» أو باعتبار ان هذه السورة أصل القرآن و لبّه، لأن نصفها مرتبط بالله تعالى وتحميده وتمجيده، ونصفها متعرض لشأن العبودية له تعالى، كما أشارت إليه الرواية المتقدمة.

---

(١) الميزان: ١ / ٣٩، نقلاً عن عيون أخبار الرضا.

٣ـ وأما التسمية بالمثاني فباعتبار أنها تثنّى في كل صلاة، وقيل: لأنها نزلت على النبي صلى الله عليه وآله مرتين.

وقد تسمى هذه السورة السبع المثاني باعتبار أن آياتها سبع.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(١).

س ٣ـ ما معنى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ؟

ج ـ هناك وجهان في تفسير البسملة:

الأول: أن المقصود الاستعانة بالله تعالى، والمعنى أستعين بالله ـ واضيف لفظ «الأسم» باعتبار اتحاد الاسم والمسمّى كما قال لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر[١]

«وفي الحديث عن الإمام العسكري عليه السلام: «بسم الله» أي استعين على أموري كلها بالله...»[٢].

الوجه الثاني: أنه تبّرك بالابتداء بذكر الله تعالى واسمه، والتقدير ابتدئ باسم الله، ويشهد لهذا ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ في قوله لعبد الله بن يحيى ـ: «أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله حدثني عن الله جلّ وعزّ: كل أمرٍ ذي بال لم يذكر فيه «بسم الله» فهو ابتر[٣]. وكذلك الحديث عنه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال الله عزَّ وجلَّ: ... إذا قال العبد «بسم الله الرحمن الرحيم» قال الله جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ أن أتمم له أموره وأُبارك له في أحواله»[٤].

---

(١) مجمع البيان: ١/ ٩٣.

(٢) بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٣٢.

(٣) المصدر: ٩٢/ ٢٤٢.

(٤) المصدر: ٩٢/ ٢٢٦.

ويمكن رجوع كلا الوجهين للآخر.

س ٤ ـ ما الفرق بين الرحمن والرحيم؟

ج ـ جاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة»[1] والمقصود أن «الرحمن» اسم خاص لله تعالى لا ينسب لغيره، وهو يتضمن رحمته تعالى العامة لجميع خلقه المؤمن منهم والكافر، بينما الرحيم صفة عامة يمكن أن يوصف بها غير الله تعالى، ويراد منها رحمته لخصوص المؤمنين. والله العالم.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥)

س ٥ ـ لماذا لم يقل «نعبدك ونستعينك» مع أن الكلام البليغ ينبغي مراعاة الإيجاز فيه؟

ج ـ لأنّ تقديم المنصوب على الفعل يفيد الحصر، أي حصر العبادة والاستعانة بالله تعالى دون غيره. بعكس ما لو قال: «نعبدك ونستعينك» فانه لا ينافي مشاركة غيره تعالى في العبادة والاستعانه.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦)

س ٦ ـ المؤمن مهتدٍ للصراط المستقيم، فما معنى دعائه بالهداية؟

ج ـ المقصود طلب الهداية في المراحل اللاحقة لإيمانه، حيث يتعرض الإنسان للفتن في مختلف مراحل حياته والظروف التي تمرّ به.

---

(١) مجمع البيان: ١/ ٩٤.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (٧)

س ٧ ـ كلّ ضال مغضوب عليه فلماذا فرّق بينهما؟

ج ـ كأن المنظور من المغضوب عليهم الذين تعرّضوا لغضب الله تعالى وعذابه في الحياة الدنيا أيضاً، في مقابل الضالين الذين أرجأ الله عذابهم للآخرة فحسب . وقد تضمنت بعض النصوص تطبيق **﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾** على اليهود ـ ولعلّه باعتبار الانتقام من كثير منهم في الدنيا قبل الآخرة ـ وتطبيق **﴿الضالّين﴾** على النصارى الذين أصرّوا على الكفر .

سورة البقرة

﴿الٓمٓ﴾(١).

س ٨ ـ ما معنى الحروف المقطّعة؟

ج ـ اختلف المفسّرون فيها على أقوال، فمنهم من جعلها تعبيراً عن التحدي القرآني للبشر، فانّ القرآن رغم تأليفه من الحروف العربية المألوفة إلاّ أن البشر يعجزون عنه. ومنهم من قال إنها رموز لأسماء أو معاني سامية لا يعلمها إلاّ الله والراسخون في العلم، ويشهد لهذا الرأي مجموعة من النصوص والأدعية والأذكار التي تتضمن التكريم و التوسل بمقام أو مضمون هذه الحروف المقطّعة.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتقِين﴾(٢).

س ٩ ـ لماذا أشار للكتاب بلفظ الإشارة للبعيد «ذلك» مع أن الآية الكريمة من ضمن الكتاب فهو حاضر وقريب فيفترض الإشارة إليه بـ «هذا»؟

ج ـ إن في الإشارة إليه بلفظ البعيد تنويهاً بمقامه الشامخ، وأن مضامينه بعيدة عن التناول، وأن أغوار معانيه لا يدركها إلاّ ذو حظٍ عظيم.

س ١٠ ـ بما أن هذه الآية لست آخر الآيات القرآنية فلا يمكن أن يكون المقصود من الكتاب كل القرآن، وإذا كان المقصود منه بعض القرآن وهو النازل لحين هذه الآية، فلا يكون فيه دلالة على نفي الريب عن كلّ القرآن ـ كما يستشهد بها العلماء والمفسرون ـ فما هو المقصود منه؟

ج ـ يمكن أن يكون المقصود منه كلّ القرآن، حيث لا يشترط عند الإشارة إلى المتدرّج وجوده بتمام أجزائه بالفعل، كما تقول ـ قبل إكمال البناء ـ «هذه العمارة محكمة» إذا علمت أن العمال سيكملونها كذلك.

وهناك رأي أن المقصود منه القرآن الكريم في اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، والقرآن بوجوده المذكور موجود قبل تفصيل آياته ونزولها بالتدريج.

س ١١ ـ كيف ينفي الريب عن القرآن مع أن كثيراً من الناس قد ارتابوا فيه ولم يؤمنوا به؟

ج ـ كأن المقصود أنّه ليس محلّاً للرّيب، وليس من شأنه ذلك، كما جاء في الحديث «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» فانه بصدد بيان شأن المسلم والسلوك الذي ينبغي أن يكون عليه، لا أن من لم يسلم منه المسلمون كافر وليس بمسلم.

س ١٢ ـ كيف يكون القرآن هدىً للمتقين مع أنّ المتقين مهتدون؟

ج ـ باعتبار ان القرآن هو السبب في هداية المتقين، أو انّه منارهم

في حياتهم أمام الفتن والشبهات التي يواجهونها، نظير ما جاء عن الإمام علي عليه السلام ـ في حديث له عن القرآن ـ: «جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجّ لطُرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس بعده ظُلمة»[1].

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾(٣)

س ١٣ ـ لماذا قال ﴿يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ ولم يقل (يصلون)؟

ج ـ باعتبار أن لصحة الصلاة ولقبولها أجزاءً وشروطاً عديدة قد لا يحققها المصلّي، فلا تقبل صلاته رغم الإتيان بها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(٦).

س ١٤ ـ إذا كان إنذار الكافرين غير مؤثّر فيهم فلماذا بعث الله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أننّا نجد أن كثيراً منهم قد نفعهم الإنذار فآمنوا بالرسول؟

ج ـ يكفي في فائدة بعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إقامة الحجة لله على الناس أو تأكيدها كما قال تعالى **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رسولاً﴾**، والمقصود من هؤلاء المذكورين في الآية الكريمة هم خصوص المعاندين

---

(١) تصنيف نهج البلاغة : ٢١٢ .

للرسـول صلى الله عليه وآله وسلم رغم قيام الحجة عليهم، لا كلّ الكافرين، و لعلّ التعبير بالفعل الماضي يشـير إلى حـدوث كفرهم عند دعوة الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم لهم وإقامة الحجة عليهم ليكون المقصود من الكفر هنا رفض نداء الإسلام، ولا يشمل الذين لم يصلهم بعدُ هذا النداء، واستجابوا له عندما وصلهم فيما بعد.

﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ (٧).

س ١٥ ـ إذا كان الله قـد ختم على قلوبهم فكيف يذمّهم ويعذّبهم على كفرهم؟

ج ـ إنّ الختـم لم يكن ابتدائياً، وانّما جاء بعد جحودهم وكفرهم رغم قيام الحجة عليهم، كما قال تعالى: **﴿وَقولـهمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِـمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾** [1]. حيث احتجوا بأن عدم إيمانهم بسـبب رفـض قلوبهـم وعقولـهم وعدم اسـتجابتها للإيمان. فـردّ عليهم بأن لعنة الله تعالى عليهم وسـلب توفيقهم بسـبب كفرهـم ـ باختيارهم ـ ورفضهم الخضوع للحق والإيمان به.

س ١٦ـ إذا كانـوا قـد كفـروا فـما هو أثـر الختم عـلى قلوبهـم؟ وإذا افترضنـا أن أثـره اسـتمرار كفرهم فيكون ذلك مفروضاً عليهم، فيطرح هذا السؤال، كيف يمنع الله عباده من الإيمان؟ وكيف يعذبهم على ذلك؟

ج ـ يمكن الإجابة على ذلك بجوابين:

أ ـ انّ الختم عقوبة الجحود والكفر، فيكون الإيمان فرصة ـ شأن كل الفرص ـ تفوت الإنسان عندما لا يستثمرها في حينها، وبذلك يتضح الجواب عن الشق الثاني من السؤال، لأن الكافر هو الذي حرم نفسه من فرصة الهداية بكفره فيستحق العقوبة عليه، كما لو اقترف جريمة القتل فحكم القاضي بقتله قصاصاً، فانّه يحاسب يوم القيامة على كفره، مع أنّه كان يمكن ـ نظرياً ـ أن يؤمن ويهتدي لو لم ينفَّذ فيه حكم القصاص.

ب ـ انّ المقصود من الختم على القلوب عدم وعيها للحقيقة، وهو النتيجة الطبيعية لعدم الاستجابة لنداء الحق، فمن يجحد ويعاند تنمو في أعماقه حالة الإصرار والمكابرة على طوال الخط، وتكون نسبة ذلك لله تعالى باعتباره القاضي والمحيط بكل شيء على غرار قوله تعالى ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى**﴾ [1] مع أن الرمي صدر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

ومما يشهد بأن هذا الحرمان هو النتيجة الطبيعية لموقف الكافر وعمله قوله تعالى: ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾. وفي حديث زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من عبد إلاّ وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [2].

ومما يؤيد الجواب الثاني أن الغشاوة على البصر لم تُسند لله تعالى. فالختم

---

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) اصول الكافي ٢ / ٢٧٣ باب الذنوب.

على القلوب والأسماع نتيجة الغشاوة وإعراضهم عن الحق. والله العالم.

س ١٧ـ يفهم من هذه الآية وغيرها من الآيات أنّ القلب هو مصدر الوعي في الإنسان مع أنّ العلم الحديث أثبت أنه مجرّد مضخّة لتحريك الدم وتوزيعه في الجسم؟

ج ـ يتضح عند مراجعة المصادر اللغوية أنّ لفظ القلب يراد به مصدر الوعي، قال ابن منظور: «القلب تحويل الشيء عن وجهه... وقلّبه: حوّله ظهراً لبطن.. وقلّب الأمورَ: بَحَثها، ونظر في عواقبها..» [1]، الاّ انّ القدماء طبّقوه على هذا العضو الخاص في الجسم ـ المضخة ـ فغلبت عليه التسمية، ولا دليل على أنّ (القلب) في الاستعمال القرآني يراد منه هذا التطبيق، بل معناه اللغوي وهو مصدر الوعي.

على أنّ المصادر اللغوية ذكرت أنّ من معاني القلب العقل. قال ابن منظور: «وقد يعبّر بالقلب عن العقل، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾ أي عقل. قال الفراء: «وجائز في العربية أن تقول: مالك قلب، وما قلبك معك: تقول: ما عقلك معك، وأين ذهب قلبك؟ أي أين ذهب عقلك؟ وقال غيره: لمن كان له قلبٌ أي تفهُّمٌ وتدبّرٌ» [2].

وفي الموارد القليلة التي يظهر من بعض الآيات والروايات تطبيق قوّة الوعي على العضو الخاص فإنما هو من باب الجري على العرف العام، كما نلاحظ ذلك في كلمات الكتّاب والشعراء المعاصرين مع وضوح عدم ارتباط العضو الخاص ـ علمياً ـ بالوعي والإدراك في العصر الحديث.

(١) لسان العرب ١ / ٦٨٥ مادة قلب.

(٢) لسان العرب ١ / ٦٨٧ مادة قلب.

س ١٨ـ بما أن الحواس مجرد آلات لنقل المعلومات فيكفي في انعدام الوعي الختم على القلب، فلماذا ذكَر السمع وغشاوة البصر؟

ج ـ كأن الختم على القلب إشارة إلى أنّهم لا يستثمرون عقولهم للتفكر والوصول إلى الحقيقة، والختم على السمع إشارة إلى أنّهم لا يستوعبون كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونحوه من المسموعات، و غشاوة البصر إشارة إلى عدم وعيهم للآيات والشواهد التي يرونها بأبصارهم، فكلّ منها إشارة إلى صنف خاص من المعلومات وجوانب من الحقيقة أعرضوا عنها.

س ١٩ ـ لماذا جاءت: ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ و﴿أَبْصَارِهِمْ﴾ بصيغة الجمع، و﴿سَمْعِهِمْ﴾ بصغية المفرد؟

ج ـ باعتبار أن المقصود بالأوّلَين آلة التفكير والبصر، بينما المقصود من السمع قوة السمع لا آلته، لأن استخدام السمع بمعنى آلة السمع (الأُذن) غير شائع، نعم في الموارد التي أُريد التعبير عن آلة السمع أي الأُذن، جيء بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: **﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾**[1].

﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾(١٢)

س ٢٠ ـ كيف حصر الفساد فيهم ـ المنافقين ـ مع أنّ الفساد لا ينحصر بهم إذ قد يكون غيرهم مفسداً أيضاً؟

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٥.

ج ـ الحصر هنا نسبي في مقابل نسبة الافساد للمؤمنين، لأن قولهم ﴿**إنما نحن مصلحون**﴾ ـ كما أشارت إليه الآية السابقة ـ يتضمن بالدلالة الالتزامية نسبة الإفساد للمؤمنين، فجاء الرد عليهم بأنهم هم المفسدون دون المؤمنين.

ويشهد على ذلك الآية اللاحقة حيث نسبوا السفاهة للمؤمنين صراحة: ﴿قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ فجاء الردّ عليهم: ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ**﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ (١٣ و١٤).

س ٢١ ـ كيف ينسجم إعلانهم الإصرار على الكفر واستهزاؤهم بالمؤمنين بقولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ ردّاً على المؤمنين الذين يحثونهم على الإيمان،مع ما يحكيه من قولهم: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا﴾؟

ج ـ الذين يعرفون حقيقة المنافقين ويصارحهم هؤلاء هم الذين تربطهم بهم علاقات اجتماعية وثيقة مثل أقاربهم وأصدقائهم عندما يطالبونهم بالإيمان، بينما الذين يتظاهر المنافقون أمامهم بالإيمان هم المسلمون عامة، لأن النفاق ليس من الخصال الظاهرة التي يطلع عليها كل شخص ويتجاهر بها صاحبها.

ويحتمل أن يكون إصرارهم على الكفر واستهزاؤهم بالمؤمنين في أحاديثهم فيما بينهم عندما يسمعون دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بالإيمان، بينما يتظاهرون أمام المؤمنين بالإيمان.

﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥).

س ٢٢ ـ يبدو من بعض الآيات الاخرى ان الله سبحانه يريد الهداية لعباده ولا يرغب في انحرافهم مثل قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ [١].
فمن يتحسّر على جماعة كيف يستهزئ بهم؟

ج ـ بما أن الله سبحانه منزه عن الصفات والانفعالات النفسية ـ كما ثبت في الفلسفة وعلم الكلام ـ فلابدّ أن يكون كل ذلك كناية عن معانٍ اخرى، مثل أن يكون المقصود من استهزاء الله تعالى أنه يجازيهم ويفعل ما يفعله المستهزئ بهم، من دون حدوث صفة نفسية فيه تعالى.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧).

س ٢٣ ـ ما هو وجه الشبه بين المنافق و﴿الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ ؟

ج ـ حيث ان ﴿الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ ـ المشبّه به ـ يجد النار التي تضيء

---

(١) سورة يس: ٣٠.

ما حوله ولا ينتفع بها و يعيش حالة الخوف والحيرة والضياع والتخبط في الظلمة الحالكة، فكذلك المنافق يشاهد نور الإيمان الذي يحيط بما حوله ـ المجتمع الذي يعيش في وسطه ـ ولكنه لا ينتفع به، بل يعيش ظلام الكفر وحالة الخوف والحيرة والتوجس الدائم بسبب نفاقه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١)

س ٢٤ ـ لماذا رتّب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على عبادة الله، مع أن معنى (لعل) مجرّد الترجي والاحتمال فلا تكون عبادته موجبة لضمان اتقاء العذاب والأمن منه؟

ج ـ الآية الكريمة تشير إلى أنّ السبيل الوحيد الذي يمكن معه اتقاء العذاب وعقوبة الله تعالى والخطوة الأولى بهذا الاتجاه هو عبادة الله والإيمان به، وأما ضمان الأمن من العذاب فيرتبط بسلوك الإنسان والتزامه بالحكم الشرعي، والآية ليست بصدد بيانه.

﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢)

س ٢٥ ـ كيف فرض المشركين عالمين بنفي الندّ والشريك لله تعالى مع أن كثيراً منهم لا يعلمون؟

ج ـ انّ المشركين جميعاً يدركون ـ بفطرتهم وعقولهم ـ أن الأنداد المزعومين مثل الأصنام وغيرها لا يصدر منهم هذا الخلق العجيب والمنتظم. ولذلك استنكر المشركون ـ في قضية تحطيم أصنامهم ـ على

نبي الله إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[١] .

﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٢٥).

س ٢٦ ـ لماذا قال ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ مع أنّ النهر يجري في الجنّة لا تحتها؟

ج ـ كأن فيه إشارة إلى عمق هذه الأنهار وجريانها تحت الأشجار المتشابكة فانّ الجنّة: البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلّل بالتفاف أغصانه.

س ٢٧ ـ ما معنى ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾؟

ج ـ ذكر المفسّرون عدّة وجوه للتفسير، والأقرب إلى دلالة الآية أنّ ثمار الجنّة وإن بدت متشابهة، إلاّ انّ لكل منها طعماً ونكهة تختلف عن الأخرى، مما يوجب دهشة أهل الجنّة وحيرتهم ﴿قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾، وبما أن الإنسان ـ بطبيعته ـ يرغب في التنويع فيكون في هذا التفاوت والجدة ـ رغم التشابه ـ زيادة في النعمة الإلهية والدلالة على قدرته وعجائب صنعه.

وقد فسّره بعضهم بالتشابه بين ثمار الجنّة وما رزقهم الله من ثمار في الدنيا، لكنه بعيد، لأن جلّ المؤمنين لم يطعموا في الدنيا إلاّ ثماراً محدودة خاصة الفقراء، فلا ينطبق معنى الإطلاق المستفاد من لفظة (كلّما).

---

(١) سورة الانبياء: ٦٣.

س ٢٨ ـ ما معنى ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾؟

ج ـ أي هنّ مطهرات من دنس الدماء والإفرازات المبتلاة بها نساء أهل الدنيا، مثل دم الحيض ودم الاستحاضة والصفرة.

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٢٦ـ ٢٧).

س ٢٩ ـ إذا كانت الهداية والإضلال من الله تعالى فلا يستحق أصحابها مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقابا؟

ج ـ الله تعالى لا يجبر الإنسان على الهداية أو الضلال، ولذلك صح أمر العباد بالطاعة ونهيهم عن المعصية، وانّما نسبت الآية الهداية والإضلال لله، باعتبار أنه تعالى يوجد الموضوع ـ كمثَل البعوضة فما فوقها الذي أشارت إليه الآية ـ الذي يهتدي به المؤمن ويخطأ في فهمه الفاسق فيضلّ، كما قال موسى عليه السلام ـ بعد أن طلب خيار قومه رؤية الله وصُعقوا ـ **﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء﴾** مع أنّ الله لم يجبرهم على موقفهم الذي أدّى إلى عقوبتهم.

س ٣٠ ـ كيف يصف الفاسقين بأنّهم الذين ينقضون عهد الله وغير ذلك مع أن هذه الأوصاف لا تعمّ كل الفاسقين؟

ج ـ الأوصاف المذكورة تعمّ كل الفاسقين، لأن العهد الذي نقضوه هو عهد الإيمان و الطاعة المأخوذ على البشرية جمعاء ـ على اختلاف بين العلماء والمفسّرين في تحديده، حيث قد يحمل على الإشارة إلى نعمة العقل القادر على تمييز الحقيقة عن الباطل ـ كما أشارت إليه مجموعة من الآيات والنصوص: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[1].

وكذلك قطعُ ما أمر الله به أن يوصل والفساد في الأرض، فإنهما ينطبقان على جميع الفاسقين باعتبار أنّهم تجاهلوا علاقتهم كعبيد بخالقهم وحقّه عليهم في الإيمان به وطاعتهم له، كما أنّ في مكابرتهم لله وإنكارهم ومخالفتهم له ولرُسله الفساد الأعظم في هذه الأرض، كما تشير إليه الآية التالية:

﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(٣٠)

س ٣١ ـ ما هو وجه توصيف آدم بأنه خليفة؟

ج ـ هناك رأيان مشهوران للمفسرين، الأول: أن آدم خليفة الله في الأرض،

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

فله الولاية وحق الحكم بين الناس، كما جاء في الخطاب لداوود عليه السلام:
﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (١).

الثاني: أنّه وصف لآدم وذريته باعتبارهم خلفوا خلقاً آخر لله تعالى أسكنهم الأرض ومكّنهم فيها ـ وهم الجنّ أو غيرهم ـ.

ويشهد للقول الثاني أمران: أحدهما ان تساؤل الملائكة لا يرتبط بشخص آدم عليه السلام ،وانما بالجنس البشري حيث يصدر منهم الإفساد وسفك الدماء، مما يعني أنهم فهموا من الخليفة استخلاف الجنس البشري محل الخلق الآخر الذي كان قبلهم لا استخلاف شخص آدم في الحكم عن الله تعالى.

ثانيهما: بما أن الجعل الوارد في تساؤل الملائكة ﴿أتجعل فيها﴾ تكويني بمعنى الخلق فيكون الجعل السابق كذلك، وليس تشريعياً بمعنى جعله حاكماً.

س ٣٢ ـ كيف عرف الملائكة أنّ الجنس البشري يصدر منهم الإفساد وسفك الدماء؟

ج ـ قد يكون ذلك بسبب معرفتهم بطبيعة الكائنات المادية العاقلة حيث تتقاذف أفرادها الأهواء والنزوات النفسية ـ إلاّ من عصمه الله تعالى ـ، وجاء في بعض النصوص ان تجربة المخلوقات السابقة ـ المرتبطة بالمادة ـ هي التي أوحت لهم بتكرارها من البشر، روى العياشي عن هشام بن سالم قال: قال: أبو عبد الله عليه السلام: «ما علم الملائكة بقولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ لولا أنّهم قد كانوا رأوا من يُفسد فيها ويسفك الدماء»(٢).

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الآيات وغيرها من الشواهد توحي

---

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) تفسير العياشي: ١ / ٤٧.

بـأن الأرض محور للكون من بـين الكواكب الأخرى، لذلك انصب اهتمام الملائكة بأحداثها ومخلوقاتها.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣١)

س ٣٣ ـ ما هي الأسماء التي علـّمها آدم ؟

ج ـ اختلف المفسرون على أقوال:

(منها): أن المقصود بالأسـماء الأشياء، ففي الحديث عن أبي العباس عـن أبي عبدالله عليه السلام سـألته عن قـول الله ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْـمَاء كُلَّهَا﴾ ماذا علّمه؟ قال : الأرضين والجبال والشعاب والأودية، ثم نظر إلى بساط تحته فقال : وهذا البساط مما علّمه[١].

(ومنهـا): أن المقصـود بالأسـماء موجـودات عاقلـة لهـا مقامـات عالية. وقد أشارت إلى ذلك بعض الروايات[٢].

وعلى كل حال، فالذي يبدو أن استيعاب آدم وتعلّمه للأسماء كشف للملائكـة عن قدرة هذا الكائن الجديد على الرقي والتكامل، لأنه جاء بعد تسـاؤل الملائكـة عن حكمة خلقـه بعد علمهـم بطبيعته البشريـة التي من آثارها الفساد وسفك الدماء.

---

(١) تفسير العياشي : ١ / ٥١ .

(٢) يراجع تفسير الميزان : ١ / ١١٦ ـ ١٢٠ .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾(٣٤).

س ٣٤ ـ هل كان ابليس من الملائكة ؟ وإذا لم يكن منهم فهو غير معني بالأمر الإلهي الموجه إليهم فلا يكون عاصياً بمخالفته؟

ج ـ يبدو من مجموع الآيات الكريمة والنصوص ان ابليس كان من الجن لا من الملائكة، من ذلك قوله تعالى ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾[1]. حيث دلّت:

أولاً: على أنه من الجنّ.

وثانياً: أنه قد فسق عن أمر ربه، بينما الملائكة لا يعصون الله تعالى.

وثالثاً: ان له ذريّة والملائكة ليس لهم ذريّة. كما دلّ قوله تعالى ـ حكاية عن إبليس ـ: ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[2] انه من جنس الجن المخلوقين من نار، كما قال تعالى: ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ**﴾[3].

وأما قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ**﴾ فانه ليس فيه دلالة صريحة على كونه من الملائكة لاحتمال أن يكون ذلك من باب التغليب أو أن استثناءه من الملائكة من الاستثناء المنقطع. وعلى كل حال لم يتصدّ القرآن الكريم إلى بيان كيفية إيحاء هذا

---

(١) سورة الكهف : ٥٠.

(٢) سورة الأعراف:١٢.

(٣) سورة الحجر:٢٧.

الأمر الإلهي إلى إبليس، ولم ينقل عنه شكاً أو التباساً حول ذلك، وحينئذٍ فيكون عدم التصريح باسمه في الآيات الحاكية عن الأمر الإلهي بالسجود اعتماداً على القرائن الدالة على شموله له.

س ٣٥ ـ كيف يوصف ابليس بالكفر مع أنه لم ينكر وجود الله أو يشرك به أحداً؟

ج ـ الكفر في اللغة التغطية، قال الأزهري: «.. إن الكفر في اللغة التغطية، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره، كما يقال للابس السلاح كافر، وهو الذي غطّاه السلاح..»[1].

وعلى هذا فيمكن أن يكون كفره باعتبار أن موقفه بسبب المكابرة والتحدي لله، وإنكار علمه تعالى بحقائق الأمور ومراتب وكمالات عباده، فرغم انه تعالى أمره بالسجود لآدم إلاّ أنه ردّ بقوله ﴿**أنا خير منه**﴾، فلم يكن موقفه مجرد معصية، بل كان تحدياً ورفضاً لعلم الباري باستحقاق آدم أو حكمته تعالى في الأمر بالسجود فيكون كافراً.

س ٣٦ ـ كيف يفسّر سجود الملائكة لآدم مع أنّ السجود لا يكون لغير الله؟

ج ـ قد يكون السجود هنا بمعناه اللغوي وهو الخضوع والإقرار بفضله عليهم ـ كما اشارت إليه بعض النصوص[2] ـ وهو ما رفضه ابليس تكبراً وجهلاً، وليس هو السجود المعبِّر عن العبادة للمسجود له.

---

(١) لسان العرب: ٥/ ١٤٦ مادة كفر.

(٢) يراجع مجمع البيان: ١ / ١٨٩ .

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾ (٣٥)

س ٣٧ ـ ما هذه (الجنة) التي أسكن الله فيها آدم وزوجته، هل هي جنّة الخلد أو غيرها؟

ج ـ اختلف العلماء والمفسرون في ذلك على أقوال ثلاثة:

الأول: انّها جنّة من جنان الأرض .

الثاني : انّها جنّة الخلد.

الثالث : انّها جنة من جنان الدنيا في السماء ـ غير كوكب الأرض ـ.

ويبدو ومن مجموع الشواهد القرآنية ـ بالإضافة إلى بعض النصوص ـ انّها ليست من جنان الأرض منها:

أ ـ قوله تعالى : **﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾**، فانّ التعبير بالهبوط يشهد باختلاف الجنّة وعلوّها ـ ولو معنوياً ـ عن الأرض، كما انّ قوله : **﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** يوحي أن هذه الأرض غير تلك الجنّة التي كانا فيها.

ب ـ قوله تعالى: **﴿ إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾** [(١)]. وكذلك قوله تعالى: **﴿فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾** [(٢)]، فانّها توحي أنّ طبيعة الحياة والنظام الكوني هناك يختلفان عما في الأرض، حيث تنعدم في تلك الجنّة

---

(١) سورة طه : ١١٨ ـ ١١٩ .

(٢) سورة طه : ١٢١ .

المعاناة المادية مثل الجوع والظمأ والبرد والحرّ. وأنّ شعورهما بالعري والمعاناة بدأ من حين الأكل من الشجرة ـ إما عقوبةً من الله تعالى أو كان أثراً طبيعياً لثمرة تلك الشجرة ـ.

ج ـ ان ظاهر الآيات الكريمة حرمان آدم وذريته من تلك الجنّة، وهو لا ينسجم مع كونها من جنان الأرض، لأن ذرية آدم منتشرون في بقاع المعمورة وجنانها ـ خاصة في العصور الأخيرة ـ.

فهذه الشواهد القرآنية وغيرها من النصوص تشهد بأنّ هذه الجنّة ليست من جنان الأرض، وأما تحديد كونها جنّة الخلد أو جنة أخرى في هذا الكون فليس عليه دلائل قرآنية واضحة، والنصوص مختلفة في ذلك، والذي يحضرني منها ضعيف السند.

س ٣٨ ـ هل المراد من الظلم في قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾ المعصية الموجبة لاستحقاق العقاب أو شيء آخر؟

ج ـ يتضح الجواب من خلال توضيح طبيعة النهي عن الأكل من تلك الشجرة، فانّ الأوامر والنواهي الصادرة من الله سبحانه ـ وكذا كل مولى وحاكم ـ على قسمين:

القسم الأول: الأوامر والنواهي الصادرة منه تعالى باعتباره مولى الإنسان وخالقه الذي يتحتم عليه إطاعته، وما كان من هذه إلزاميّاً يتحمل الإنسان مسؤولية تنفيذها ويستحق العقوبة الأُخروية على مخالفتها، مثل الأوامر بالواجبات، والنواهي عن المحرّمات الشرعية.

القسم الثاني: الأوامر والنواهي الإرشادية، وهي الصادرة من الله

تعالى باعتباره حكيماً وعالماً بمصلحة الإنسان ومرشداً له، من دون أن يحمّله مسؤولية تنفيذها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾ [1]، فانّ من يُبطل صدقته بالمن والأذى - غير المحرَّم - لا يستحق عقوبة أُخروية وانما يخسر ثمرة صدقته فحسب، وعندما نلاحظ الآيات الحاكية عن نهي آدم عن الأكل من الشجرة لا نجد ما يشير إلى كونه نهياً مولويّاً حتّى يوجب عصيانه العذاب الاخروي - الذي وعد الله به العاصين -، بل في بعض هذه الآيات ما يشير إلى كونه إرشادياً كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [2]، حيث كان تحذير آدم من الشيطان باعتبار أن متابعته توجب الخروج من الجنّة، ولو كان النهي الإلهي - عن الأكل من الشجرة - مولويّاً لأشارت هذه الآية إلى أن أثر متابعة الشيطان استحقاق العذاب الإلهي الذي هو أهم من الخروج من الجنّة، ولعلّ إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ حيث اقتصر على ذكر إخراجهما من الجنّة من دون أن يشير إلى تعرضهما إلى الغضب الإلهي وسخطه.

س ٣٩ - كيف استطاع إبليس دخول الجنّة وغواية آدم؟

ج - أما على افتراض أنّها من جنان الدنيا فلا محذور في دخول إبليس إليها، وأما على فرض أنّها جنّة الخلد فلا دليل على منع إبليس من دخولها آنذاك قبل يوم القيامة، بل تشير بعض الآيات إلى تحذير الله تعالى لآدم وحوّاء من الشيطان مما يكشف عن إمكانية دخوله الجنّة، قال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا

(١) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٢) سورة طه: ١١٧.

رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١].

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٣٧).

س ٤٠ ـ ما هي الكلمات التي تلقّاها آدم؟

ج ـ اختلفت النصوص في تحديدها، فبعضها تضمنت التسبيح ومناجاة الله تعالى، مثل «اللهم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنّك خير الغافرين»، وفي بعض النصوص انه توسل لله سبحانه بالنبي محمّد وآله صلوات الله عليهم[٢].

س ٤١ ـ إذا كان النهي عن أكل الشجرة إرشادياً فما معنى التوبة من مخالفته وما هو أثرها على آدم؟

ج ـ التوبة في اللغة الرجوع، وبما أن الأكل من الشجرة لم يكن منسجماً مع حقّ الله تعالى وفضله على آدم، فكأنه أبعده عن ربّه، فتكون توبته رجوعاً منه لله تعالى حيث استحق بذلك قربه وفضله، فاجتباه **﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾**[٣] واصطفاه **﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[٤]، وقد استعملت التوبة في القرآن الكريم بهذا المعنى في موارد عديدة منها: قوله تعالى: **﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ**

---

(١) سورة طه: ٢٢.

(٢) الخصال: ٢٧/٨.

(٣) سورة طه: ١٢٢.

(٤) سورة آل عمران: ٣٣.

يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]. فان التوبة هنا ليست بمعنى غفران الذنب، إذ لم يصدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ذنب آنذاك، وإنما المقصود منها الرعاية الإلهية وشمولهم بفضله ورحمته برفع كربتهم. والله العالم.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(٤٠).

س ٤٢ ـ ما هو عهد الله لهم وعهدهم لله تعالى؟

ج ـ لعلّ المقصود منه ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾[٢].

﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٤٥ ـ ٤٦).

س٤٣ ـ كيف تكون الصلاة كبيرة على غير الخاشعين؟

ج ـ المقصود أنّها ثقيلة وشاقة على غير الخاشعين، إما باعتبار ما تتضمنه من التواضع والخضوع لله تعالى الذي لا يستسيغه المتكبرون، أو باعتبار أن من لا يخشع في صلاته تتحول صلاته إلى ممارسة رتيبة مملّة فيستثقلها، وتصعب عليه إدامتها.

---

(١) سورة التوبة : ١١٧ .

(٢) سورة المائدة : ١٢ .

س ٤٤ ـ كيف وصف الخاشعين بأنّهم يظنّون ملاقاة ربّهم، والظن غير اليقين؟

ج ـ الظن هنا بمعنى اليقين عن تفكّر وتدبّر ـ وهو من معاني الظن ـ في مقابل العلم بمعنى يقين المشاهدة والعيان كما نص عليه علماء اللغة[١]. وفي الحديث عن أبي معمر عن علي عليه السلام في قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يقول: «يوقنون أنّهم مبعوثون، والظن منهم يقين»[٢].

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٤٧)

س ٤٥ ـ في أي شيء فضّل الله بني إسرائيل على العالمين؟

ج ـ قد يكون تفضيلهم باعتبار وفرة النعم عليهم، ومنها كثرة الأنبياء والرسُل منهم، من دون أن يعني ذلك رفعة مقامهم في الآخرة، بل ذلك يرتبط بمدى ايمانهم وطاعتهم لربّهم، إذ الذي يرفع مقام الأُمة ويفضّلها على غيرها هو ايمانها وسلوكها، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[٣].

﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾(٤٨).

س ٤٦ ـ ألا تنفي هذه الآية شفاعة الإنسان بقول مطلق مهما كان مقامه؟

---

(١) يراجع لسان العرب: ١٣ / ٢٧٢.

(٢) تفسير العياشي: ١ / ٦٢.

(٣) سورة آل عمران: ١١٠.

ج ـ الشفاعة من المفاهيم التي تكرر الحديث عنها في القرآن الكريم والسنّة المعتبرة لدى المسلمين جميعاً، ولأجل الخروج بنتيجة موضوعية دقيقة لابدّ من ملاحظتها جميعاً وعدم الاكتفاء بدلالة ظاهر آية واحدة، ويكفينا هنا إلقاء نظرة على العديد من الآيات الكريمة التي تصرّح بثبوت الشفاعة يوم القيامة مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ (١)، و ﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَه﴾ (٢)، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إلاّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى﴾ (٣)، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (٤)، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ولا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٥).

فهذه الآيات الكريمة وغيرها بالإضافة إلى عدد كبير من النصوص المختلفة تؤكد على ثبوت الشفاعة يوم القيامة لكثير من الملائكة والناس وفي مقدّمتهم نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بالإضافة إلى الأنبياء والأئمة وبعض الصالحين.

وقد ادعي إجماع المسلمين على ثبوت الشفاعة وإنما الاختلاف بينهم في تفاصيلها، قال الفخر الرازي: «أجمعت الأُمة على أن لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم شفاعة في الآخرة وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ثم اختلفوا بعد هذا في أن شفاعته عليه السلام لمن تكون .. وقال أصحابنا: تأثيرها في

(١) سورة طه: ١٠٩.

(٢) سورة سبأ: ٢٣.

(٣) سورة النجم: ٢٦.

(٤) سورة يونس: ٣.

(٥) سورة الأنبياء: ٢٨.

إسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب »[١].

ولعلّ الآيات النافية للشفاعة ناظرة إلى طبيعة ما يقدّمه الفاسقون شفيعاً لهم أو من يعتقدون بأنه يشفع لهم مثل الأصنام ورؤوس الضلالة، كما توحي به بعض هذه الآيات، ومنها هذه الآية ـ التي نتحدث عنها ـ فانها واردة في سياق الحديث عن بني اسرائيل الذين كانوا يرون أنفسهم شعب الله المختار ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُه﴾. ويتخذون رهبانهم أرباباً من دون الله، معتمدين على شفاعتهم، وعلى أموالهم، ولذا جاء الرد عليهم ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي فدية. وكذلك قوله تعالى: ﴿... وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ...﴾[٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٤]، وغيرها من الآيات، فانّها بمثابة تحذير للكافرين والفاسقين أن لا يتبعوا في الحياة الدنيا الأصنام ورؤوس الضلالة اعتماداً على شفاعتهم في الآخرة، فانهم سوف يندمون آنذاك حيث لا ينفع الندم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾[٥].

فاتضح أن هذه الآيات لا تنفي شفاعة الأنبياء والأئمة وغيرهم من المؤمنين ممن يأذن الله له بذلك.

---

(١) التفسير الكبير: ٢/ ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) سورة يونس: ١٨.

(٣) سورة الأنعام: ٩٤.

(٤) سورة الأنعام: ١٥.

(٥) سورة الروم: ١٣.

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾(٥١).

س ٤٧ ـ كيف تجعل الآية المواعدة أربعين ليلة مع أنها كانت ثلاثين وأُكملت بعشر ليالٍ إضافية كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[1].

ج ـ جاءت الآية هنا من باب التغليب، باعتبار أن الليالي العشر ملحقة بالموعد الحقيقي المحدّد بالثلاثين، فصحّت نسبة المواعدة لكل الأربعين من باب التغليب والايجاز. وهذا تعبير عرفي مألوف.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾(٥٥).

س ٤٨ ـ كيف نسب هذا القول لبني اسرائيل مع أن القائلين كانوا مجموعة قليلة قد لا تتجاوز السبعين شخصاً ـ كما جاء في بعض النصوص؟

ج ـ باعتبار أنّ هذه المجموعة كانوا خيرة بني اسرائيل، فمن الطبيعي أن يعكس سلوكهم طبيعة هذه الأمة ومدى ضعف إيمانها، وليست الآية بصدد مجازاتهم حتى تقتصر على الممارسين للخطأ على أساس ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وإنما مجرد تذكيرهم بالعديد من مواقفهم التي لا تنسجم مع النعم الإلهية المتتالية عليهم.

---

(١) سورة الاعراف: ١٤٢.

س ٤٩ ـ إذا كانت الصاعقة قد أخذتهم حتى فقدوا الوعي أو ماتوا ـ كما تشير إليه بعض الآيات ـ فكيف ينظرون؟

ج ـ ليس في الآية دلالة على نظرهم بعد نزول الصاعقة بهم، وإنما نظرهم عند نزولها، باعتبار أنهم كانوا ينظرون إلى السماء لكي يروا الله تعالى ـ بزعمهم ـ فشاهدوا الصاعقة التي أخذتهم، كما تقول: قُتِل المجرم واقفاً. فانه لا يعني وقوفه بعد القتل، وإنما كونه واقفاً حين القتل.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾(٦١).

س ٥٠ ـ بما انّ الرغبة في تنويع الطعام مقتضى الطبيعة البشرية فلماذا أنّبهم موسى عليه السلام؟

ج ـ إن إنزال المن والسلوى عليهم إنما كان في ظرف طارئ حيث كانوا يهيمون آنذاك في الصحراء ـ في طريقهم إلى مصر وبيت المقدس ـ فمنّ الله عليهم بإنزال المنّ والسلوى لتهون عليهم فترة المكث في الصحراء بدلاً من تكلفّهم مؤنة توفير الغذاء هناك، فكان المفروض فيهم شكر هذه النعمة والرعاية الإلهية بدلاً مما دأبوا عليه من التعنت والجهالة وكفر النعم.

س ٥١ ـ كيف قال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ مع أنهم استبدلوا الذي هو خير ـ المن والسلوى ـ بالذي هو أدنى؟

ج ـ كلاّ، لأن البـاء الداخلة على اسـم الموصول ـ الذي هو خير ـ باء البدلية، والمعنى اختاروا الذي هو أدنى بدل الذي هو خير.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٦٢)

س ٥٢ ـ ألا تـدلّ هـذه الآية على أن أتباع الأديان السماوية يؤجرون في الآخرة ويأمنون العذاب إذا كانـوا صادقـين في إيمانهـم وصالحـين في أعمالهـم مثـل المؤمنـين ـ المسـلمين ـ، رغـم عـدم إيمانهـم بالإسـلام، باعتبار أن العطـف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه؟

ج ـ تـدل هـذه الآية عـلى أن أتباع الأنبيـاء في زمانهم الذيـن التزموا بدينهم يسـتحقون أجرهم، كما يستحق المسلمون ذلك، لكن ذلك لا يعني أن مـن يـصّر على الدين المنسـوخ ولم يؤمـن بالنبي اللاحق يسـتحق ذلك، وإلاّ لم تكـن هنـاك فائدة في إرسـال الرسـل بشرائع ناسـخة لما قبلها، لأنّ رسالة هؤلاء الرسل تشمل أتباع الدين السابق أيضاً، بل إنّ بعضهم يُبعث في وسـط أتباع الدين السـابق، مثل عيسـى عليه السلام الذي بعث في وسـط بني إسرائيل ودعاهم إلى الإيمان برسالته.

هـذا، وربّما يطلق على الذين أسـلموا منهم لفظـة اليهود والنصارى والصائبـين باعتبار قـرب عهدهم بأديانهم تلك، كما قـال تعالى ـ في حديثه

عـن اليهود ـ ﴿لَكِنِ الرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُـونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْـكَ وَمَا أُنْزِلَ مِـنْ قَبْلِكَ ...﴾ [١]، فاعتبرهم ـ مجازاً ـ من اليهود، مع أنهم قد أصبحوا مسلمين.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٦٦).

س ٥٣ ـ مـا هـي التي جعلهـا الله نكالاً؟ وكيف تكون كذلك؟

ج ـ تلـك الأمة التي مُسـخت جعلها الله تعـالى عبرةً للأمم المعاصرة والأمم اللاحقـة لها، يتعظ بذلك المؤمنون، وفي الحديث عن زرارة عن أبي جعفـر (الباقر) عليه السلام وابي عبد الله (الصـادق) عليه السلام في قولـه: **﴿فَجَعَلْنَاهَا نَـكَالاً لِّمَا بَـيـنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِـينَ﴾** قال: لما معها ينظر إليها من أهل القرى ولما خلفها قال: ونحن، ولنا فيها موعظة [٢].

﴿.. وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾(٧٤).

س ٥٤ ـ هـل الحجارة الثانية التي تشّـقّق مغايرة للأولى أو عينها؟

ج ـ الحجـارة الثانية إشـارة لمنبع العيون ونحوهـا، وهي تختلف عن

---

(١) سورة النساء: ١٦٢.

(٢) تفسير العياشي ١: ٤٦ حديث: ٥٦.

الأنهار المتدفقة، وبعض المفسرين اعتبر الأولى رمزاً للخير والنفع، والثانية رمزاً للمرونة والتفاعل مع العوامل المؤثرة بينما هؤلاء قلوبهم صلدة قاسية لا تستجيب لنداء الله تعالى، ولا نفع ولا خير فيها.

س ٥٥ ـ كيف تهبط الحجارة من خشية الله وهي جماد لا يعقل؟

ج ـ تضمنت بعض الآيات والنصوص نسبة بعض مراتب الإدراك والشعور لبعض الحيوانات والجمادات، بل لكل شيء كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(١) وقد أكدتها بعض النظريات الفلسفية، وسوف نشير إلى ذلك في محله(٢) ان شاء الله تعالى.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٧٥).

س٥٦ـهل تحريف البعض يقطع الأمل بإيمان الآخرين؟

ج ـ نعم، إذا كان التحريف من الكبار المطاعين فيهم ـ كما هو العادة ـ فمن الطبيعي أن يمنع ذلك إيمان أتباعهم المتأثرين بهم.

ويحتمل أن يكون قوله ـ في آخر الآية ـ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ راجعاً إلى العامة الذي كانوا عالمين بفسق أحبارهم وتحريفهم ـ كما نلاحظهم أحياناً في عصرنا حيث يذمّونهم ولا يثقون بهم ـ وجاء في الحديث: قال رجل للصادق عليه السلام: إذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب إلاّ

---

(١) سورة الاسراء: ٤٤.

(٢) يراجع صفحة: ٢٦٥.

بما يسمعونه من علمائهم فكيف ذمّهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟ وهل عوام اليهود إلاّ كعوامنا يقلّدون علماءهم ـ إلى أن قال ـ فقال عليه السلام: «بين عوامنا وعوام اليهود فرق من جهة... فانّ عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وأكل الحرام والرشا وتغيير الأحكام، واضطرّوا بقلوبهم إلى أنّ من فَعل ذلك فهو فاسق لا يجوز أن يصدَّق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمّهم..» (١).

﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(٧٦).

س ٥٧ ـ إلى من تشير هذه الآية مع أنّ موقف اليهود في عنادهم وجحودهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم معروف؟

ج ـ تشير الآية الكريمة إلى بعض اليهود الذين كانوا يتودّدون إلى المسلمين ويتظاهرون بالإيمان حتى إنّ بعض هؤلاء كان يحكي للمسلمين ما قرؤوه في كتبهم وما سمعوه من أحبارهم من ذكر أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعدما يخلون فيما بينهم يلوم بعضهم بعضاً أو يلومهم آخرون منهم على ذلك، ففي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين، إذا لقوا المسلمين حدّثوهم بما في التوراة من صفة محمّد فنهاهم كبراؤهم عن ذلك، وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمّد فيحاجوّكم به عند ربّكم. فنزلت هذه الآية» (٢).

---

(١) وسائل الشيعة ١٨: ٩٤. أبواب صفات القاضي الباب: ١٠ الحديث: ٢٠.

(٢) تفسير مجمع البيان: ٩/ ٦٥.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣)

س ٥٨ ـ بما انّ التولّي هو الإعراض فما فائدة قوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾؟

ج ـ قد يكون التولي بمعنى الإدبار، قال ابن منظور: (... وقد ولّى الشيء وتولى إذا ذهب هارباً ومدبراً...)[1] وبما ان جملة ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ حالية، فيكون المعنى: تولّيتم معرضين، وفي ذلك إشارة إلى أنّ إدبارهم وعدم التزامهم بالميثاق عن إعراض وإصرار منهم، لا بسبب نزوة أو في حالة طارئة.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...﴾(٨٥).

س ٥٩ ـ ما هو البعض الذي آمنوا به من الكتاب والبعض الذي لم يؤمنوا به؟

ج ـ كانوا يمارسون القتل والعدوان والتشريد فيما بينهم خلافاً لما أمرهم به الله تعالى، وعندما يؤسر بعض هؤلاء يدفعون الفدية لإطلاقهم

---

(١) لسان العرب: ابن منظور: ١٥/ ٤١٥.

ـ وهو ما أمر الله به ـ ولعلّ هذا الموقف منهم جزء من اعتزازهم القومي أمام غيرهم، بينما لا يطبّقون الضوابط الشرعية في تعاملهم فيما بينهم،إذ كانت تسود بينهم النفرة والضغينة والأهواء المختلفة، كما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ الله بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُون﴾ (٨٨).

س٦٠ـ ماهو هدفهم من هذا القول، وماذا يقصدون به؟

ج ـ هدفهم توجيه موقفهم الرافض للإيمان بالاسلام الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. والغُلْف جمع أغلف، قال ابن منظور: «وسيف أغلف وقوس غلفاء، وكذلك كل شيء في غلاف» [1]. ويقصدون هنا أنّ قلوبهم لا تستجيب لدعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهم للدخول في الإسلام فكأنها مغطاة ومحجوبة عن ذلك.

وهناك قراءة بضم اللام «غُلُف» فيكون جمعاً لغلاف، بمعنى أنّ قلوبنا أوعية للعلم ـ كما أنّ الغلاف وعاء ـ وأنّ ما يذكره محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لا ينسجم مع معلوماتنا، ولذلك لا نؤمن به.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ الله بَغْياً أَن يُنَزِّلُ الله مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾ (٩٠).

س٦١ـ كيف ينطبق شراء النفس الذي هو بمعنى حفظ النفس من الضلال مثلاً على موقف

---

(١) لسان العرب: ٩: ٢٧١.

اليهود المعاند للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ج ـ الاشتراء هنا بمعنى البيع ـ الذي هو من معاني الشراء والاشتراء لغةً ـ فاليهود حيث خسروا أنفسهم بسبب إصرارهم على الكفر برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بغيّاً وحسداً له صلى الله عليه وآله وسلم ـ لكونه من ذرية إسماعيل ولا ينحدر من سلالة إسحاق كما كانوا يترقبون ـ فكأنهم باعوا أنفسهم وخسروها، إذ استبدلوها بالكفر.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٩١).

س ٦٢ـ ما هو وجه الارتباط بين قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ...﴾ ومقدمة الآية مع أن هؤلاء لم يكونوا هم الذين قتلوا الأنبياء؟

ج ـ بعد أن رفض اليهود الإيمان برسالة الإسلام، وأصرّوا على الاقتصار على الإيمان بما أنزل عليهم، ردّت الآية الكريمة عليهم بأمرين:

أحدهما: انّ ما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصدِّق لما أنزل على أنبياء بني إسرائيل ـ كما كانت تؤكده مصادرهم وأحبارهم وبشاراتهم من قبل ـ فيفترض مبادرتهم إلى الإيمان به.

ثانيهما: إنّ ادعاءهم الايمانَ بما أُنزل على أنبيائهم غير صحيح، لأنّ تاريخ بني إسرائيل مليء بجرائم قتل هؤلاء الأنبياء الذين كانوا بين ظهرانيهم، وبالرغم من ذلك فأنّ ذريّتَهم يدّعون الإيمان من جهة ويعتزّون بأسلافهم ويَرون لبني اسرائيل تميّزاً عن غيرهم وأنهم شعب الله المختار من

بين الشعوب، فالرضا والاعتزاز بالأسلاف يصحّح انتساب أفعال أولئك وممارساتهم لهؤلاء، لأن المرء مع من أحبّ ـ كما جاء في الحديث [(١)] ـ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (٩٣).

س ٦٣ـ بما انه ليس المقصود من السماع هنا سماع الكلام فلابدّ أن يكون بمعنى الطاعة، وعلى هذا الأساس فكيف يجمع بين الطاعة والمعصية في قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾؟

ج ـ السماع يأتي بمعنى الاستجابة والقبول، قال ابن منظور: «ومنه الحديث: اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يسمع أي لا يستجاب ولا يعتدّ به، فكأنه غير مسموع...) [(٢)] وعلى هذا فيكون معنى الآية أنهم قبلوا الميثاق وتحمّلوا مسؤوليته ثمّ عصوا وتخلّوا عن ذلك.

واحتمل بعض المفسرين أن يكون قوله ﴿وَعَصَيْنَا﴾ حكاية عن فعلهم وما آل إليه من المعصية وليس هو حكاية عن قولهم.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ (٩٦).

س ٦٤ـ ما فائدة ذكر الذين أشركوا مع أنهم ضمن الناس؟

ج ـ التصريح بذكر المشركين لتأكيد حرص اليهود على الحياة، وأنه

(١) علل الشرائع: ٢/ ١٣٩.
(٢) لسان العرب: ٨/ ١٦٣.

أشـدّ من حرص المشركين عليهـا بالرغم من عدم إيمانهـم بالبعث والجزاء بعد الموت. كما حكى عنهم القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[١].

﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾(١٠٢).

س ٦٥ ـ بعد أن فرضهم عالمين بخسـارة نصيبهم في الآخرة كيف ينفي علمهم ببؤس وتفاهة الثمن الذي باعوا به أنفسهم؟

ج ـ لعّله إشـارة إلى ما يلاحظ لدى كثير من أتباع الأديان السـماوية ـ بمن فيهم المسـلمون ـ فإنّهم في الوقـت الذي يعرفون حرمة بعض الأعمال والعقـاب الذي يترتـب عليه، لكنّهم يسـتخفّون بها ويسـتهينون بالعقاب المترتب عليها، لعدم اسـتيعابهم لطبيعته ومداه وآثاره، فهؤلاء اليهود رغم علمهم بحرمة السـحر وخسـارة صاحبه يوم القيامة، لكنّهم لا يستوعبون مـدى تفاهـة الثمن الذي يبيعون به أنفسـهم، لعدم علمهـم بطبيعة ومدى العقاب الذي ينتظرهم جزاء عملهم هذا.

ويحتمـل أن يكون العلم المنفي عنهم هو العلم الذي يسـتتبع العمل أي التعقـل لا مجـرّد المعرفة، واسـتعمال العلـم بهذا المعنى شـائع في القرآن والسّـنّة، حيث ورد أنّ العقل ما عُبد به الرحمن، وقد أشـار إلى ذلك بعض علـماء اللغـة وغيرهم[٢]، ويؤيد ذلك قولـه تعـالى في الآية اللاحقة: ﴿وَلَوْ

---

(١) سورة الأنعام: ٢٩.

(٢) يراجع لسان العرب: ١٢/ ٤١٧.

أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ الله خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾(١) . إذ من البعيد انّ بنـي إسرائيل لا يعرفون أنّ المثوبـة المترتبة على الإيمان والتقوى خير من السـحر وغيره من المعاصي، لكنّهم حيث لم يعملوا على طبق علمهم، نفت الآية عنهم العلم بالمعنى الثاني ـ التعقل والوعي ـ.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾(١٠٨).

س ٦٦ـ لماذا استحقوا الذم لمجرّد سؤالهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ج ـ السـؤال هنـا بمعنـى الطلب، وقد ورد في سـبب نـزول الآية أنّ البعض قد طلب من رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يشـبه طلـب بني اسرائيل من موسـى عليه السلام بـأن يروا الله جهـرةً أو يجعل لهم آلهة أو يأتيهـم بالآيات التي يقترحونها، كما يشير إليه قولـه تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا الله أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قولـهمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**(٢) .

س ٦٧ـ التبـدل في اللغة بمعنى الاسـتبدال، فمن يستبدل الكفر بالإيمان كيف يكون ضالاً؟

ج ـ الاسـتبدال والتبـدل بمعنـى جعل الـشيء بـدلاً، وحيث كانت البـاء الداخلـة على «الإيـمان» باء البدل، فيكـون المعنى: ومـن يختار الكفر بـدل الإيمان فقـد ضـلّ، وهو نظـير قولـه تـعـالى: **﴿وَلاَ تَتَبَدَّلُـواْ الْخَبِيثَ**

---

(١) سورة البقرة: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة:١١٨

بِالطَّيِّبِ﴾ [١] أي لا تختاروا الخبيث وتجعلوه بدل الطيّب.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ..﴾ (١٤٣).

س ٦٨ـ ما معنى شـهادة هـذه الأمة على الناس، وشهادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الأمة؟

ج ـ كأن شهادة هذه الأمة ـ المؤمنة ـ على الناس باعتبار أنّ استقامتهم وإيمانهم بالرسـول صلى الله عليه وآله وسلم أسـقطا عذر الكافرين في كفرهم وضلالتهم، لأن إيمان المؤمنين يكشـف عن قيام الحجة وتمامهـا ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [٢].

وأمـا شـهادة الرسـول على الأمـة فباعتبار أنـه قد بلّغ رسـالات ربّه وأبلغهم تعاليمه، فلا يبقى عذر للجاحد والعاصي.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨).

س ٦٩ـ كيـف يفتـي الفقهـاء بوجوب السـعي بـين الصفا والمروة مـع انّ نفي الجناح ـ أي الذنب والمعصيـة ـ لا يعنـي وجوب السـعي بـل غاية ما

---

(١) سورة النساء: ٢.

(٢) سورة الأنفال: ٤٢..

يدل عليه هو جواز السعي وعدم حرمته؟

ج ـ ان الفقهاء لا يستندون في وجوب السعي إلى هذه الآية، بل إلى النصوص الواردة في السنّة التي تضمنت وجوب السعي بينهما في الحج والعمرة.

وأما اشتمال الآية الكريمة على نفي الجناح فكأنه يشير إلى خلفية وضع الصفا والمروة في عهد الجاهلية، حيث ذكر المؤرخون أن بعض عرب الجاهلية كانوا قد وضعوا صنماً اسمه «اُساف» على الصفا، وصنماً اسمه «نائلة» على المروة وهم يسعون ويتمسحون بهما، فكأنهما تحوّلا إلى رمزين للجاهلية وعبادة الأصنام، فلما أقرّ الإسلام تشريع السعي بين الصفا والمروة ضاقت نفوس بعض المسلمين من ذلك على أساس تلك الخلفية لهذين الجبلين، فنزلت الآية الكريمة لتؤكد موقعهما في الإسلام وأنهما من شعائر الله تعالى، وأن الممارسة الخاطئة للمشركين بوضع الأصنام عليهما لا يمنع من السعي إليهما ضمن التعبد المشروع لله في الحج والعمرة، وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام عن كيفية حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله فابدأ بما بدأ الله تعالى به، وإن المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾ (١).

س ٧٠ـ إذا كانت الآية تشير إلى السعي فلماذا قالت: ﴿يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ومعناه الدوران حولهما مع

(١) الكافي: ٤/ ٢٤٥.

أن السعي هو بين الصفا والمروة؟

ج ـ يبدو من بعض النصوص أن الآية الكريمة تشير إلى ما قبل تشريع السعي على كيفيته الفعلية، حيث كان النسك الدوران حول الصفا والمروة، ففي الحديث عن بعض أصحابنا عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سألته عن السعي بين الصفا والمروة فريضة هو أو سنّة ـ أي مستحب ـ؟ قال: فريضة. قال: قلت: أليس الله يقول: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ـ يقصد السائل أن الآية لم تفرضه وإنما أباحته ـ؟

قال: كان ذلك في عمرة القضاء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان شرطه عليهم ـ أي على المشركين قبل فتح مكة ـ أن يرفعوا الأصنام ـ أي عن الصفا والمروة ـ فتشاغل رجل من أصحابه حتى أُعيدت الأصنام، فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه، وقيل له: إن فلاناً لم يطف ـ أي بالصفا والمروة ـ وقد اعيدت الأصنام، قال: فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ أي والأصنام عليهما[(١)].

كما روي عن عروة عن عائشة ـ في حديث لها حول الآية الكريمة ـ «... إنما كان هذا الحيّ من الأنصار قبل أن يُسلموا يهلّون لـ «مناة» الطاغية التي كانوا يعبدون، عند المُشَلَّل ـ اسم جبل ـ، فكان مَن أهلّ لـ «مناة» يتحرّج أن يطوف بالصفا والمروة، فلّما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا كنّا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ...﴾ الآية، ثم سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطواف

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ٨٩.

بينهما، فليس ينبغي لأحد أن يدع الطواف بينهما[١].

فهاتان الروايتان تدلاّن على أن نزول الآية الكريمة قبل فرض السعي بين الصفا من جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وأنهما لا تتحدث عن السعي المعهود الآن بين المسلمين الذي شُرّع فيما بعد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦١).

س ٧١ـ كيف يفرض لعنة الناس أجمعين على الكافرين مع أن أصحاب دينه لا يلعنونه؟

ج ـ إما أن يقصد من الناس من يُعتنى بلعنه وهم المؤمنون، أو باعتبار أنّ أصحاب كل دين يعتبرون أنفسهم المؤمنين ويلعنون الكافرين، وبما انّ الكافرين بالله تعالى هم الكفار الحقيقيون فتشملهم في الحقيقة لعنة أبناء دينهم.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾(١٧١).

س ٧٢ـ كيف يشبّه الذين كفروا بمن ينعق، وينعتهم بعد ذلك بأنّهم صمٌّ بُكمٌ، والخَرس لا ينسجم مع النعيق؟

ج ـ هناك عدة تفاسير للآية منها:

الأول: انّه تشبيه لموقفهم من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بموقف البهائم من

---

(١) أحكام القرآن لأبي بكر بن عربي: ١/ ٤٦ ـ ٤٧.

الراعي فكما انّ البهائم لا تفهم شيئاً من الراعي ـ غير صوته ـ فكذلك هؤلاء الكافرون لا يستوعبون دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتعليمه لهم، وفي مجمع البيان قال قتادة: صُم لا يسمعون الحق، بُكم: لا ينطقون به، عُمي: لا يبصرونه... وإنما شبّههم الله بالصُم لأنهم لم يحسنوا الإصغاء إلى أدلة الله تعالى فكأنهم صمّ، وإذا لم يقرّوا بالله وبرسوله فكأنهم بُكم، وإذا لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض فكأنهم عُمي، لمّا لم تصل إليهم منفعة هذه الأعضاء فكأنهم ليس لهم هذه الأعضاء[1].

الثاني: انّ موقف هؤلاء الكفار في دعوتهم للأصنام كموقف الراعي في خطابه للبهائم فكما أنها لا تفقه كلامه، فكذلك الأصنام لا تفقه دعوة الكافرين وعبادتهم لها. فهؤلاء الكافرون في دعوتهم وعبادتهم لها لا يعقلون ولا ينتفعون بعقولهم وحواسهم فكأنهم فقدوها.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧٣).

س ٧٣ـ كيف استعمل أداة الحصر (إنما) مع انّ هناك أطعمة كثيرة محّرمة في الإسلام؟

ج ـ الحصر هنا إضافي أي نسبي باعتبار انتشار استخدام المذكورات في الآية آنذاك، ولا يعني حصر التحريم بها دون غيرها من المأكولات.

س ٧٤ـ جاء في بعض النصوص عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : الباغي: الخارج على الإمام،

---

(١) مجمع البيان: ١/ ١٤٧.

والعادي: اللص وحينئذٍ يطرح هذا السؤال لماذا يستثنى المضطر الباغي والعادي من نفي الإثم، وهو يعني الحكم بإثمهما مع انّه يجب عليهما حفظ النفس عند الاضطرار ولو بأكل المحّرمات؟

ج ـ أشار بعض الفقهاء إلى ثبوت حرمة الأكل للمضطر فيما إذا كان البغي أو العدوان هو منشأ الاضطرار للحرام[1]، وعلى هذا فيكون من الطبيعي أن يتحمّل الباغي والعادي مسؤولية ما يترتب على معصيتهما من آثار، وأما وجوب الأكل عليهما حفظاً للنفس فهو وجوب عقلي ترجيحاً لفعل الأخفّ حرمةً، وهو لا يتعارض مع تحمُّله مسؤولية أكل المحرَّم.

وهذا ينطبق على كل حالة يوقع الإنسان نفسه في الاضطرار إلى ارتكاب أحد فعلين محرَّمين، فيفرض عليه العقل أن يختار فعل الأخفَّ حرمةً من دون أن يرفع عنه مسؤولية عمله.

س ٧٥ـ بما انّ أكل هذه المحرَّمات محلَّل للمضطر ـ غير الباغي والعادي ـ فما معنى قوله: ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؟

ج ـ عند مراجعة المصادر اللغوية يتضح انّ مادة «غفر» لا تختص بستر الذنب، بل تأتي بمعنى أصلح، قال الفيروزآبادي: «غفر الأمرَ ... أصلحه بما ينبغي أن يُصلحَ به»[2] وعلى هذا فتشير الآية إلى ان الله سبحانه أصلح شأن عباده ورحمهم من خلال تجويز الأكل حفاظاً على أنفسهم وحياتهم.

---

(١) يراجع منهاج الصالحين لسماحة المرجع السيد محمد سعيد الحكيم: ٣/ ٢٣٠، وبداية المجتهد: ١/ ٤٩٨.

(٢) القاموس المحيط: ٢/ ١٠٦.

أو نقول انّ هذا المقطع يعود إلى مجموع الآية، بمعنى أنّه تعالى لرحمته أحلّ الطيبات وحرّم الخبائث في الدنيا، وإنه غفور يغفر ذنوب عباده ويسترها في الآخرة. والله العالم.

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء﴾ (١٧٧).

س ٧٦ـ لماذا لم يرفع «الصابرين» مع أنه معطوف على المرفوع فيقول: «... وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء...» وليس «الصابرون»؟

ج ـ المنصوب هنا ليس معطوفاً على المرفوع، وانّما هو منصوب على المدح ـ كما يسميه النحاة ـ فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره أعني أو أمدح، وهو مألوف عند العرب بل في موارد طول النعوت وتعدّدها يكون ذلك مفضّلاً عندهم، قال أبو علي: والأحسن في هذه الأوصاف التي تقطّعت للرفع من موصوفها والمدح أو الغض منهم والذم أن يخالَف بإعرابها، ولا تُجعل كلها جارية على موصوفها، ليكون ذلك دلالةً على هذا المعنى...[1].

ومن ذلك قول الشاعر ـ انشده الفراء ـ:

إلى الملِك القرمِ وابنِ الهمام   وليثَ الكتيبة في المزدحم

وذا الرأي حين تغمّ الأمور   بذاتِ الصليل وذات اللجم

فنصب «ليثَ» و«ذا الرأي» على المدح.

---

(١) مجمع البيان: ١/ ٤٧٤.

ومثله أيضاً قول الشاعر:

فليتَ التي فيها النجوم تواضعت ... على كلِّ غثٍّ منهم وسمين

غيوثُ الحيا في كل محل ولزبة ... اسودُ الثرى يحمينَ كلَّ عرين

فرفع «غيوث» و«اُسود» مع أنّهما وصفان في المعنى للمجرور.

﴿..وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧).

س ٧٧ ـ ما الفرق بين الباساء وحين البأس؟

ج ـ روي عن ابن عباس أن البأساء إشارة للفقر، والضراء إشارة للمرض وحين البأس إشارة للجهاد والقتال في سبيل الله[١].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى...﴾ (١٧٨).

س ٧٨ ـ يلزم على ذلك أن يكون القصاص واجباً مثل الصيام الذي قال تعالى عنه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ مع ان من حق ورثة المقتول طلب الفدية بدل القصاص؟

ج ـ المقصود هنا حق القصاص، فيلزم الإذعان بهذا الحق ويوكل استخدام هذا الحق إلى الولي، وهذا بخلاف الصيام فانّه عبادة وليس حقاً فامتثال أمره باتيانه لا بمجرد الاعتراف والإذعان به.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩).

س ٧٩ ـ إذا كان في القصاص حياة فكيف يكون

---

(١) التفسير الكبير: ٣/ ٤٥.

العفو خيراً منه، كما أشارت إليه الآية السابقة؟

ج ـ لم تتضمن الآية حصر الحياة في القصاص حتى يتعارض مع رجحان العفو، وإنما تعرضت لثمرة القصاص فقط دون العفو، باعتبار أن ثمرة العفو واضحة، بينما مصلحة القصاص قد تكون خفيّة. هذا بناءً على إرادة نفس القصاص.

والرأي الأرجح ان المقصود من القصاص هو حق القصاص لا تنفيذه، وأنّ شعور المجتمع بحقّ أولياء المقتول في القصاص ـ وإن عفى بعضهم ـ يمنع من الجريمة، ومن جانب آخر فانّ تشريع حق القصاص من القاتل نفسه دون غيره من أسرته وأقاربه بهدف الحدّ من حالات القتل الانتقامية لغير القاتل ـ كما كان وما زال سائداً في بعض المجتمعات ـ فأشارت الآية إلى حكمة وثمرة تشريع هذا الحق، من دون أن يعارض ذلك رجحان العفو الذي أشارت إليه الآية السابقة، لأن ثبوت الحق لا ينافي أفضلية العفو والتنازل عنه.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ..﴾(١٨٥).

س ٨٠ ـ كيف ينسجم مدلول الآية مع ما هو معروف من نزول القرآن تدريجياً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال عشرين سنة أو أكثر؟

ج ـ اختلفت النصوص وآراء المفسرين والباحثين في ذلك على عدة أقوال منها:

١ ـ ان القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى البيت المعمور،

ثم نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متفرقاً خلال ثلاثة وعشرين عاماً، وقد اختار هذا الرأي جماعة من المحدّثين وغيرهم اعتماداً على عدة نصوص، منها ما رواه الشيخ الكليني بسنده عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألتُه عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ وإنما أُنزل القرآن في طول عشرين سنة، بين أوله وآخره؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل في طول عشرين سنة...» (١).

وروى الطبراني وغيره عن ابن عباس أنه قال: «أُنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا» (٢).

٢ ـ ان المقصود هو ابتداء نزوله في شهر رمضان ـ وفي ليلة القدر بالذات ـ ونسب هذا الرأي لجماعة منهم الشعبي، قال الشيخ المفيد (رحمه الله): وقد يجوز في الخبر الوارد بنزول القرآن جملة في ليلة القدر أنه نزلت جملة منه ليلة القدر، ثم تلاه ما نزل منه إلى وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ...» (٣).

وقد وجّهه الشيخ معرفة بقوله: «لأن كل حادث خطير إذا كانت له مدة وامتداد زمني، فإنّ بدء شروعه هو الذي يسجّل تأريخياً، كما إذا سُئل عن تأريخ دولة أو مؤسسة أو تشكيل حزبي... فإن الجواب هو تعيين مبدأ الشروع أو التأسيس لا غير. وأيضاً فإن قوله تعالى: ﴿**أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ والآيات الأُخر حكاية عن أمر سابق لا يشمل نفس هذا الكلام الحاكي، وإلاّ لكان اللفظ بصيغة المضارع أو الوصف. فنفس هذا الكلام دليل على

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٦٢٨.

(٢) المعجم الكبير / الطبراني: ١٢/ ٢٦.

(٣) تصحيح اعتقاد الإمامية: ١٠٣.

أنَّ مـن القرآن ما نزل متأخـراً عن ليلة القدر، اللهم إلاّ بضرب من التأويل غير المستند»(١).

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ...﴾(١٨٧).

س ٨١ ـ ما معنى كون الزوجين لباساً لبعضهما؟

ج ـ إمـا باعتبـار التصاقهما ببعضهما كالتصاق اللباس بالجسـد، وإما باعتبار أن كلاًّ منهما يسـتر الآخر ـ من الحرام ـ كما يسـتر اللباس الجسد، أو لأنّ كلاًّ منهما لا يستغني عن الآخر، كما لا يستغني عن لباسه، ولذلك منّ الله سبحانه بتحليل العلاقة الجنسية بينهما في ليالي شهر رمضان.

س ٨٢ ـ ما هي الخيانة التي صدرت منهم؟

ج ـ ذكـر المفـسّرون أنّ بعـض المسـلمين كانـوا يجامعـون زوجاتهم سرّاً أبان تشريع حرمة ذلك في ليالي شـهر رمضـان قبل نزول آية التحليل، فخانوا بذلك عهد الإيمان والطاعة، وبسـبب انعكاس سـلبية ذلك عليهم فكأنّهم خانوا أنفسـهم، أو لكونهم كانوا يخدعون زوجاتهم بالتظاهر بعدم قصد الجماع وبعد ذلك يفاجئونهنّ بذلك.

س ٨٣ ـ أليس الخيط الأبيض هو الفجر الكاذب

(١) تلخيص التمهيد: ١/ ٦٨.

حيث يكون عموداً كالخيط، دون الفجر الصادق الـذي هو مبـدأ الصيام فإنـه ينتـشر في الأُفق ولا يظهر على شكل خيط وعمود؟

ج ـ كلاّ، لأنّ من معاني الخيط اللون، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: ﴿**الْخَيْـطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْـوَدِ**﴾ يعني الصبـح[1]. وقال ابن فارس: «والخيـط الأبيض: بياض النهار. والخيط الأسـود: سـواد الليـل. قال الله تعـالى: ﴿**وَاشْرَبُـواْ حَتَّى يَتَبَـيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيُـض مِنَ الْخَيْطِ الأَسْـوَدِ مِنَ الْفَجْـرِ**﴾. ويقال: لما يسـيل من لعاب الشـمس: خيطُ باطـل..»[2]. وقال ابـن منظور: «وقيل: الخيط: اللون، واحتج بهـذه الآية، قال أبو عبيد: يدل على صحة قولـه ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسـير الخيطين: إنما ذلك سـواد الليل وبيـاض النهـار، قال أميّـة بن أبي الصلـت: الخيط الأبيض: ضـوء الصبح منفلـق، والخيط الأسـود: لون الليل مركـوم. ويروى مكتـوم...»[3]. وفي الحديـث عـن عبد الله الحلبـي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سـألته عن الخيط الأبيض من الخيط الأسود، فقال: بياض النهار من سواد الليل[4].

﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (١٨٩).

س ٨٤ ـ لـماذا خصّ الحج بالذكـر مع أنّ الصيام

---

(١) العين: ٢٥١، مادة خيط.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٢٣٢.

(٣) لسان العرب: ٧/ ٢٩٩.

(٤) تفسير العياشي: ١/ ١٠٣.

موقّت بالهلال أيضاً؟

ج ـ لعلّه باعتبار التمهيد للآيات اللاحقة التي تتحدث عن الحج، فكان المناسب ذكره بالخصوص.

س ٨٥ ـ ما هي الفائدة والداعي لبيان عدم الارتباط بين البرّ وإتيان البيوت من ظهورها؟

ج ـ ذكر المفسّرون أنّ بعض أهل الجاهلية كانوا إذا أحرموا ينقبون خلف بيوتهم ويدخلون منها ويعتبرون ذلك من البّر ومستلزمات الإحرام، ويتجنّبون الدخول من الأبواب. وذكروا أيضاً أن المسلمين في أوائل الإسلام كانوا يفعلون ذلك، فأشارت الآية الكريمة إلى رفض ذلك وأنّه ليس من البرّ، ولكن البرّ بالتقوى.

﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٩٠ـ١٩٣).

س ٨٦ ـ بعد أن ذكرت الآية الأولى ان الله لا يحب المعتدين كيف يفرض أن العدوان قد لا يكون مرفوضاً من الله تعالى مثل العدوان على الظالمين،

والبـدء بقتـال الكافريـن إذا أصرّوا على كفرهم، كما تشير إلى ذلك الآية الأخيرة؟

ج ـ روي عـن ابن عبـاس ان الآية الأولى نزلت بعـد صلح الحديبية حيث تضمنّت بعض مواده أن يرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسـلمون إلى المدينة آنـذاك، ويعـودوا في العام المقبـل إلى مكة لأداء العمرة، وخشي المسـلمون أن لا تفـي لهـم قريـش بذلـك وأن يصدّوهـم عن المسـجد الحـرام، وكره رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتالهم في المسـجد الحرام، فنزلت الآيـة الأولى لتحدّد موقف المسـلمين مشـيرةً إلى قتال مـن يقاتلهم فحسـب، ومنعهم من قتال غيرهـم التزاماً بالعهد المبرم في الحديبية، لأنّ الغـدر بهم ومبادأتهم بالقتال اعتداء لا يحبه الله تعالى، بينما الآية الثانية نزلت بعد فتح مكة ونقض العهد من جانب المشركين، فلا يكون قتال المسـلمين لهم غدراً واعتداءً، وإنما من بـاب تحمّلهم للمسـؤولية وأداء واجـب الجهاد، ودعوة النـاس إلى الإيمان بالله وبرسـالة الإسـلام، ولإخلاء أرض الوحي من رجس الشرك وعبادة الأوثـان، خاصّـة انّ المشركـين كانوا قد بـدؤوا باخراج المسـلمين من مكّة وتعذيبهم في بدايات بعثة الرسول، إذن ليس المقصود من العدوان في الآية الأخـيرة هـو الظلم والاعتـداء ـ المبغـوض لله ـ وإنما هو السـبيل، قال ابن منظـور: «وقولـه تعالى: ﴿**فَـلاَ عُدْوَانَ إلاَّ عَـلى الظَّالِمِينَ**﴾ أي فلا سـبيل، وكذلك قولـه: ﴿**فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ**﴾ أي فلا سبيل عليّ» [1].

ويمكـن ان يكون إطـلاق العدوان على قتال الظالمـين باعتباره ردعاً وعقوبةً لظلمهم، وهو شائع في اللغة العربية، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُـمْ فَاعْتَـدُواْ عَلَيْـهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَـدَى عَلَيْكُمْ**﴾. قال ابن منظور: «سـماه

---

(١) لسان العرب: ١٥/ ٣٣.

اعتداءً لأنه مجازاةُ اعتداءٍ فسـمّي بمثل اسمه، لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان احدهمـا طاعـة والآخـر معصيـة، والعـرب تقـول: ظلمني فلان فظلمتُـه، أي جازيتُـه بظلمـه لا وجه للظلـم أكثر من هـذا، والأول: ظلم، والثـاني: جزاءٌ ليـس بظلم، وإن وافق اللفـظُ اللفظَ مثل قولـــه: ﴿وَجَزَاء سَـيِّئَةٍ سَـيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ السـيّئة الأولى سـيئة والثانية مجازاة وإن سمّيت سيّئة، ومثـل ذلك في كلام العرب كثير ... قـال الله تعالى: ﴿ومن يفعلْ ذلك يلْقَ أثاماً﴾ أي جزاءً لإثمه»[1].

س ٨٧ ـ مـا هو الهدف من قولـه ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَـدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾؟

ج ـ بعـد أن ذكرت الآية السـابقة أن الله لا يحب المعتدين، قد يتوهم الإنسـان أنّ الأمـر بقتـل المشركين أينـما ثُقفوا مـن الاعتـداء المبغوض لله، فأشارت هذه الآية إلى دفع هذا التوهم بأن فتنة المشركين بكفرهم أشد من القتـل، فلا يكون قتلهم ظلماً واعتداءً لأن الشرك ظلم عظيم، كما أشـارت إليه موعظة لقمان لولده ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾(١٩٦).

س ٨٨ ـ لـماذا قـال ﴿تِلْكَ عَـشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ مع أنّ ذلك واضح، وذكره لا فائدة فيه؟

ج ـ كأن هـذا التنصيـص للإشـارة إلى أن هذا التفصيـل في الصيام ـ

---

(١) المصدر السابق: ١٥/ ٣٤.

ثلاثة في السفر وسبعة بعد الحج ـ هو الفرض الواجب والكامل، لا أنّ صيام ثلاثة أيام في السفر مختص بحالة الاضطرار أو أنّ الإنسان مخيَّر في ذلك وبامكانه صيام عشرة أيام بكيفية أخرى.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾(٢٠٠)

س ٨٩ ـ لماذا هذا التأكيد على ذكر الله بعد المناسك في مقابل ذكر الآباء؟

ج ـ روى منصور بن حازم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كانوا إذا أقاموا بمنى بعد النحر تفاخروا، فقال الرجل منهم، كان أبي يفعل كذا وكذا، فقال الله جلّ ثناؤه **﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾**، قال: والتكبير «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام»[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٢٠٨).

س ٩٠ ـ كيف يتوجه هذا الأمر مع أنه لم يعهد من المسلمين مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإصرارهم على الحرب، وإذا كان السِّلم بمعنى الإسلام ـ كما جاء في بعض التفاسير ـ فكيف يتوجه أمر المؤمنين بالدخول في الإسلام؟

---

(١) الكافي: ٤/ ٥١٧. باب التكبير أمام التشريق.

ج ـ ذكرت عدّة معانٍ للسلم:

(منها) أنه بمعنى الاستسلام والانقياد، وذكروا أن سبب نزول الآية أنّ قوماً من اليهود أسلموا وأقاموا على تعظيم شرائع موسى عليه السلام فعظّموا السبت وكرهوا لحم الإبل وألبانها، وكانوا يقولون: ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام، وواجب في التوراة، فنحن نتركها احتياطاً، فكره الله تعالى ذلك منهم وأمرهم أن يدخلوا في السلم كافة أي في شرائع الإسلام كافة.

(ومنها): أنه بمعنى الإسلام بتعاليمه ورحابه، والمقصود في الآية الأمر بالتزام تعاليم الإسلام وأحكامه، فهو نظير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾(1). ويؤيده قوله فيما بعد: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (2).

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢١٣).

س ٩١ ـ ما فائدة قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ مع أنّ هذا واضح، إذ من الطبيعي وقوع الاختلاف بين أبناء المجتمع الذي يخاطب بالإيمان؟

---

(١) سورة النساء: ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٩.

ج ـ ليس هدف الآية تحديد من اختلف فيه ـ كما جاء في السؤال ـ بل الآية تتضمن ذمّ أحد الفريقين، وهو الفريق الذي خالف الحق بسبب البغي والحسد ونحو ذلك رغم قيام الحجة ومجيء البيّنات لهم.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(٢١٥).

س ٩٢ ـ كيف يكون الجواب بهذا مع أنّ سؤالهم كان عمّا ينفقونه؟

ج ـ بما أن السؤال عمّا يُنفَق يكشف عن جهل السائل بتحديد مصرف الإنفاق بطريق أولى، لذلك جاء الجواب ببيان ما يُنفَق ـ وهو الخير ـ بإيجاز ﴿ **مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ** ﴾ مع ذكر مصرف النفقة الذي هو أهم، وقد جاء في سبب نزول الآية أنّ عمرو بن الجموح كان شيخاً كبيراً ذا مال كثير فقال لرسول الله: يا رسول الله بماذا أتصدّق؟ وعلى من أتصدّق؟ فنزلت هذه الآية(١)، فيكون إيجاز الجواب عن نفس سؤاله في الآية والتعرض للمصرف لأجل ما ذكرناه من أهمية بيان مصرف النفقة.

﴿...أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٢١).

س ٩٣ ـ ما دام الداعي إلى الجنة والمغفرة هو الله فما معنى قوله: ﴿بِإِذْنِهِ﴾؟

---

(١) مجمع البيان: ٢/ ٥٤٧.

ج ـ الدعـوة هنا في الفعل لا في القول، بمعنى أنّ الارتباط بالمشركين يجـرّ الإنسـان إلى النـار تأثراً بهـم بينما إطاعـة الله والسـير في صراطه يوجه الإنسـان نحـو الجنة والمغفرة، ولكـي لا يتوهم أنه تعالى يجـبر المؤمنين على الطاعـة، قال (باذنه) يعني أنّ دور الباري سـبحانه هو الإذن والتيسـير من دون جـبر رغـم أن كل شيء خاضـع لقضائه وتقديره، فيكـون نظير قولـه تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ والله سبحانه يوفق السائرين في صراطه، كما أشار إليه قولـه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٢٢٢)

س ٩٤ ـ بعـد أن أمـر باعتـزال النسـاء مـا فائدة قولـه: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ﴾؟

ج ـ لتوضيـح أنّ المقصـود من الاعتزال تجنّب الممارسـة الجنسـية، لا تجنّب مجالسة المرأة ومؤاكلتها، كما كان يصنعه الجاهليون وغيرهم.

س ٩٥ـ لـماذا علّـق الأمر باتيانهنّ عـلى التطهير ـ بالماء أوغيره ـ بينـما اكتفى قبل ذلك بالطهارة من الحيض ـ اعتماداً على القراءة المشهورة (يطهُرنَ) ـ؟

ج ـ لعلّـه باعتبار أن حرمة الجماع تنتهي بمجرد الطهارة من الحيض، ولكنّه مكروه قبل التطهّر بالغُسـل، أو بغَسـل الموضع وتطهيره ـ كما ذهب إلى ذلـك بعض الفقهـاء ـ ولذلك لم يتوجه الأمر بالإتيـان والندب إليه إلاّ بعد الطهارة. وهناك آراء فقهية متعدّدة في المسألة.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾(٢٤٩)

س ٩٦ـ لماذا قال ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْه﴾ مع أنّ الماء يُشرب ولا يُطعم؟

ج ـ الطعم هنا هو التذوّق لا الأكل، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الطعم، طعُم كلّ شيء وهو ذَوقُه»[1].

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٢٥١)

س ٩٧ـ كيف يكون دفع الناس لبعضهم مانعاً من فساد الأرض؟

ج ـ لعلّه إشارة إلى طبيعة الإنسان الاجتماعية التي أودعها الله سبحانه فيه وما تستتبعه من اعتماد نظام اجتماعي يمنع الفوضى والانفلات المؤدي إلى الفساد. وقد روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «لابدّ للناس من أمير بر أو فاجر»، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وقد يكون إشارة إلى أن الحياة الدنيا ابتنت على عدم التدخل الإلهي المباشر لردع الظالمين والمفسدين، وإنما يحمّل المؤمنين مسؤولية ذلك، فمن خلال جهادهم تسلم الأرض من الفساد وعموم الطغيان فيها، فيكون هذا

---

(١) ترتيب كتاب العين: ٤٤٨.

المقطع من الآية الكريمة توجيهاً للأمر الإلهي بالجهاد رغم ما يستتبعه من عناء المجاهدين وتضحيتهم ـ مثل معاناة طالوت وصحبه التي أشارت إليها الآيات السابقة ـ فتكون الآية نظير قوله تعالى : ﴿ وَلَولا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا﴾[١].

﴿وَلَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾(٢٥٣)

س ٩٨ ـ لماذا كرر قوله ﴿وَلَوْ شَاء اللهُ﴾؟

ج ـ لعلّه للتأكيد والتنبيه إلى أنّ مشيئة الله تعالى لا تقتصر على مرحلة إنزال البيّنات التي أدّت إلى اختلافهم، وإنما بعد اختلافهم أيضاً لولا مشيئة الله لم يتقاتلوا، فيكون في ذلك تأكيد على فاعلية المشيئة في كل مرحلة وكل فعلٍ إنساني ـ من دون إجبار وقسر طبعاً، كما هو موضح في محلّه ـ .

﴿اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾(٢٥٥)

س ٩٩ـ نفي السِّنَة عنه تعالى يقتضي نفي النوم عنه بطريق أولى، لأن مَن ينزّه عن السَّنَة ـ النعاس ـ فهو منزّه عن النوم بطريق أولى، فهلا قال (لا يأخذه نوم ولا سِنة) ليصحّ الترقي؟

---

(١) سورة الحج : ٤٠ .

ج ـ الجواب عن ذلك بوجهين :

الأول : إن عطف الأعظم أو الأشد على الأخف في النفي يقتضي النفي المطلق لكل ما هو من ذلك الجنس، بينما عطف الأخف أو الأقل على الأشد والأكبر لا يدل إلاّ على نفي المذكور في الكلام فحسب. فإذا قلت : فلان بخيل لا يعطي ديناراً ولا درهماً فانه يدلّ على عدم إعطاء أحدهما فحسب ولا ينفي إعطاء الفلس، بينما إذا قلت : فلان بخيل لا يعطي درهماً ولا ديناراً فهو يدل على نفي الإعطاء مطلقاً حتى الفلس، ففي الآية الكريمة بما أن الهدف بيان القيمومة الدائمة لله ونفي كلّ ما ينافيها مثل النوم والسنة و الغفلة وغيرها، فلو قال: (لا يأخذه نوم ولا سنة) فانه لا يدل على ذلك بل يقتضي نفي السنة والنوم عنه فحسب، بينما قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ يقتضي النفي المطلق فيشمل نفي الذهول والغفلة أيضاً، ما أعطيت درهماً ولا ديناراً، كما ذكرناه آنفاً.

الثاني: أنّ الآية استخدمت لفظة (لا تأخذه) وهي تتضمن معنى نفي الاستيلاء والسيطرة، فكان مقتضى الترقي أن يكون نفي سيطرة الأشد ـ النوم ـ بعد نفي سيطرة الأخف، كما تقول: لا يصرعني الذئب ولا الأسد، ولو قدّم نفي سيطرة النوم على نفي السِّنة لم يصح الترقي. وهذا الوجه أرجح من الأول.

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦).

س ١٠٠ ـ كيف ينفي الإكراه في الدين مع أنه

تعالى قال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؟

ج ـ الآية الكريمة تشير إلى أن الدين إنما يكون بالاختيار لا بالإكراه، وأن من يروم إكراه الآخرين على الدخول في دين الإسلام ـ كما جاء في بعض روايات سبب نزول الآية ـ فان جهده غير مثمر، لأن الله لم يشأ أن يجبر عباده على الدين وانما مَنّ على عباده فأوضح لهم سبيل الرشاد من غيره، ويبقى عليهم أن ينصاعوا لعقولهم ويتّبعوا الحجة والبرهان، ليقطف المؤمنون في الآخرة ثمرة إيمانهم، بينما يواجه أتباع الطاغوت مصيرهم القاتم **﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[1].

وليست الآية بصدد تحديد الموقف الشرعي من الكافرين حتّى تعارض الآيات التي أمرت بقتال المشركين.

س ١٠١ـ كيف يكون الدين تابعاً لاختيار الشخص مع أن تديّن كلِّ إنسان تابع لتفاعله مع الحجة والدليل، فمتى وُجد البرهان والدليل الشافي على أصول العقيدة تترتّب عليه قناعة الإنسان وإيمانه قهراً ولا يكون أمامه خيار آخر.

وبتعبير آخر: إن حصول العلم لدى الإنسان ليس باختياره، وإنما هو تابع لقيام الدليل الموجب للعلم؟

ج ـ كلاّ، لأن التديّن ليس هو مجرّد العلم بأصول العقيدة، وإنما هو الاذعان والخضوع النفسي لما دلّ عليه الدليل ويتقّنه الإنسان، وهذا

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٧.

الخضـوع أمر اختياري، ولذلك نجـد البعض يختار الجحود بالحق ويكابر، فـلا يكـون متديّناً رغـم توفر اليقـين لديه، كما قـال تعالى: ﴿وَجَحَـدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ...﴾ (٢).

﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥٧).

س ١٠٢ ـ ما هي الظلمات التي كان فيها المؤمنون وما هـو النـور الـذي كان فيـه الكافـرون حتّـى أُخرجوا منهما؟

ج ـ بـما أنّ الآيـة بصـدد المقارنـة بين المؤمنـين والكافرين فـكأنّ من أوصـل كلّ فريق إلى غاية معينة يكون قد أخرجه من مصير الفريق الآخر، كما تقول: (أخرجت صديقي من الفتنة)، إذا منعته من الدخول فيها وليس بالضرورة أن يكون قد افّتتن من قبل وأخرجتَه من الفتنة. فيكون الإخراج هنـا بمعنى المنع من الدخول . فالله سـبحانه حيـث يهدي المؤمنين إلى النور ويجنّبهـم الظلمات فيكون قد أخرجهـم منها. وبالعكس موقف الطواغيت من أوليائهم حيث منعوهم من نور الإيمان.

ولعـلّ المقصود من الآية: أن الله يخرج المؤمنين من ظلمات الجهل إلى نـور الإيـمان، وانّ الطاغوت يحجب أولياءه ويبعدهـم عن نور الهداية التي تتضمنها آيات الله ودلالاته ويجرّهـم إلى ظلمات الكفر والباطل.

---

(٢) سورة النمل : ١٤.

س ١٠٣ ـ لماذا ذكر النور بصيغة المفرد والظلمات بصيغة الجمع؟

ج ـ لأن النور كناية عن الصراط المستقيم وهو واحد، بينما الظلمات كناية عن سبُل الباطل وهي متعددة ومتنوعة.

س ١٠٤ ـ لماذا قال: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ ولم يقل (اولياؤهم الطواغيت)؟

ج ـ لأن الطاغوت مصدر ـ بصيغة المبالغة ـ يطلق على المفرد والجمع، فلا موجب لصيغة الجمع، ويجمع الجميعَ هذا العنوان الذي يعني طغيانهم على الحق.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٨).

س ١٠٥ ـ لماذا بُهت الذي كفر مع أنه كان يمكنه أن يعترض على إبراهيم ويطالبه أن يأتي الله بالشمس من المغرب؟

ج ـ كلاّ، فانّ عجزه عن إتيان الشمس من المغرب كافٍ في نفي ربوبيته، وأما دعوى إبراهيم عليه السلام فهي أن الله تعالى قدّر ظهور الشمس من المشرق منذ خلق الأرض والشمس وقبل وجود نمرود، لمصالح معيَّنة وضمن نظام كوني دقيق ومحكم، من دون أن يكون لعباده ـ بمن فيهم إبراهيم ـ تأثير في تغيير نظام التكوين، فهو لم يدّع أنّ التقدير الإلهي خاضع لإرادته الشخصية حتّى يطالبه نمرود بشروق الشمس من المغرب. بينما يدعي نمرود أن الكوت تابع لمشيئته، فيفترض أن يُثبت ذلك عندما تحدّاه إبراهيم عليه السلام.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٥٩).

س١٠٦ـ كيف يسأل عُزير أو أرميا ـ كما جاء في بعض النصوص ـ ذلك مع أنه يقتضي التشكيك بالمعاد؟

ج ـ كلاّ، فانه للاستيضاح واطمئنان النفس برؤية الأمر العجيب، نظير سؤال إبراهيم عليه السلام في الآية اللاحقة. أو نقول: انّ السؤال عن كيفية حدوث الأمر العجيب ـ خاصة مثل الإحياء بعد الموت الذي هو في غاية الغرابة ـ لا يعني التشكيك في أصل حدوثه، بل مجرّد التحيّر والانبهار بكيفيّة تحققه، علماً ان لفظة (أنّى) بمعنى كيف، فيكون سؤالاً عن كيفية الإحياء لا عن أصله. ولعلّ قوله ـ في الآية ـ ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ حيث لم يقل (علمت) يشهد لما ذكرناه من أنه كان ـ من أول الأمر ـ عالماً بقدرة الله تعالى قبل أن يشاهد آثارها، لا أنّ علمه حدث فيما بعد.

س ١٠٧ ـ لماذا لم يتّم تذكيره عقيب سؤاله بمراحل خلق الإنسان والحيوان كما قال تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾(١)، بدلاً من تأخر ذلك إلى مائة عام من سؤاله أي بعد إماتته وإحيائه؟

ج ـ أشرنا قبل قليل أن سؤال عزير لم ينبع من تشكيكه بقدرة الله تعالى وبالمعاد حتى يقدَّم له الدليل على ذلك، وإنما كان تعجّبه وعدم استيضاحه لكيفية المعاد، لذلك كان المناسب أن يتلمّس الإحياء بعد الموت بنفسه، ثم تذكيره بعموم قدرة الله تعالى من خلال دعوته لملاحظة مراحل خلق الحيوان.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١)

س ١٠٨ ـ ما وجه هذا التحديد بالسبعمائة؟

ج ـ باعتبار أن المنتوج الجيد للحبة يكون بهذا المقدار. وقد أكد أحد المهندسين الزراعيين أن هذا المقدار من المنتوج مألوف في الحنطة والشعير والرز، خاصة الحنطة ـ كما قال ـ.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٦٢).

س ١٠٩ ـ إذا كان المنّ خصلة غير حميدة فكيف يثبتها الله لنفسه في عدة آيات مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [1]، وقوله تعالى ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [2]؟

ج ـ يستعمل المَنّ بمعنيين: أحدهما نفس الإنعام، والثاني أن تكبر النعمة في نفس المنعم فيصاحب ذلك الفخر وتقريع من يُنعم عليه، فالأول محمود وليس مذموماً، بينما الثاني مذموم يُنزَّه عنه الباري، فانه تعالى لا يقرّع عباده بنعمه عليهم، ولا تكبر هي في نفسه، نعم قد يطلق المَنّ على تذكير العباد بالنعم الوفيرة عليهم ليحفّزهم ذلك على استقامتهم وتَحمُّل مسؤولياتهم في طاعته بما يعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة من دون أن يطالبهم بما يقابله لنفسه، وهذا ليس أمراً مذموماً حتى يمتنع في حقه تعالى.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(٢٦٦).

س ١١٠ ـ لماذا خّص النخيل والأعناب بالذكر مع كون الجنّة المفروضة حاوية لكلّ الثمار؟

ج ـ لعلّه باعتبار اشتمال هذين على النَّور والظلال، فيضيفان ـ خاصة في نفوس المخاطبين ـ على الجنّة سحراً وروعة، مِن بين أشجار الثمار المنتشرة عندهم.

---

(١) سورة آل عمران : ١٦٤.

(٢) سورة الحجرات : ١٧.

س ١١١ـ ما هو الهدف من هذا المثل الذي تضمنته الآية الكريمة؟

ج ـ بعد أن تعرضت الآيات السابقة إلى أنحاء الإنفاق وأن منه الإنفاق رياءً ومنه الإنفاق في سبيل الله، تضمن هذا المثل أهمية الإنفاق في سبيل الله الذي يكون ذخراً للإنسان في آخرته حيث تشتد حاجته هناك لثمار أعماله في الحياة الدنيا، بينما من لا ينفق في سبيل الله لا يدّخر ليوم فاقته ما ينفعه آنذاك، فيكون نصيبه الندم و الحسرة مثل الذي يخسر كلّ أمواله الطائلة في حال كبره واشتداد حاجته إليها للإنفاق منها على نفسه وعائلته.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦٨).

س ١١٢ ـ أليس المقابل للفقر هو الغنى، والمغفرة أجنبية عنه فلماذا ذكر الوعد الإلهي بالمغفرة في مقابل وعد الشيطان بالفقر؟

ج ـ كلاّ، لأن الآية ترتبط بإنفاق الكسب الطيّب في سبيل الله، فالشيطان يصدّ عنه من خلال دعوته الإنسان لعصيان الأمر الإلهي، ووعده إيّاه بالفقر والفاقة إن أنفق في سبيل الله، بينما الله تعالى يحثّ الإنسان على الإنفاق من خلال وعده بالمغفرة له في الآخرة والإفضال عليه في الدنيا.

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢٧٣)

س ١١٣ـ عدم إلحاحهم بالسؤال يوحي بأنهم

يسـألون النـاس مـن دون إلحـاح، فكيـف ينطبق عليهـم قولــه ﴿يَحْسَـبُهُمُ الْجَاهِـلُ أَغْنِيَـاءَ مِـنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِـيمَاهُمْ﴾ الذي يقتضي أنهم لا يسألون الناسَ أصلاً ؟

ج ـ قولـه ﴿لا يَسْـأَلونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ بصدد نفي الحالة الشائعة بين كثـير من الفقراء من الإلحاح بالسـؤال لرفع الفاقـة المادية التي يواجهونها، وجـاءت هذه الفقرة ﴿يَحْسَـبُهُمُ الْجَاهِـلُ أَغْنِيَـاءَ مِنَ التَّعَفُّـفِ...﴾ لتأكيد تعفّفهـم الذي وصفهم به مـن قبل، ويدل على عدم سـؤالهم الناس وعدم إظهار فقرهم. فهو نظير أن تقول: فلان مهذّب وليس فحّاشـاً ـ إذا كان في مجتمـع اعتادوا على الفحش ـ فانه لا يدل عـلى صدور الفحش القليل منه، بل على مجرّد استثنائه منهم تأكيداً لتهذيبه.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٤)

س ١١٤ ـ لماذا ذكر الإنفاق علانية مع أن الإنفاق سرّاً أفضل؟

ج ـ الآيـة بصدد مـدح الذين يداومـون على الإنفـاق، فينفقون كلّما تحقـق موجبه، ليلاً ونهـاراً سراً وعلانيـة، طاعة للإمر الإلهي فحسـب من دون ضميمـة أخرى. وعن أبي إسـحاق أن الآيـة نزلت في علي عليه السلام حيث أنفق في الليل والنهار سراً وعلانية[1].

(١) تفسير العياشي : ١ / ١٧١.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥) .

س ١١٥ ـ ما هو وجه الشبه بين المرابي وبين المصروع أو المجنون ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾؟

ج ـ إن تراكم أموال المرابي بسبب الربا ينمي في نفسه حبّ المال حتى يتهالك على جمعه ويصبح ذلك همَّه ومحور تفكيره وسعيه إلى أن تعمى بصيرته وينعدم شعوره الإنساني، ولذلك نجد المرابي لا يتورّع عن مراباة من يضطر إلى اقتراض قليل من المال لعلاج أو سدّ رمق أو غير ذلك، ولتوجيه مشروعية الربا يقول هؤلاء المرابون: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ﴾(٢٨٢).

س ١١٦ ـ ما فائدة قوله ﴿بِدَيْنٍ﴾ مع أنّه معلوم من قوله ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾؟

ج ـ قيل: لأن التداين يأتي بمعنى التعامل، فذكر الدَّين لتوضيح المقصود وهو القرض دون التعامل التجاري. ولعلّ فائدته أن يرجع ضمير ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ إليه، إذ لو لم يذكره لقال: فاكتبوا الدّين، والأوّل أحسن نظماً[١].

---

(١) يراجع تفسير اسئلة القرآن الكريم وأجوبتها : ٢٣.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٤).

س ١١٧ ـ كيف ينسجم ذلك مع ما دلّ من أنّ الله لا يحاسب الإنسان على نيّة المعصية؟

ج ـ ليس كل ما في النفس لا يحاسب عليه الإنسان، إذ هناك كثير من المحرّمات من أفعال الجوانح مثل سوء الظن بالله والانحراف العقائدي، كما أنّ اختلاف النوايا قد يوجب اختلاف حكم الفعل الواحد مثل التقرب لله بالعبادة والرياء بها، ففي الحالة الأولى تكون مطلوبة وفي الحالة الثانية تكون محرّمة، فالآية بصدد بيان عموم قدرة الله تعالى وانّه عالم بخفايا النفوس كما يعلم بالأمور الظاهرة.

ولعلّ في هذه الآية ـ إضافة لذلك ـ إشارة إلى أن مخالفة التكاليف الإلهية التي أشارت إليها الآيات السابقة لا تخفى على الله سبحانه سواء منها المعاصي الظاهرة أم غيرها، مثل كتمان الشهادة، حيث يخفي الشاهد شهادته أمام الناس والقضاء، لكنّها لا تخفى على الله تعالى، فيحاسبه على ذلك يوم القيامة.

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨٥).

س ١١٨ ـ كيف يقول ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾ مع

أن لفظة (بين) لا تضاف إلاّ إلى الاثنين أو أكثر؟

ج ـ قال الزمخشري: (أحد) في معنى الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ولذلك دخل عليه «بين» (١).

﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٢٨٦).

س ١١٩ ـ بما أن الناسي معذور في مخالفة التكليف فما معنى قوله ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾؟

ج ـ باعتبار أنّ سبب النسيان قد يكون هو الإهمال وعدم الشعور الكافي بمسؤولية التكليف الإلهي، فيستحق بذلك العقاب أو العتاب فيصحّ الدعاء بعدم المؤاخذة، ومن دلائل الإهمال المذكورة كثرة النسيان والغفلة، بعكس من كان عل درجة عالية من الاهتمام والشعور بالمسؤولية، إذ قلّما ينسى الإنسان ما يحرص عليه ويشعر بأهميته.

س ١٢٠ ـ كيف ينسجم قوله ﴿وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ مع حكم العقل باستحالة التكليف بما لا يطاق؟

ج ـ ليس المقصود ما يستحيل تحمّله لأن صدر الآية شاهد على

---

(١) الكشاف: ١ / ٣٣١.

عـدم التكليـف بـه، بـل المقصـود ما فيـه مشـقّة كبـيرة حيث قـد يضعف أمامها الإنسـان، واسـتعمال هذا اللفظ بهذا المعنى شـائع في النصوص وفي الاسـتعمالات العرفيـة المتداولة، كما تقـول لا أطيق تحمُّـل الألم، ولا أُطيق الحرّ أو البرد بمعنى الضعف وعدم الصمود.

وكأن الآيـة تشـير إلى طلبهـم مـن الله سـبحانه أن لا يكلّفهـم بما لا ينسجم مع ظروفهم ووضعهم كي لا ينهاروا أمام مشقته فيرتكبوا المعصية لضعفهم، وكم شاهدنا أُناساً مؤمنين قضوا فترةً طويلة من حياتهم في طاعة الله، لكنّهـم انهاروا في مواجهة ظروف معيّنة لم يحصّنوا أنفسـهم ولم يتهيأوا لمواجهتهـا من قبل، ولذلك ينبغي للمؤمن أن يتهيأ لمواجهة الفتن المتنوعة، لأنـه لا يعرف نصيبه منها، ولا يغترّ بصموده ونجاحه في تحمّل محنة معيّنة، ويسأل الله ـ بدلاً عن ذلك ـ أن لا يُحمّله ما يضعف عن حمله، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين أبداً، مع خلوص النيّة وصدق التوكّل.

ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً ﴿ **رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾[1].

سورة آل عمران

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (٣ ـ ٤).

س ١٢١ ـ ما هو الفرقان ؟ وإذا كان المقصود منه القرآن فلماذا ذكره مرتين؟

ج ـ قد يكون المقصود منه كلّ ما يفرّق بين الحق والباطل، فينطبق على غير القرآن أيضاً، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١].

ويمكن أن يكون إشارة إلى القرآن أو إلى الآيات المحكمة منه، وإنما ذكره لكي لا يتوهّم أنّ دور القرآن مجرّد تصديق ما قبله من الكتب، فيكون ذلك ذريعةً لأهل الكتاب لعدم الإيمان به والاكتفاء بما عندهم، فأكد هنا أنه ـ بالإضافة إلى ما فيه من تصديق ما قبله ـ فرقان بين الحق والباطل. وفي الحديث عن عبد الله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «هو ـ الفرقان ـ كلّ أمر محكم، والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدّق فيه من كتاب قبله من الأنبياء» [٢].

---

(١) سورة البقرة : ٥٣.

(٢) تفسير العياشي : ١٨٥ .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧).

س ١٢٢ ـ ما معنى المحكم والمتشابه من الآيات؟

ج ـ الآيات المتشابهة هي الآيات المجملة أو التي تنافي بظاهرها بعض المفاهيم أو الأحكام الإسلامية التي دلت عليها الأدلة المعتبرة ـ سواء كان القرآن الكريم نفسه أم السنّة أم حكم العقل اليقيني ـ فتوجب وقوع الإنسان في الالتباس وسوء الفهم مما يفتح المجال للمنحرفين كي يبثّوا سمومهم ويثيروا الشبهات حول القرآن الكريم أو الإسلام وبعض تعاليمه، وفي مقابلها الآيات المحكمة التي لا توجب الالتباس المذكور.

وقد أمر الله تعالى المسلمين أن يتعاملوا مع الآيات المتشابهة بالوعي والمسؤولية، فيجتنبوا تأويلات المنحرفين، و يؤمنوا بها إجمالاً موكلين تحديد معانيها التفصيلية لله سبحانه، ولو من خلال من خصّهم بتعليمها.

ورغم وجود الآيات المتشابهة فانّ القرآن يبقى كتاب هداية للبشر، لأن الآيات المحكمة والنصوص التفسيرية المعتبرة وافية بذلك، ولذلك وصفت المحكمات بأنها أُم الكتاب، فانّ الأُم هو الأصل الذي يكون منه الشيء [١].

---

(١) لمعرفة المزيد حول المحكم والمتشابه يراجع كتاب (علوم القرآن دروس منهجية) للمؤلف: ٥٢.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٩).

س ١٢٣ـ كيف ينفي الريب عن يوم القيامة وقد ارتاب فيه بل أنكره كثير من البشر؟

ج ـ لعلّه باعتبار أنه ليس محلاً للريب، فلا ينبغي الريب فيه بعد أن قامت الحجج على أنّه ميعاد الله. أو باعتبار أن هذه الآية حيث كانت حكاية عن قول المؤمنين فالمقصود من عدم الريب عدم الريب عندهم في يوم القيامة.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٣)

س ١٢٤ـ ما هي الآية في ذلك؟ ومن هو المقصود في هذا الخطاب؟

ج ـ ذكر بعض المفسرين أن المخاطبين هم اليهود الذين نقضوا العهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم استهواناً منهم بالمسلمين وبقوتهم، فذكّرهم الله تعالى بانتصار المسلمين ـ رغم قلتهم ـ على المشركين في بدر رغم أن هؤلاء كانوا أكثر منهم عُدّة وعدداً. وفي ذلك تحذير لهؤلاء اليهود ناقضي العهد وآية لهم.

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨).

س ١٢٥ ـ لماذا كرّر ﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ في الآية؟

ج ـ الثانية تأكيد للحقيقة وتصديق شهادة الله تعالى المتقدمة، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [(١)]، فان قوله ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ يؤكد التزامه بقول الحق تأكيداً للقول المتقدم.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى...﴾(٣٦).

س ١٢٦ ـ ما الفائدة من ذكر ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ مع وضوح ذلك؟

ج ـ ليس الغرض بيان الاختلاف بين الذّكر والأُنثى، وانّما الإشارة إلى أن نذر أم مريم بجعل جنينها خادماً للمسجد كان اعتماداً على توقعها أن يكون ذكراً، فلمّا تبيّن أنّه أنثى لم يمكنها تطبيق النذر ـ بناءً على ما روي من اختصاص مثل هذا النذر بالذكور في شريعتهم ـ.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٨).

س ١٢٧ ـ ما هو وجه الارتباط بين ما شاهده زكريّا من فضل الله على مريم وبين رغبته بالذريّة؟

ج ـ إمّا لكون الرعاية الإلهية المتميّزة لمريم قد أكّدت رغبته في الذرّية الطيّبة، أو أن ما شاهده من النعمة الإعجازية بإنزال المائدة على مريم، قد حفّزه على الدعاء بالولد الصالح ـ رغم يأسه من قبل، بسبب شيخوخته

---

(١) سورة ص: ٨٤ ـ ٨٥.

هو وزوجته ـ عسى أن يستجيب الله دعاءه كما أنزل المائدة على مريم.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء﴾ (٤٠).

س ١٢٨ ـ بعد أن دعا الله بالولد وجاءته البشارة كيف يستبعد ذلك؟

ج ـ ليس هناك استبعاد بل قد يكون ذلك من باب مجرّد التعجب عندما فوجئ بالبشارة، وقد يكون استفساراً عن كيفية ذلك، وأنّه هل يكون من زوجته العاقر أو غيرها، أو هل يكون ذلك في حالة الشيخوخة أو يرجعهما الله شابين. علماً أنّ لفظة «أنّى» بمعنى «كيف» وذلك ينسجم مع السؤال عن الكيفية، كما ينسجم مع التعجب.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ (٤١).

س ١٢٩ ـ كيف يكون الصوم بترك الكلام آية وعلامة؟

ج ـ لم يكن ذلك صوماً من زكريا، إذ ليس المقصود أنه كان منهيّاً عن الكلام وأنّه ترك الكلام باختياره، وإلاّ لكان المناسب أن تكون (لا) ناهية، والفعل بعدها مجزوماً لا منصوباً، بل المقصود أنّه عاجز تكويناً عن الكلام المرتبط بالشؤون الدنيويّة خلال هذه الأيام، فكان عجزه عن الكلام خلال هذه الفترة علامة وآية على تحقق الوعد الإلهي له بالذرية.

س ١٣٠ـ إذا كان عاجزاً عن الكلام فكيف يؤمَر بالذِّكر والتسبيح؟

ج ـ يمكن أن يكون الأمر بالذِّكر والتسبيح في غير هذه الأيام الثلاثة، أو انّه كان عاجزاً عن الكلام في شؤونه الدنيوية وقادراً على الذكر والتسبيح. ففي الحديث عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ زكريا لمّا دعا ربّه أن يهب له ذكراً فنادته الملائكة بما نادته به أحبّ أن يعلم أن ذلك الصوت من الله، أوحى إليه أنّ آية ذلك أن يُمسَك لسانُه عن الكلام ثلاثة أيام، قال: فلما أمسك لسانه ولم يتكلم علم أنه لا يقدر على ذلك إلا الله. وذلك قول الله: ﴿رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾ [1].

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢).

س ١٣١ـ لماذا تكرر ذكر الاصطفاء في الآية؟

ج ـ حيث ان الأول غير متعدٍّ والثاني متعدٍّ بحرف الجر فلعلّ الاصطفاء الأول إشارة إلى قبولها لخدمة بيت الله رغم كونها أنثى، كما قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ بينما الاصطفاء الثاني تمييزها على النساء بولادة عيسى عليه السلام من دون بعل.

س ١٣٢ ـ ألا يدل اصطفاء مريم على نساء العالمين على تفضيلها على فاطمة الزهراء عليها السلام مع أنها ورد في حقها أنها سيدة نساء العالمين أيضاً؟

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ١٩٦.

ج ـ الاصطفاء لا يدل على التفضيل من جميع الجهات، لأن الاصطفاء هو الاختيار [١] والتمييز، فاختيارها وتمييزها بولادة عيسى عليه السلام من دون بعل لا يدل على أنها أفضل مقاماً من نساء العالمين جميعاً، وقد استعمل الاصطفاء في القرآن بمعنى الاختيار لا التفضيل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾ فالمنظور فيه تمييزه على الناس واختياره من بينهم بالرسالة والكلام من دون نظر إلى بيان فضله عليهم.

ولو فُرض أن المقصود من اصطفاء مريم تفضيلها، فيراد منه تفضيلها على نساء عالمها، فهو نظير ما جاء في سورة الأنعام ـ بعد ذكر إبراهيم عليه السلام وذريته ـ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٣] فانه ليس المقصود تفضيل كل واحد من هؤلاء على كل فرد من العالمين من أول الخلق إلى نهايته بمن فيهم غيرهم من الأنبياء كالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل مجرد تفضيل كل نبيّ منهم على العالَمين في زمانه، فاختاره الله للنبوة من بينهم. والله العالم. فكذلك مريم إنما فُضِّلت على نساء عالمها.

هذا، وقد أشارت العديد من النصوص إلى تفضيل الزهراء عليها السلام على مريم[٤]. ومما يدل على تفضيل الزهراء عليها السلام على مريم وغيرها من النساء، ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «فاطمة سيدة نساء العالمين وأهل الجنة»[٥] حيث تجتمع كل النساء الصالحات في الجنة وسيّدتهن فاطمة عليها السلام.

---

(١) لسان العرب: ١٤/ ٤٦٣.

(٢) سورة البقرة: ١٣٢.

(٣) يراجع الآيات (٨٣ ـ ٨٦) سورة الأنعام.

(٤) يراجع كتاب مأساة الزهراء: ١/ ٤١.

(٥) يراجع الجامع الصحيح: ٣/ ٣٥. وغيره.

ومن خلال ما ذكرنا يتضح الموقف من الآيات التي تتحدث عن تفضيل بني إسرائيل على العالمين، بأن المقصود تمييزهم ببعض الميزات مثل وفرة الأنبياء بينهم، وإن حُمل على التفضيل على رفعة مقامهم فيكون المقصود تفضيلهم على الأمم في زمانهم، لا على كل البشرية والملائكة. والله العالم.

﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ (٥٥).

س ١٣٣ ـ كيف ينسجم قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ مع ما هو معروف بين المسلمين من أَنّ عيسى عليه السلام حيّ ولم يمت بعد؟

ج ـ أشار القرآن الكريم وأكدت النصوص الكثيرة الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء ولم يمت، مما يشهد أن الوفاة هنا ليست بمعنى الموت، بل قد تكون بمعنى الاستيفاء ويكون قوله: **﴿رَافِعُكَ﴾** بياناً لكيفية الاستيفاء، أو تكون هذه الوفاة نظير وفاة النائم كما في قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾** [1] وإلاّ فلو كان المسلمون قد فهموا من الآية الموت لاستفسروا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن التوفيق بين الأمرين، وتناقله الرواة، لأهميته ومعايشة المسلمين للنصارى.

ومما يشهد بأنّ الوفاة هنا ليست بمعنى الموت ما أكدته الآية الكريمة

---

(١) سورة الأنعام: ٦٠.

من رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ مما يؤكد أن المرفوع ليس جسده فحسب لأنّ رفع جسد الميت ليس رفعاً لشخصه، فلابدّ أن يكون المرفوعه هو عيسى عليه السلام حيّاً لا جسده بعد موته.

وأجاب البعض أن الوفاة في الآية يراد منها الموت الذي سوف يصيب عيسى عليه السلام بعد نزوله إلى الأرض مع الإمام المهدي عليه السلام، ولا يضّر تقديمه على الرفع في قوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ لأن الواو لا تدلّ على الترتيب كما نصّ عليه علماء العربية.

لكن هذا الجواب لا ينسجم مع قوله تعالى ـ حكايةً عن الحوار بين الله تعالى وعيسى يوم القيامة ـ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ حيث يبدو أن الوفاة المذكورة مقترنة برفعه إلى السماء لا موته بعد ذلك بقرون مديدة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٥٩).

س ١٣٤ ـ كيف شبّه عيسى بآدم المخلوق من التراب مع أنّ عيسى لم يخلق كذلك؟

ج ـ وجه التشبيه في عدم الخلق العادي، وإن اختلف كل منهما عن الآخر في خصوصية معيّنة.

س ١٣٥ ـ لماذا قال: ﴿ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ مع أن ذلك قد مضى فيفترض أن يقول: (كن فكان)؟

ج ـ إنه بلحاظ وقت خلقه فيكون الزمان حالاً لا ماضياً، أي عندما

قال له «كن» يكون في ذلك الحال.

﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٦-٦٧).

س ١٣٦ ـ ما الذي حاجّوا به وكان لهم به علم؟

ج ـ جاء في سبب النزول أنّ هناك محاججة جرت بين اليهود والنصارى في بعض مسائل العقيدة، ومنها دين إبراهيم عليه السلام وعندما أصر كل منهم على موقفه احتكموا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص إبراهيم عليه السلام، فأشارت الآية الكريمة إلى أنه يفترض أن يقتصر احتجاجكم على ما تعرفونه ولا يتعداه إلى الرجم بالغيب فيما لا تعرفون مثل طبيعة دين إبراهيم عليه السلام. فهو لم يكن يهودياً ولا نصرانياً بما يتبنّاه اليهود والنصارى.

س ١٣٧ ـ كيف يكون إبراهيم مسلماً مع أنه عاش قبل رسالة الإسلام؟

ج ـ الإسلام يراد منه التسليم لله سبحانه، لأن إبراهيم كان مستقيماً ومسلّماً لله سبحانه، وجاءت تسمية الدين الإسلامي بذلك على هذا الأساس، باعتبار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين مستسلمون لله تعالى ولشريعته وتعاليمها، في مقابل المشركين وغيرهم من الكافرين المخالفين للنهج الإلهي ولذلك قال سبحانه ـ بعد هذه الآية ـ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٧٢).

س ١٣٨ ـ كيـف يؤثر تلوّن هؤلاء وتقلّبهم على موقف المسلمين وإيمانهم بحيث طمع أهل الكتاب ـ من خلال هذه الخطة ـ في رجوعهم عن الإسلام؟

ج ـ لأنهـم بإيمانهـم أول النهـار يوهمـون المسـلمين بأنّهـم جـادّون في البحـث عـن الحقيقة ومسـتعدون للخضـوع والإيمان بدين الحـق، فلمّا يكفرون فيما بعد ـ بحجة انكشاف خطئهم في ذلك ـ يوجب ذلك تشكيك المسلمين بعقيدتهم ومراجعتهم لها، خصوصاً أنّ هناك قناعة عامّة بأن أهل الكتاب يعرفون أوصاف خاتم الأنبياء.

﴿...ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥).

س ١٣٩ ـ ما هو الكذب الذي كذبوا به على الله؟

ج ـ نسـبتهم لله تعالى أنه يجوّز نقض العهد والخيانة مع غير المنتسـبين لدينهم كذبٌ على الله، لأنّ الله يأمر بالوفاء بالعهد وحفظ الأمانة مع كل شخص كما قال تعالى ـ رداً عليهم ـ ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٨١-٨٢).

س ١٤٠ ـ ما معنى أن يؤخذ العهد من الأنبياء بالإيمان بمن بعدهم والتصديق به ونصرته خصوصاً أنه لم يعهد اجتماع الأنبياء في عصر واحد ومكان واحد؟

ج ـ يبدو ـ عند التمعن في الآية ـ أن الخطاب وأخذ الميثاق والعهد على الأمم، وإنما أضيف الميثاق إلى النبيّن باعتبارهم هم الذين يباشرون أخْذَ الميثاق من أُممهم ولذلك قال: ﴿... **لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ...**﴾ حيث الحديث كله مع الأمم، والمعنى أنّ هناك ميثاقاً لله ـ بواسطة أنبيائه ـ على الأمم أن يصدّقوا بالرسول الذي تنطبق دعوته مع تعاليم نبيّهم ـ لأن الأنبياء كلهم في صراط واحد ـ وأن ينصروه وأن كل أمة قد أقرّت بهذا الميثاق الذي أخذه عليهم نبيهم، فمن التزم به كان من المهتدين ومن تولّى عنه فهو من الفاسقين.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣)

س ١٤١ ـ كيف ينطبق ذلك مع ما هو معروف من أنّ أكثر الأنس والجن غير مؤمنين؟

ج ـ كأن المقصود من الإسلام ما يعمّ التسليم والانقياد التكويني، فالمؤمن منقاد لله تعالى وخاضع له طوعاً أيضاً، والكافر خاضع له تكويناً فقط.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٨٥).

س ١٤٢ ـ كيف ينسجم ذلك مع قوله تعالى ـ قبل ذلك ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ... وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [1].

ج ـ نص الآية الأولى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** وهي تشير إلى أن الأديان السماوية في صراط واحد، وانّ المؤمنين بها في عصور شرعيتها قبل نسخها آمنون ومرضيون لدى الله سبحانه، ولا تشمل الآية المعاندين منهم المصرّين على التزام الدين المنسوخ، ولذلك حفل القرآن الكريم بذمّ اليهود بسبب اصرارهم على دينهم وعدم ايمانهم برسالة الاسلام، مما أوجب حقد اليهود ومؤامراتهم المتتالية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، حتى بات ذلك من الحقائق التاريخية، ولو كانوا قد فهموا من الآية ـ المدنية ـ مدحهم وشرعية موقفهم لاحتجوا بها على النبي والمسلمين مع أن ذلك لم يحدث. ولذلك أيضاً آمن العديد من اليهود والنصارى بالإسلام، كما دعى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نصارى نجران للإسلام والمباهلة، لأن دعوة الإسلام تشملهم جميعاً، ولا يعذرون في تجاهلها ورفضها.

---

(١) سورة البقرة: ٦٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ﴾(٩٠).

س ١٤٣ـ كيف ينسجم مدلول الآية مع ما ورد من النصوص الكثيرة بقبول التوبة الصادقة من كل تائب؟

ج ـ عدم قبول توبتهم إما باعتبار أن توبتهم صورية وليست حقيقية، ولذلك وصفهم بالضالّين، أو باعتبارها ناقصة، حيث لم يلتزموا بلوازمها مثل إبراز توبتهم أمام من أغروهم ليكفوا عن متابعتهم في ضلالهم. فانّ بعض الناس يتظاهرون أمام اتباعهم بما لا يعتقدون به حفاظاً على مكانتهم الاجتماعية أو عناداً وتكبّراً عن الاعتراف بالخطأ. نعوذ بالله تعالى من ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (٩١).

س ١٤٤ـ ما هي فائدة الواو في قوله: ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ مع أنّ الكلام يتمّ من دونها؟

ج ـ لعلّ ذلك باعتبار أن ما يقدّمه الكافر لا ينحصر فرضه بالفداء، بل قد يكون من الخيرات والصدقات التي يبذلها في الحياة الدنيا، فأشارت الآية الكريمة إلى أن ما يبذله ـ بأي وجه كان ـ لا يُقبل حتى إذا كان على سبيل الفداء.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٩٦).

س ١٤٥ـ كيف وصف البيت الحرام بأنه أوّل بيت مع أنّ الذي بناه هو إبراهيم عليه السلام وقد سبقه كثير من الأنبياء؟

ج ـ أوّلاً: ليس هناك دليل على جعل أماكن خاصة للعبادة ـ بيوت الله ـ في الأديان السابقة.

ثانياً: تضمّنت بعض النصوص الدالة على اقتران وضع بيت الله الحرام في مكة للعبادة بدحو الأرض، فيكون هو أول بيت في الأرض وضع للعبادة[١].

س ١٤٦ ـ لماذا قال بكة، مع أنّ اسمها المعروف (مكة)؟

ج ـ لفظ "بكة" مأخوذ من البك وهو الزحام، وصار من أسماء (مكة) باعتبار أن الناس يزدحمون فيها.

ويبدو من بعض النصوص أن "بكة" في الأصل اسم لموضع البيت ـ حيث يشتد الزحام ـ ففي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إن بكة موضع البيت، وانّ مكة الحرم، وذلك قوله: **﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾**»[٢] وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «مكة جملة القرية، وبكة موضع الحجر الذي تبك الناس بعضهم بعضاً»[٣].

---

(١) يراجع مستدرك الوسائل: ٣/ ١٧٨.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ٢١٠.

(٣) المصدر: ١/ ٢١٠.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (١٠٠).

س ١٤٧ ـ لماذا خصّ التحذير بإطاعة بعض أهل الكتاب، مع أنهم جميعاً يشتركون في أن إطاعتهم لهؤلاء توجب الارتداد عن الإسلام؟

ج ـ ليس المقصود إطاعتهم ومتابعتهم في عقيدتهم، لأنّ المسلم لا يتابع الكافر في عقيدته، وهذا واضح يعرفه كل مسلم، وإنّما الآية تشير إلى الفتن والإثارات التي كان يثيرها بعض اليهود في أوساط المسلمين بهدف تمزيق الصف الإسلامي، حيث روي أنّ شاس بن قيس اليهودي لم يُرق له التآلف بين الأوس والخزرج تحت راية الإسلام، فحاول تذكيرهم بخلافاتهم وحروبهم في الجاهلية وإثارة بعضهم على بعض، وقرأ لهم بعضاً مما قيل من الشعر في تلك الحروب، حتى تنازع الحاضرون في المجلس من الطرفين، وتداعوا للسلاح وكادت تقع الفتنة فيما بينهم، فنزلت الآية لتحذيرهم من مثل هذا اليهودي، لأنّ اتبّاعهم يُعيدهم إلى عصبية الجاهلية وإلى الكفر.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦).

س ١٤٨ ـ كيف يقول: ﴿أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم﴾ مع أن أكثر الكافرين ـ المسودّة وجوههم ـ لم يسبق إيمانهم؟

ج ـ صحيح انّ سواد الوجه يعم كل الكافرين ولا يختص بالمرتّدين،

لكـن الآيات السـابقة تتحدث عـن مجتمع المسـلمين وتحذّرهـم من آفات الاختـلاف والتفـرق والارتداد، فمـن الطبيعي ـ حين تحذّرهـم من عاقبة الارتداد ـ أن تذكرّهم بالمشـهد الذي يواجه المرتدّين الذين سـبق انتسابهم للمجتمـع الإيماني، أمـا طبيعة الحوار والمصير الذي يواجـه باقي الكافرين فليست الآية بصدد الحديث عنه.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ...﴾ (١١٠).

س ١٤٩ ـ لماذا قال: ﴿كُنتُمْ﴾ولم يقل «انتم خير أمة...» مع أن الخطاب للصدر الأول من المسلمين؟

ج ـ باعتبار أن مواقف وسـلوك بعضهـم اختلفت من فترة لأخرى، فبعض من كان في مكة أو في بداية الهجرة معروفاً بصموده وإيمانه وجهاده تزلـزل فيما بعد وتأثر بإغـراءات الحياة الدنيا، ولذلك وردت آيات العتاب والتحذيـر، وكذلك النصوص الكثيرة من الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم في التعريض والطعن ببعضهم[١].

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾(١١١).

س ١٥٠ ـ ما معنى قولـه: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى﴾مع أن الأذى ضرر أيضاً فكيف يُستثنى من الضرر؟

---

(١) يراجع حول الموضوع كتاب «في رحاب العقيدة»: ١/ ٤٨ وما بعدها.

ج ـ كلاّ، فـان الأذى قـد لا يقـترن بالـضرر، والمقصـود أن خطـط هـؤلاء ومكائدهم تفشـل ولا تضرّكم، نعم توجب الغـمّ والإيذاء النفسي لكـم، والأذى يحصـل من الكلام المـؤذي من دون أن يترتـب عليه ضرر، كـما قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْـمَعُنَّ مِـنَ الَّذِينَ أُوتُـواْ الْكِتَابَ مِـن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [1] والآية تشير إلى اليهود وما كانوا يسبّبونه من المتاعب والغم للمسلمين من دون أن ينجحوا في الإيقاع بهم.

س ١٥١ ـ كيـف يـخـبر الله سـبحانه عن هزيمة اليهـود في الحرب مع المسـلمين مـع أنهم انتصروا عليهم واحتلوا فلسـطين وغيرها من أراضيهم في هذا العصر؟

ج ـ الآية الكريمة تحدثت عن المسلمين المؤمنين حقاً بربّهم والملتزمين بتعاليم دينهـم وقادتهم الشرعيين الآمرين بالمعـروف والناهين عن المنكر، أمـا الذيـن تخلّوا عن مبادئهم وانهزموا في داخلهـم قبل أن يهزمهم عدوّهم فهم بعيدون عن خطاب الآية.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ...﴾ (١١٢).

س ١٥٢ ـ كيف استثنى حالتهم في الإسلام من الذلة، مع أنهم أذلاء يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون؟

ج ـ الظاهـر أن المقصـود من حبل الله وحبل النـاس هو العهدُ الذي جرى بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطوائف اليهود عند هجرة الرسـول والمهاجرين

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٦.

إلى يثرب، حيث ابتنى على رعايتهم واحترامهم، إلاّ أنهم لم يحترموا ذلك العهد كما هو معروف.

ولو فرضنا الآية ناظرةً إلى عقد الذمّة لليهود في الإسلام فانّ سلوك المسلمين معهم جرى على مداراتهم ـ على غرار باقي أهل الكتاب ـ بخلاف الأُمم الأخرى التي بالغت في قتلهم وإذلالهم، فكان اليهود الذين عاشوا في كنف المسلمين أعزاء بالنسبة إلى حالة قومهم المتعايشين مع الأمم الأخرى.

﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (١١٣).

س ١٥٣ـ أليست هذه الآية وما بعدها تدلّ على مدح هذا الفريق من أهل الكتاب وأنهم من الصالحين رغم عدم إيمانهم برسالة الإسلام؟

ج ـ كلاّ، لأنّ هذه الأمة القائمة هي الثلة ـ من اليهود ـ التي استمسكت بالحق على طول الخط وآمنت بالإسلام ولم يمنعها تغيّر الدين الحق من المحافظة على الاستقامة والخضوع للدين الجديد، ولذلك وصفهم بأنهم ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾، وهم المؤمنون الذين أشار إليهم ـ قبل هذه الآية ـ قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

وكأنّ الهدف من مدح هذه الفئة المؤمنة من اليهود أن لا يُتوهّم أنّ الآيات السابقة التي ذمّت اليهود ـ وكذلك المصير القاتم الذي ينتظرهم ـ تعنيهم كشعب لا ينفك عن تلك الممارسات والخصال الذميمة، بينما المقصود منها ذمّ المعاندين منهم ـ وهم الأغلب ـ دون الثابتين على الحق، وهم المؤمنون منهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ...﴾[١] وإنما سمّاهم أهل الكتاب بملاحظة حالتهم السابقة بالرغم من كونهم الآن مسلمين مؤمنين بما أُنزل من الآيات إلى باقي إخوانهم المسلمين.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٧).

س ١٥٤ـ كيف شبّه نفقة الكفار بالريح، مع أنّها إنما تشبه الحرث الذي أهلكته الريح؟

ج ـ هذا من التشبيه المركب ـ كما يسميه علماء البلاغة ـ والمقصود منه تشبيه حالة بحالة لا مفردة بمفردة، حيث شبهت الآية الكريمة حالة نفقة الكافرين وتلفها وعدم جدواها بما يحدث حين تهب العواصف الباردة والثلجية من تلف حرث الظالمين وضياع جهدهم، وهو من التشبيه البليغ، وليس المقصود هنا تشبيه خصوص النفقة بالريح.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (١٢٤ـ١٢٥).

س ١٥٥ـ اختلفت أعداد الملائكة التي ذكرتها

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٩.

الآيـات الكريمـة ففـي سـورة الأنفـال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ وهنـا ذكر ثلاثـة آلاف، وخمسة آلاف، فيكف يرتفع التناقض؟

ج ـ الـذي يبـدو مـن خـلال مراجعـة الآيـات الكريمـة أنّ الله سـبحانه أمـدّ المسـلمين في بـدر بألـف مـن الملائكـة ـ كـما ورد في سـورة الأنفـال ـ بينـما خطـاب النبـي صلى الله عليه وآله وسلم للمسـلمين عـن إمدادهـم بثلاثـة آلاف كان في غـزوة أُحُـد، وأمـا الوعـد الإلهـي بإمدادهـم بخمسـة آلاف فهـو عقيب غـزوة أُحُـد بعـد انسـحاب المشركين مـن المعركـة ـ واحتمال معاودتهـم القتـال ـ حيـث وعـد الله المسـلمين ـ إن صـبروا واتقـوا ـ أن يمدّهم بخمسـة آلاف مـن الملائكة، إن عاد المشركـون للقتال من فورهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠).

س ١٥٦ـ لـماذا خـص النهـي بالزيـادة الربويـة المضاعَفة، بينما الحرمة تشمل الزيادة التي هي أقل من ذلك أيضاً؟

ج ـ ذلـك إمّـا مـن باب تأكيـد النهي عـن هـذا النحو مـن الربا، أو للإشارة إلى الطبيعة التصاعدية الفاحشة للزيادة الربوية.

﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١).

س ١٥٧ـ لـماذا خـصّ الكافريـن بالذكـر مع أنّ

غيرهم يدخل النار أيضاً؟

ج ـ لعلّ ذلك باعتبار أنهم الفئة الغالبة والبارزة من بين أهل النار، لتلبّسهم بأفحش الذنوب وهو الكفر.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ...﴾ (١٣٥).

س ١٥٨ ـ ما الفائدة في قوله: ﴿فَعَلُواْ فَاحِشَةً﴾ مع أنه داخل في ظلم النفس؟

ج ـ ذكر بعض المفسّرين في سبب نزول الآية أنّ أحد الصحابة تعدّى على حرمة إحدى المسلمات. فقالت له: اتق الله، فتركها وندم وأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر ذلك، وعلى هذا فيكون النص على الفاحشة للإشارة إلى الحادثة، ثم جاء التعميم لكل ذنب بقوله: ﴿أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤).

س ١٥٩ ـ هل انقلب المسلمون على أعقابهم حتى يستحقوا هذا التوبيخ؟

ج ـ لعلّه إشارة إلى الهزيمة العامة وانهيار جلّ المسلمين بعد أن اشيع مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في واقعة أُحد، أو إشارة إلى ما ذكره المؤرخون والمفسرون من أنّ بعض ضعاف العقيدة فكّروا في طلب الأمان من أبي

سـفيان وتزلزلـت عقيدتهـم بدينهـم بعد انتشـار الإشـاعة بمقتل رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك المعركة[١].

س ١٦٠ـ ما هو ارتباط قولـه : ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ بانقلاب بعض المسلمين على أعقابهم؟

ج ـ باعتبار أن ثبات من ثبت من المسلمين في معركة أُحُد ولم يتلوّث بالفتنة التي أصابت الآخرين عقيب انتشـار إشاعة مقتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان تعبيراً عن شـكرهم وعرفانهـم لنعمة الإيمان؛ لأنّ شـكر النعمة بأداء حقها، فانطبق عليهم وصف الشاكرين.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ...﴾ (١٥٢).

س ١٦١ ـ ما معنى : ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾؟

ج ـ الحسّ هو القتل على نحو الاسـتئصال والإفناء، وهو إشـارة إلى النـصر السريـع الذي كان للمسـلمين في بدايـة معركة أُحُـد قبل أن يعصي الرماة أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويتركوا مواضعهم في الجبل طلباً للغنيمة.

س ١٦٢ ـ لماذا خلت الآية من جواب الشرط مع أنّ « إذا» شرطية تحتاج إلى ذلك؟

ج ـ يمكن أن يكون جواب الشرط محذوفاً، لكونه مفهُوماً من سياق الآية، أي حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم أمْرَ الرسول ابتلاكم الله.

(١) يراجع الكشاف: ١/ ٤٢٢ - ٤٢٣.

ويمكن أن تكون «إذا» ظرفية مجرّدة من معنى الشرط ـ كما ذكر ذلك النحويون ـ ويكون معنى الآية ولقد صدقكم الله وعده حيث تقتلونهم بإذنه إلى حين فشلكم وعصيانكم... الخ.

﴿... وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠).

س ١٦٣ ـ كيف قال: ﴿لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ مع أنّ من مات بعدهم لاحق بهم؟

ج ـ إما أن يكون ذلك باعتبار أنهم لم يستشهدوا في تلك المعركة ـ عقيب استشهاد أولئك ـ بل ماتوا فيما بعد، أو أن المقصود أنهم لم يلحقوا الشهداء في مقامهم الرفيع. وفي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: يستبشرون والله في الجنة بمن لم يلحق بهم من خلفهم من المؤمنين في الجنة[1].

﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٩).

س ١٦٤ ـ كيف خصّ ذلك ببعض الرسل مع أنّ الكل يشتركون في تميّزهم بالرسالة كما قال تعالى: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾؟

---

(١) بحار الأنوار: ٦/ ٢١٨. نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم: ١٨.

ج ـ كأنّ الملحوظ في تلك الآية التميز في علم الغيب، فأنّه خاص ببعض الرسل الذين يجتبيهم الله لذلك ويميّزهم عن غيرهم ببعض مراتب علم الغيب.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (١٨٢).

س ١٦٥ ـ «ظلّام» بصيغة المبالغة بمعنى كثير الظلم أو عظيمه، ونفي ذلك عن الله لا يعني عدم صدور الظلم العادي منه أحياناً؟

ج ـ بما انّ عذاب الله تعالى في غاية الشدة (شديد العقاب) ولا يقتصر على شخص أو عدد محدود من الناس، فهو يدور مدار الظلم الفاحش ـ إن لم يكن عن استحقاق ـ والعدل ـ إن كان عن استحقاق ـ ولا يتصوّر أن يكون ظلماً عادياً، فمع نفي الظلم الفاحش عنه تعالى يثبت كونه عادلاً، وأنّ عقابه عن استحقاق من الناس.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (١٨٤).

س ١٦٦ـ كيف جعل تكذيب الرسل جواباً للشرط مع كونه متقدماً على تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكر علماء العربية أن جواب الشرط يجب أن يتأخر عن فعل الشرط؟

ج ـ جواب الشرط هنا ليس نفس تكذيب الرسل، وإنّما الإخبار القرآني بذلك ـ لأن «قد» للتحقيق والإثبات ـ وهو متأخر عن تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما تقول: إذا أضاء الجوّ فقد طلعت الشمس، فجواب

الشرط ثبوت طلوع الشمس لا نفس طلوعها، لأن طلوع الشمس متقدّم على الإضاءة وسبب لها فلا يكون جواباً للشرط، ولذلك لا يصح أن تقول: إذا أضاء الجوّ طلعت الشمس، من دون إضافة «قد» لجواب الشرط. وهذه النكتة يغفل عنها كثيرون فيقعون في إلتباس في موارد كثيرة.

﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩٩).

س ١٦٧ـ كيف يكون الله ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ مع أنّ حسابه مؤجَّل إلى يوم القيامة؟

ج ـ بما انّ الله سبحانه سرمدي له الخلود المطلق فما هو مؤجَّل وبعيد بالنسبة إلينا قريب وسريع بالنسبة إليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠).

س١٦٨ـ لماذا قال: ﴿اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾؟

ج ـ وردت عدّة نصوص في توضيح ذلك، منها ما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: معناه اصبروا على المصائب وصابروا على عدوّكم ورابطوا عدوّكم[1].

---

(١) مجمع البيان: ٢/ ٩١٨.

سورة النساء

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء﴾ (١).

س ١٦٩ ـ كيف ينسجم قوله ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ مع ما هو معلوم من أنّ البشر مخلوقون من آدم وحوّاء كليهما، كما قال تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء﴾؟

ج ـ بما انّ حوّاء خُلقت من آدم ـ كما أشارت إليه الآية ـ فصح أن يكون آدم مبدأ خلق الناس جميعاً، بمن فيهم حواء، ومنهما بثّ ذرّيتهما من الذكور والإناث.

﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢).

س ١٧٠ ـ كيف ينسجم قوله: ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى﴾ مع النصوص واتفاق الفقهاء على أنّ اليتيم لا يُعطى أمواله وإنما تكون تحت سلطة وليه؟

ج ـ إما أن يكون ذلك كناية عن النفقة عليهم من أموالهم، أو أنّ

المقصود منه اليتيم العرفي الذي ينطبق عرفاً على البالغ الشرعي حين بلوغه، وهو مألوف في اللغة بلحاظ حالة يتمه في صغره ـ خاصة مع قرب زمانها ـ ولذلك كانت قريش تسمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد نبوّته ـ يتيم أبي طالب، فيكون المعنى: انَ اليتيم إذا بلغ يعطى أمواله، ولا يجوز استبدال الجيّد منها بالرديء من أموالكم.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ (٣).

س ١٧١ ـ ما هو الارتباط بين قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ... ﴾ وقوله: ﴿فَانكِحُواْ...﴾؟

ج ـ ذكر بعض المفسّرين أنّها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليّها فيرغب في مالها وجمالها فيتقدم للزواج منها من دون أداء حقها مما يناسبها من المهر، فأُمروا أن يتجنّبوا ذلك ـ حيث لم يضمن القسط والإنصاف لها ـ ويتزوجوا غيرها من النساء ضمن العدد المسموح به شرعاً ﴿مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾[(١)].

﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ (٥).

س ١٧٢ ـ ما هو المعني بقوله: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾؟

ج ـ هناك رأيان للمفسرين:

الأول: انّ الآية الكريمة ترشد الناس إلى تجنّب تسليط السفهاء

---

(١) يراجع مجمع البيان: ٣/ ١٠.

على الأموال، لأنهم يتلفونها بسوء تصرفهم، وإذا شاؤوا الإنعام عليهم فليطعموهم ويكسوهم ويتعاملوا معهم بالمعروف بدلاً من إعطائهم المال.

الثاني: انّ المقصود من المال أموال السفهاء أنفسهم، أي لا تسلّطوهم على أموالهم التي جعل الله ولايتها لكم، لأنهم يتلفونها، بل يتولى وليّهم الإنفاق عليهم وكسوتهم منها. وإنما أضيفت الأموال للمخاطبين باعتبارهم أولياء عليها، والإضافة تصح لأدنى علاقة بين المضاف والمضاف إليه.

﴿...وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ (٦).

س ١٧٣ ـ كيف يجوز للفقير الأكل من مال اليتيم كما توحي به الآية؟

ج ـ المقصود من يتولى شؤون اليتيم ورعايته حيث يستحق شرعاً أجرة على ذلك، كما يستحق قيمة ما يصرفه على اليتيم، فالآية الكريمة تحبّذ للغني أن يستعفف من أخذ أُجرته من مال اليتيم ـ رغم استحقاقه شرعاً ـ أما الفقير حيث يشقّ عليه تحمّل تكاليف رعاية اليتيم فمن حقّه أن يأخذ من أموال اليتيم بمقدار استحقاقه فحسب ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وفي الحديث عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّن تولّى مال اليتيم ما له أن يأكل منه؟ فقال: «ينظر إلى ما كان غيره يقوم به من الأجر لهم، فليأكل بقدر ذلك»[1].

---

(١) وسائل الشيعة ١٤/ ١٨٦ الباب ٦٨ من أبواب ما يكتسب به الحديث ٥.

﴿... مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ...﴾ (١٢).

س ١٧٤ ـ كيف يقول ﴿يُوصَى بِهَآ﴾ مع أنّ الميت يوصي ولا يوصى؟

ج ـ نائب الفاعل ليس ضميراً يعود إلى الميت ـ كما تُوهِّم في السؤال ـ بل هو نفس الجار والمجرور (بها) كما تقول: يُرمى بالكرة، والمعنى: أن التقسيم على الورثة من بعد أن تُطبَّق الوصية ـ الموصى بها ـ بعد وفاء الدَّين، ولو بعزل ما يساويهما من تركة الميّت.

﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٤).

س ١٧٥ ـ كيف يُثبت الخلود في النار للعاصي مع أنّ كثيراً من العاصين غير مخلّدين؟

ج ـ يبدو أن المنظور في الآية الجاحدون الذين يواجهون أوامر الله ورسوله وتشريعه بالتحدي والاستخفاف، فانّهم يستحقّون الخلود في النار.

﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (١٦).

س ١٧٦ ـ من هذان اللذان تتحدّث عنهما الآية؟

ج ـ كل زانٍ وزانية يمارسان الفاحشة، أُمر المسلمون بإيذائهما إلى أن يتوبا فيُعرَض أي يُتوقَّف عن إيذائهما. وقيل: وقد نسخت بتشريع حدّ الزنا.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ...﴾ (١٧).

س ١٧٧ ـ كيف تكون التوبة على الله مع أنها من فعل العبد؟

ج ـ التوبة بمعنى الرجوع، وكما تنسب للعبد تنسب لله تعالى، لأنه إذا رجع العبد وأناب إلى ربّه يرجع الله إليه أي ينقطع إعراضه عنه، ولذلك نسبت لله تعالى في كثير من الآيات حتى صار التّواب من أسمائه الحسنى، كما في قوله تعالى: **﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** ومعنى الآية أنّ التوبة التي التزمها الله سبحانه على نفسه إنما هي للذين يعملون الذنب بجهالة ثم يتوبون من قريب. فهؤلاء هم الذين يستحقون رحمته التي كتبها على نفسه، كما قال تعالى: **﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾**.

س ١٧٨ ـ إذا كان ارتكابهم للسوء بجهالة لم يكونوا عصاةً فلم يستحقوا العقاب؟

ج ـ الظاهر أن الجهالة بمعنى السفاهة، لا الجهل المطلق المقابل للعلم، فتنطبق على ارتكاب المعصية لغلبة الهوى ونحو ذلك، ولعلّ إلى هذا يشير الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: «يعني كل ذنب عمله العبد وإن كان به عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه، وقد قال في ذلك تبارك وتعالى يحكي قول يوسف لأخوته: **﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾** فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله»[١]. وربما يكون المقصود تنزيل علمهم

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ٢٥٤.

منزلة الجهل، لأنهم لم يعملوا على طبقه.

س ١٧٩ ـ كيف يصحّ تخصيص التوبة بـ ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ مع دلالة الآيات والنصوص الكثيرة على قبول التوبة الصادقة من كل أحد وفي كل وقت؟

ج ـ يبدو من ملاحظة هذه الآية والآية التي بعدها أن هذا الحصر نسبي أي في مقابل الفئتين اللتين أشارت إليهما الآية اللاحقة التي نفت التوبة والرجوع من الله إليهما، وهما الذين يتوبون توبة صورية عندما يشاهدون أمارات الموت، والكفارُ الذين لا يتوبون. فغير هؤلاء يمكن قبول توبتهم. وإنما نصّت الآية على خصوص الذين يعملون السوء بجهالة ويتوبون من قريب لأنهم أقرب الناس استحقاقاً للتوبة والمغفرة. من دون أن يعني ذلك حصر قبول التوبة بهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ...﴾ (١٩).

س ١٨٠ ـ كيف تُفرض وراثة النساء كرهاً حتى ينهى عنه؟

ج ـ يبدو أن الآية تشير إلى سُنّة من سنن الجاهلية، فانّهم كانوا إذا مات زوج المرأة جاء ابنه من غيرها أو وليّه فيضع عليها ثوبه ويرث نكاحها أي يجعل نفسه وليّاً عليها، فأبطلت الآية هذه السُّنّة حيث أكدّ الإسلام انها

هي تكون صاحبة الولاية على نفسها. كما نهت عن العضل أي التضييق على النساء من قِبَل أزواجهن، فلا هم يعاشرونهنّ بالمعروف ولا هم يطلّقونهنّ، لكي تضطر الزوجة إلى التنازل عن مهرها أو جزء منه في مقابل طلاقها.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ... وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ...﴾ (٢٣).

س ١٨١ ـ لماذا خصّ التحريم بالربائب اللاتي في حجر زوج الأم مع أنّ زواجِ الربيبة التي ليست في حِجر زوج الأم محرّم أيضاً؟

ج ـ نعم التحريم يشمل كل ربيبة، وقوله: ﴿فِي حُجُورِكُم﴾ باعتبار أن الغالب كون الربيبة في حِجر زوج الأم وفي كنفه، كما انّ بنت الزوجة إنما سميت ربيبة الزوج باعتبار الحالة الغالبة، وإن كانت في حالات نادرة لا تكون في كنف زوج أمّها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ (٢٩).

س ١٨٢ ـ كيف استثنى التجارة عن تراض من حكم أكل المال بالباطل مع أنها ليست من أكل المال بالباطل؟

ج ـ هذا الاستثناء منقطع، لأنّه قد يتوهّم أن البيع والتجارة يتضمنان أكل المال بالباطل أحياناً، خاصّةً إذا كان الربح كبيراً، فجاء الاستثناء

لتحليل التجارة عن تراض ورفع ذلك التوهّم.

س ١٨٣ ـ كيف خصّ التحليل بالتجارة مع انّ هناك أسباباً أخرى لتحليل الأموال مثل الهدية والصدقّة وغيرهما؟

ج ـ باعتبار أن التجارة هي السبب الشائع في تبادل الأموال والسّلطنة عليها، خصوصاً ان مثل الهدية والصدقة لا يتضمن معاوضة حتى يتوهّم كونها من الأكل بالباطل، فلم تكن هناك حاجة للنص عليها.

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ (٣١).

س ١٨٤ـ إذا كان المقصود تكفير السيئة وغفرانها مع التوبة منها فهو ينطبق على الكبائر أيضاً، فيشمل ذلك من لا يجتنب الكبائر، وإذا كان من دون توبة فهو لا ينسجم مع ما هو معروف من عدم غفران المعصية الصغيرة مع الإصرار عليها وعدم التوبة منها؟

ج ـ الظاهر أن المقصود تكفير الذنوب الصغيرة التي لا يتوب منها الإنسان تسامحاً أو يتهاهل في التوبة الصادقة منها من دون أن يصرّ عليها، لأنّ نفس الإصرار على الصغيرة من الكبائر ـ كما قال الفقهاء ـ، فتشير الآية الكريمة هنا إلى أن من يتجنّب الكبائر يتأهل لرحمة الله يكون موعوداً بمغفرته.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٣٧).

س ١٨٥ ـ ما علاقة عذاب الكافرين بالذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل..؟

ج ـ هناك وجهان في تفسير الآية:

الأول: انّها نزلت في حق اليهود المعروفين بحب المال والشحة والبخل، وكذلك كتمان العلامات والآيات التي تتحدث عن أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورسالة الإسلام.

الوجه الثاني: انّ الآية تذمّ كل البخلاء الذين لا يؤدّون الفرائض المالية متظاهرين بالفقر نكراناً وجحوداً لفضل الله عليهم، فيكون المراد من الكافرين في الآية الجاحدين للفضل الإلهي بمواقفهم وسلوكهم حيث لا يؤدون حق المال الذي أنعم به عليهم، وإن كانوا مسلمين. فيكون الكفر بمعنى كفر النعمة، لا الكفر في العقيدة في مقابل الإسلام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ...﴾ (٤٣).

س ١٨٦ ـ ألا تقتضي هذه الآية جواز شرب الخمر لمن لا يؤثّر فيه السكر ولا يفقد وعيه بذلك؟

ج ـ حرمة شرب الخمر بشكل مطلق دلّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ

مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وكذلك النصوص المتواترة، وأما هذه الآية فكانت خطوة أولى باتجاه تحريم الخمر ـ كما قيل ـ حيث تضمنت النهي عن الصلاة في حالة السكر فقط، وقد أفتى الفقهاء بصحّة صلاة من شرب الخمر ولم يسكر أو من صلّى بعد أن أفاق من سكره، لعدم النهي عن صلاته رغم عصيانه بشرب الخمر.

ولو فرضنا إن إحدى الآيتين تتضمن نهياً مطلقاً عن شرب الخمر والأخرى تتضمن نهياً مقيّداً بحالة الصلاة فلا تنافي بينهما، لأن المطلق والمقيَّد إنما يتنافيان إذا كان أحدهما إيجابياً والآخر سلبياً، مثل قولنا: يجب الحج على المسلم، فانه ينافي ما دلّ على عدم وجوب الحج على المسلم غير المستطيع، فلابّد من التنازل عن ذلك الاطلاق وتقييد وجوب الحج بالمستطيع. أما إذا لم يختلفا في الإيجاب والسلب فلا منافاة بينهما، مثل قولنا تحرم إهانة الأب، فانه لا ينافي حرمة إهانة المسلم، ولا يستلزم تقييد من تحرم إهانته بالأب. وكذلك بالنسبة للخمر فالآية الدالة على حرمة الخمر في حالة معينة لا تنافي الآية الدالة على حرمته مطلقاً.

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء...﴾ (٤٨).

س ١٨٧ ـ كيف لا يغفر الله الشرك مع أن جلّ الصحابة كانوا مشركين قبل إسلامهم، كما إن المسلمين قد أجمعوا على قبول توبة المرتد؟

ج ـ الآية تتحدث عمّن يموت مشركاً من دون توبة، فانّ الله تعالى لا يغفر له، بينما المسلم الذي يموت من دون توبة من معاصيه الأخرى فربّما

يغفر الله له ذنوبه، رحمةً به أو لشـفاعة مَن يُشـفَّع فيه. ولا ترتبط هذه الآية بمن كان مشركاً ثم يتوب من شركه، فانها تُقبل إذا كانت صادقة، كما دلّت عليه آيات أخرى أو كذلك النصوص الدالة على قبول التوبة الصادقة مطلقاً حتى بالنسبة لمن كان مشركاً.

س ١٨٨ـ ألا تـدل الآيـة عـلى إمكانيـة غفـران الكفر برسـالة الإسـلام لمـن لم يكن مـشركاً، مثل بعض أهل الكتاب؟

ج ـ الآيـة الكريمة علقّت غفران المعاصي ـ سـوى الشرك الذي كان هو المشـكلة الكبرى التي تواجه الرسول آنذاك ـ على مشيئة الله ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِـكَ لِمَن يَشَـاء**﴾، مـن دون تحديد المعاصي التي تتعلق المشـيئة الإلهية بمغفرتها، ومن خلال الآيات والأدلة الأخرى علمنا أنّ الجاحد للإسلام لا تتعلق المشيئة الإلهية بمغفرة ذنبه هذا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (٥٩).

س ١٨٩ لماذا أمر بإطاعة أولي الأمر أولاً، ولم يأمر بالردّ إليهم عند التنازع؟

ج ـ إن إطاعـة الله اللازمـة بتطبيـق تشريعاتـه الإلزاميـة. وإطاعـة الرسول تشمل ما يبلّغه من تشريع إلزامي أو ما يصدره ـ بحكم ولايته على الأمة ـ من الأوامر والنواهي الإلزامية.

وأما أولو الأمر فمن كانت ولايتهم خاصة كقادة السرايا الذين كان يرسلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتنحصر طاعتهم بحدود ولايتهم على قيادة السرية وإدارة المعركة ونحوها، ويتفق أن يختلف جنودهم معهم في الرأي حول ما يعتقدون عدم ولايتهم فيه، فيحصل النزاع بين القائد وبعض جنده فأمرت الآية الكريمة بالرجوع في ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتميز الصواب من الخطأ، ولا معنى لأن تكون المرجعية لقائد السرية الذي هو طرف في النزاع، ويُشكّ في وجوب طاعته في ذلك. أما ولاة الأمر الذين ولايتهم عامة ـ وهم الأوصياء على الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانّ ولايتهم هذه ووجوب طاعتهم امتداد لولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووجوب طاعته، فلا معنى لأن يكونوا طرفاً في النزاع والخلاف، بل تكون لهم المرجعية لحلّ النزاع الذي قد يحدث بين وكلائهم أو ولاتهم وبعض المؤمنين.

فالآية الكريمة التي أمرت برجوع المتنازعين مع ولاة الأمر إلى الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم ناظرة إلى قادة السرايا ونحوهم ممن ولايتهم محدودة، وهؤلاء ليست لهم المرجعية في نزاعٍ هم طرف فيه، بخلاف الأوصياء والأئمة فان الرجوع إليهم امتداد للرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا كلّه بناءً على تعميم (أولي الأمر) لمن ولايته خاصة إلى جانب من ولايته عامة. أما بناءً على تخصيص (أولي الأمر) بخصوص من ولايتهم عامّة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون الأمر بالرجوع إلى الله والرسول كافياً في الإرجاع إليهم، لأنهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقائمون مقامه وولايتهم في طول ولايته صلى الله عليه وآله وسلم.

س ١٩٠ـ ما معنى أن يكون الردّ إلى الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم أحسن تأويلاً؟

ج ـ التأويل: النتيجة التي يؤول إليها الشيء، ومن الواضح أن الردّ إلى الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم خير وأحسن مآلاً وعاقبةً.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (٦٤).

س ١٩١ ـ ما دام الخطاب في الآية للرسول لماذا لم يقل «واستغفرتَ لهم»؟

ج ـ لعلّ ذلك لتأكيد أن مرجعية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهمية استغفاره لهم باعتباره رسول الله، لا لخصوصية شخصه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ فان طاعته باعتبار رسالته عن الله، خصوصاً أن المعنيّ في الآية المعاندون الذين تحاكموا إلى الطاغوت بدلاً من الرسول، فكان المناسب تجنّب التحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصفته الشخصية، وإنما بوصف كونه رسولاً، ليكون محفّزاً لهم بترك عنادهم.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ (٧٤).

س ١٩٢ ـ كيف يقول ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ المفهوم منه إمساكهم بالحياة الدنيا وتركهم الآخرة كما يمسك المشتري ما يشتريه في مقابل الثمن الذي يعطيه، بينما المجاهدون يفعلون عكس ذلك فيتركون الدنيا للآخرة؟

ج ـ كلاّ، لأن الشراء هنا بمعنى البيع، كما نصَّ عليه علماء اللغة والمفسرون، وقد استعمل الشراء في هذا المعنى كثيراً في القرآن الكريم،

مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾. أي باعوا يوسف عليه السلام بثمن بخس زهداً فيه.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ (٧٨ ـ ٧٩).

س ١٩٣ ـ كيف ينسجم قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللهِ﴾مع قوله فيما بعد: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾؟

ج ـ لتوضيح عدم المناقضة بين الآيتين نشير إلى أن الحدث الواحد إذا كان يستند لعدة عوامل يصح نسبة ذلك الحدث إلى كل واحد من هذه العوامل، وتسمى ـ فلسفياً ـ أجزاء العلّة التامة، فكما يمكن نسبة الإحراق إلى النار يمكن نسبته إلى إهمال الخادم، وكذلك تصح نسبته إلى الله سبحانه لأنه قضى ذلك وقدّره، أما إذا استند الحدث إلى عامل واحد فلا ينسب إلاّ إليه.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أن الحسنة قد نُسبت في الآيتين إلى الله تعالى لأنّه يقدّرها وبتدئ بالنِعَم والإحسان، بل إن تمكين الإنسان من فعل الخير نعمة وإحسان إلهي إليه، بينما نسبت الآية الثانية السيئة والإخفاق

الذي يصيب الإنسان إلى نفسه [١] ـ بالرغم من كونها بتقدير الله وقضائه ـ باعتباره سهيماً في ذلك وبسبب خطئه أو سوء تصرفه واختياره كما ينسب إحراق البيت إلى إهمال الخادم مع أنه بقضاء وقدَر الهي.

أما الآية الأولى فانّما تضمّنت توبيخ اليهود أو المنافقين لأنهم عندما رأوا الشدائد والمصاعب التي واجهت مجتمع المدينة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأظنها مصاعب الجهاد وافرازاته ـ فبدلاً من نسبتها إلى الله سبحانه لأنّه قدّر ذلك أو فرضه عليهم ـ لمصالح معيّنة أو عقوبة بالنسبة لبعض الجماعات ـ أو على الأقل نسبتها إلى الناس بسبب كفرهم وعنادهم لله ولرسوله، نسبوها ـ ظلماً وبهتاناً ـ إلى شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهدف التطيّر والطعن فيه صلى الله عليه وآله وسلم ضمن أساليبهم الخبيثة لإبعاد الناس عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اقتداءً بأسلافهم فيما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَه﴾. وكذلك قوم صالح عليه السلام حيث اعتبروا صالحاً شؤماً عليهم: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾. فكان من الطبيعي أن يستحقّوا التوبيخ الإلهي على موقفهم وبهتانهم: ﴿فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ (٨٢).

س ١٩٤ ـ كيف يفرض عدم الاختلاف ميزة قرآنية مع أنّ هناك كتباً آخرى خالية من الاختلاف؟

---

(١) حيث ذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ (سورة الإنسان: ٧٩) هو الإنسان بينما ذهب آخرون إلى ان المخاطب هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وعلى كل حال فيكون المراد من السيئة ما يسوء الإنسان مثل المصاعب التي يواجهها في الحياة.

ج ـ هدف الآية الكريمة إثبات انتساب القرآن لله وعدم كونه من إنشاء (محمد) لأنه لو كان جهداً بشرياً لبرز فيه اختلاف كثير. وتظهر أهمية عدم اختلاف القرآن وتميّزه من خلال ملاحظة ما يلي:

أ ـ تشعّب المواضيع والعلوم التي تضمّنها القرآن، حيث يشتمل على منظومة عقائدية ومجموعة كبيرة من التشريعات والحِكَم والإرشادات والقصص التاريخية وبعض المظاهر الكونية والمفاهيم الأخرى.

ب ـ عدم تصنيفه لدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضمن كتاب وبمنهجية محدّدة بحيث يتيسّر رجوعه إليه لتجنّب الوقوع في التناقض والاختلاف. وإنما كان محفوظاً ومجموعاً عنده صلى الله عليه وآله وسلم من دون تصنيف وترتيب لموضوعاته.

ج ـ نزول كثير من الآيات أو أكثرها من دون تهيئة مسبقة وإنما تبعاً لأحداث طارئة أو في سفر أو حرب أو نحو ذلك، مما لا يسمح بالتمعن ومراجعة ما نزل منه سابقاً لتفادي التناقض في مضمونه.

د ـ تكرر التحدث فيه عن كثير من المواضيع التي تناولتها الآيات السابقة، وخلال فترات زمنية متباعدة ـ أكثر من عشرين عامّاً ـ مما يجعله معرّضاً للاضطراب والتناقض لو كان نتاجاً بشرياً.

هـ ـ صدوره من غير متعلّم أو غير متخصّص ـ على الأقل ـ رغم ما تضمنّه من العلوم والمعارف المتنوّعة والعميقة، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

و ـ عدم التذبذب في مستواه الفني والبلاغي، وعدم تطوّر أسلوبه رغم نزوله خلال عشرين عاماً أو أكثر[١].

---

(١) لمعرفة المزيد من دلائل الإعجاز القرآني يراجع مبحث إعجاز القرآن من كتاب: «علوم القرآن دروس منهجية» للمؤلف: ١٤.

﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٨٣).

س ١٩٥ ـ لماذا ينكر عليهم إذاعة ذلك مع أنه لم يُشر إلى كونهم مأمورين بإخفائه؟

ج ـ يبدو أن الآية تشير إلى سذاجة هؤلاء وعدم وعيهم حيث كانوا يتداولون الإشاعات التي يبثها الأعداء وينشرونها بين الناس، وكذلك يشيعون ما لا تسمح الظروف بنشره من أحداث تواجه المسلمين، بدلاً من مراجعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو من يعتمدهم صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك، والتقيّد بتوجيهاته باعتباره القائد العارف بالأمور والصالح العام للمسلمين.

س ١٩٦ ـ كيف يصح قوله ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ الذي يدل على أن عدم اتباع هؤلاء القليل للشيطان لم يكن بفضل الله ورحمته؟

ج ـ كلا، لأن فضل الله الذي تشير إليه الآية هو الفضل الإلهي الإضافي الذي شمل حال الأغلبية التي ضعفت أمام إرهاصات المرجفين، ولذلك قال **﴿فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾**، ومن الطبيعي أن يختص هذا الفضل بغير أولئك القليل الذين هم ثابتون أساساً ولا يفتقد ثباتهم إلى حجج إضافته ورعاية إلهية إضافية وان كان استقامة تلك القلة بفضل الله أيضاً ـ لأن هداية كل شخص بفضله تعالى وتوفيقه ـ لكنّه فضل الهي آخر خاص بهم استحقوه لتميزهم وهو غير الذي تشير إليه الآية.

﴿... وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا ... فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ...﴾(٩٢).

س ١٩٧ـ هل العداوة مع عشيرة القتيل وقومه تسقط الدية عن أهل القاتل كما تشير إليه الآية حيث اكتفت بتحرير الرقبة؟

ج ـ المقصود من القتيل هنا المسلمُ الذي قومه كفار حرّبيون، فانّهم أعداء القتيل والمسلمين فلا تُدفع لهم ديته، بل يكتفي قاتله بعتق الرقبة. وفي الحديث عن مسعدة بن صدقة قال: «سئل جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله ... **﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾** قال: «وإن كان من أهل الشرك الذين ليس لهم في الصلح، وهو مؤمن فتحرير رقبة(مؤمنة)فيما بينه وبين الله، وليس عليه الدية..» [1].

أي لا يدفع قاتله ديته إلى ذويه وهم كفار حربيون، بل يكفيه عتق رقبة بسبب قتل الخطأ.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٩٣).

س ١٩٨ـ كيف ينسجم مدلول الآية مع ما يقال من عدم خلود أهل الكبائر من المؤمنين؟

ج ـ الآية دلّت على استحقاق القاتل المتعمّد للخلود في النار، وهو لا

---

(١) تفسير العياشي:١/ ٢٨٩.

يمنع من قبول شفاعة الشافعين فيه وأن تناله الرحمة الإلهية، كما لا يمنع من غفران الله ذنبه إذا تاب توبةً صادقةً.

﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٩٥ ـ ٩٦).

س ١٩٩ ـ القاعدون عن الجهاد غير أولي الضرر عصاة بقعودهم عن الجهاد فكيف يقول: ﴿وَكُـلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾؟

ج ـ الجهاد واجب كفائي بمعنى انه إذا تصدى له العدد الكافي لإدارة الحرب وتحقيق النصر يسقط وجوبه عن الباقين ولا يكونون من العصاة، فالتفضيل في الآية للمبادرين إلى الجهاد ـ الذين تكتفي بهم ساحات الجهاد ـ على هؤلاء القاعدين غير العاصين لا على القاعدين الذين تحتاج إليهم ساحة الجهاد ويتخلفون عنها، فان هؤلاء عصاة موعودون بالعقاب الإلهي لا الحسنى.

س ٢٠٠ـ كيف فضّل الله المجاهدين (درجةً) مرّة و(درجاتٍ) أخرى؟

ج ـ ليس المقصود درجة واحدة، وإنّما الدرجة بمعنى المنزلة أي

إنهم أعلى منزلةً من القاعدين، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ﴾ وبعد أن بيّن أصل التفضيل أوضحّ الله سبحانه أنّ الفارق بين المنزلتين كبير، وأنّ المجاهدين أفضل بمراتب من القاعدين.

﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (٩٨ ـ ٩٩).

س ٢٠١ ـ إذا كان هؤلاء المستضعفون من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون الخروج من مكة فلا يكون تركهم الهجرة ذنباً حتى يغفره الله لهم؟

ج ـ يبدو أن هؤلاء لم يكونوا عاجزين تماماً عن الهجرة، وإنما تواجههم صعوبات شتى أو يخشون الضرر والإيذاء مثل العباس بن عبد المطلب ـ كما في بعض الروايات ـ، وذلك قد لا يكون عذراً شرعياً لبعضهم في ترك الهجرة، خاصة أنّه لم يثبت ـ تاريخياً ـ أن المشركين كانوا يقتلون أولئك المستضعفين، وإنما يحبسونهم ويضيّقون عليهم، كما يظهر مما لاقاه عبد الله بن سهيل بن عمرو وغيره بسبب الإسلام، من الحبس والمضايقات من أهاليهم في مكة، فكان بعضهم يفضّل البقاء في مكة ـ رغم المضايقات ـ على الهجرة والتغرب، مع حاجة المسلمين لأعداد إضافية في ساحات الجهاد.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(١٠١).

س ٢٠٢ ـ ما هو الارتباط بين فتنة الكافرين وقصر الصلاة؟

ج ـ الفتنة هنا بمعنى القتل ونحوه، والآية تشير إلى صلاةِ الخوف، وقصر ركعاتها بسبب الخطر الذي يواجه المصلّين، وقد فصّل الفقهاء أحكام صلاة الخوف في الكتب الفقهية. كما تشير الآية اللاحقة ـ الآتية ـ إلى كيفية الصلاة جماعة في مواجهة الأعداء في ساحة الجهاد. مما يكشف عن مدى أهمّية الصلاة والمحافظة عليها وعلى آدابها ومستحباتها، إلاّ أنّ من المؤسف أن نرى إهمال كثير من المسلمين لرعايتها بل ولأدائها متجاهلين أنها: «عمود الدين» ففي الحديث عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن عمود الدين الصلاة، وهي أوّل ما يُنظر فيه من عمل ابن آدم، فإن صحّت نُظر في عمله، وإن لم تصحّ لم ينظر في بقيّة عمله»[1].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾(١٠٣).

س ٢٠٣ـ هل يجب على المجاهد بعد أداء الصلاة

---

(١) تهذيب الأحكام: ٢/ ٢٣٧.

ذكر الله كما قال: ﴿فَاذْكُرُواْ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾؟

ج ـ كلاّ، ولكنّه إشارة ـ فيما يبدو ـ إلى أهمية ذكر الله والمداومة عليه حين الجهاد، لما له من أثر في النصر الإلهي، ولأنّه يساهم في شدّة عزيمة المجاهدين وتذكيرهم بالله تعالى، فالآية نظير قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾**.

س ٢٠٤ ـ هل يجب على المجاهد إعادة الصلاة الاضطرارية التي صلاّها في ساحة الجهاد بعد انتهاء المعارك كما يُوحي به قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾؟

ج ـ كلاّ، وإنما هذه الفقرة إشارة إلى أن الصلاة الاضطرارية الفاقدة لبعض الأجزاء أو الشروط المألوفة إنما تصحّ في ساحات الجهاد حيث يواجه المجاهدون خطر الأعداء، أما بعد الاطمئنان وانتهاء المعارك فيجب إتيان الصلوات الآتية تامة الأجزاء والشروط، كما يوحي بذلك قوله: **﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾**. فانّ إقامة الصلاة إتيانها تامة الأجزاء والشروط.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾(١٠٥ ـ ١٠٧).

س ٢٠٥ ـ ألا تدلّ هذه الآيات على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قد ارتكب ذنباً بدفاعه عن الخائنين، ولذلك نهاه الله تعالى عن المخاصمة والجدال دفاعاً عنهم وأمَره بالاستغفار؟

ج ـ هذه الآيات وما بعدها توحي أنّ بعض المنافقين أو نحوهم حاول الدفاع عن نفسه أو عن بعض المعتدين أو المذنبين وإتهام بعض الأبرياء أمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ملفّقاً حججاً كاذبة لإثبات ادعائه الباطل، محاولاً أن يكسب موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جانبه بعد أن خدع غيره بذلك ـ كما يشير إليه قوله تعالى ـ فيما بعد ـ: ﴿**هَاأَنتُمْ هَـؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ إلاّ أن الله سبحانه أرشد رسوله إلى الحقيقة، كما يشير إليه قوله تعالى ـ فيما بعد ـ: ﴿**وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ...**﴾[1] وهكذا يتضح من مجموع هذه الآيات أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ بفضل الله ورحمته ـ لم يقف إلى جانب المعتدين.

وأما الاستغفار فهو لا يعني صدور المعصية، لأنه يستعمل كثيراً ـ في القرآن وغيره ـ في حالات مخالفة الأولى وكلّ ما لا يناسب شأن الشخص أو لمجرد عدم إصابة الحق، كما أن الضلال لا يراد منه الضلال في الدين، بل مجانبة الصواب. فربّما يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد مال إلى النقاش أو التصديق ببراءة هؤلاء الخائنين، فأرشده الله إلى الحقيقة بفضله ورحمته. فيكون الاستغفار على مجّرد الميل النفسي المذكور وإن لم يكن معصية، لأن مقامه صلى الله عليه وآله وسلم يتطلب منه الاستغفار على ذلك، كما ورد أنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين.

---

(١) سورة آل عمران: ١١٣.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١١٠).

س ٢٠٦ ـ ما فائدة قوله: ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ مع أنّه من السوء أيضاً؟

ج ـ لعلّ المراد من السوء معناه العرفي مثل الاعتداء والسرقة والخيانة ـ وهو المورد الذي نزلت فيه هذه الآيات ـ و(ظلم النفس) كلّ معصية يفعلها الإنسان، لأنّه يكون ظالماً لنفسه في عصيانه، فالآية تشير إلى أن باب التوبة والمغفرة مفتوح أمام هؤلاء المعتدين والخائنين ـ مورد نزول الآيات ـ بل مفتوح أمام كلّ من يظلم نفسه أي كل العصاة.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(١١٢).

س ٢٠٧ ـ ما الفرق بين الإثم والخطيئة؟

ج ـ لعلّ لفظ الخطيئة ـ باعتباره على صيغة المبالغة «فعيل» إشارة للذنوب الكبيرة، والإثم إشارة إلى للذنوب الأخرى أو ما يعمّها. والله العالم.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾(١١٧).

س ٢٠٨ ـ كيف يقول: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا﴾ مع أن بعضهم لم يكن يعبد الإناث مثل: (هُبَل)؟

ج ـ قيل في تفسير ذلك عدة آراء:

الأول: أنّ المقصود من الإناث الأموات، لأن العرب تصف الضعيف بالأنوثة[١].

الثاني: ان المراد بها الأوثان وكانوا يسمونها باسم الإناث، قال الحسن: لم يكن حيّ من أحياء العرب إلاّ ولهم صنم يعبدونه، ويسمّونه أُنثى بني فلان[٢].

أقول: ولعلّ الآية جاءت من باب التغليب، لأن اكثر آلهتهم بأسماء الإناث.

س ٢٠٩ ـ كيف ينسجم قوله: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾. مع قوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا﴾؟

ج ـ بما انّ عبادة الأصنام ـ التي يسمونها في الغالب تسمية الإناث ـ بإيحاء وإغراء من الشيطان، فتكون دعوتهم هذه دعوةً للشيطان، في مقابل دعوة الرحمن.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾(١٢٤).

س ٢١٠ ـ كيف خصّ هؤلاء بأنهم﴿ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ، مع أنّ ذلك لا يختص بهم فكل إنسان مؤمن أو كافر لا يُظلم يوم القيامة نقيراً؟

ج ـ يمكن أن يكون قوله: ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ راجعاً لمن يعمل

(١) يراجع التفسير الكاشف: ٢/ ٤٣٩.

(٢) يراجع التفسير الكبير: ٦/ ٤٦.

الصالحات ولمن يعمل سوءاً المذكورين في الآية السابقة.

ولـو فرضنـا رجوعَه لخصوص الصالحـين فهو للإشـارة إلى أنهم لا يُحرمون من ثوابهم شيئاً ـ على اختلاف مراتبهم ـ وهو لا يعني ثبوت الظلم في حق غيرهم، خصوصاً انّ الآية السـابقة التي تحدثت عمن يعمل السـوء أشـارت إلى أنهم يجازَوْن بما يسـتحقّه عملهم ﴿مَن يَعْمَلْ سُـوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ...﴾(١٢٧).

س ٢١١ ـ ماهو الذي كتب لهنّ ومنعَهنّ هؤلاء منه؟

ج ـ هناك عدة آراء للمفسر ين:

(منهـا): أنّ أهل الجاهلية كانـوا لا يورِّثون الأولاد حتى يكبروا ولا يورِّثون النسـاء، وكانوا يقولون: لا نـورِّث إلاّ من قاتل ودَفع عن الحريم، فنزلت الآية تنهى عن ذلك.

(ومنهـا): انها نزلـت في بعض الصحابة كانت عنـده بنت عم عمياء ذميمـة، وقد ورثـت عن أبيها مالاً، فكان يرغب عـن نكاحها ولا يزوجّها لغيره خشـية أن يذهـب زوجها بمالها، فسـأل النبيَّ عن ذلـك فنزلت الآية تنهى عن حبسها ومنعها من التزويج[١]. وينطبق ذلك على حالات مشابهة تتضمن منع المرأة من حقها.

---

(١) راجع مجمع البيان: ٣/ ١٨٠-١٨١.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(١٢٨).

س ٢١٢ ـ ما فائدة قوله ﴿صُلْحًا﴾ مع أنه مفهوم من خلال قوله ﴿أَن يُصْلِحَا﴾؟

ج ـ بما انّ الآية ترتبط بتنازل الزوجة التي يروم زوجها طلاقها عن بعض حقوقها، بهدف صلاح ذات بينهما وأن يكّف عن الطلاق، لأنّ الصلح خير من انفصالهما، فكان من المناسب التأكيد على أن هذا الاتفاق يفترض أن يكون برضاهما على أساس المصالحة بينهما من دون فرض على أحدهما، لذلك أكدّه بقوله: ﴿صُلْحًا﴾.

س ٢١٣ ـ ما معنى قوله : ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾؟

ج ـ إشارة ـ فيما يبدو ـ إلى الطبيعة الإنسانية في حرصها ورغبتها في الاقتناء، وعدم ميلها للبذل والعطاء. فكأن هذه الخصلة تتراءى وتحضر بقوة لدى النفس حين المنازعة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ...﴾(١٣٦).

س ٢١٤ ـ ما معنى أمر المؤمنين بالإيمان بالله والكتب السماوية؟

ج ـ هناك عدّة آراء في تفسير هذه الآية:

الـرأي الأول: أنه خطـاب لأهل الكتاب بأن يؤمنـوا بكلّ ذلك ولا يقتصروا على الإيمان ببعضها.

الـرأي الثـاني: أنه خطـاب للمنافقـين الذيـن يؤمنون بألسـنتهم أن يؤمنوا عن عقيدة.

الـرأي الثالث: أنه خطـاب للمؤمنين أن يسـتمروا في إيمانهم ويثبتوا عليـه، كما قيل في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿**اهدِنَـآ الـصِّرَاطَ الْمُسـتَقِيمَ**﴾ ـ من سورة الفاتحة ـ انه بمعنى الدعاء باستمرار الهداية إلى الصراط المستقيم.

لكن الذي يبدو من الآية انّ الخطاب فيها للمؤمنين بهدف التأكيد أن الإيمان بهذه الأمور ـ بما يستتبعه من التزامات ومواقف ـ كلٌّ لا يتجزأ، فلا يقبـل الإيمان ببعضها، لأنه ناقص. وفي ذلـك تعريض بأهل الكتاب الذين يؤمنـون ببعض ويكفـرون ببعض، نظير قولـه تعـالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـاللهِ وَرُسُـلِهِ وَيُرِيـدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَـيْنَ اللهِ وَرُسُـلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِـنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [١].

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾(١٤١).

س ٢١٥ ـ كيـف يقـول المنافقـون للكافريـن

---

(١) سورة النساء: ١٥٠ - ١٥١.

﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ مع أنهم لم يسيطروا على الكافرين؟

ج ـ ليس الاستحواذ هنا بمعنى الغلبة، بل بمعنى طلب المحافظة، لأن حاذَ، بمعنى حافظَ، قال ابن منظور: وفي حديث الصلاة: فمن فرّغ لها قلبه وحاذ عليها فهو مؤمن أي حافظ عليها[1]. فالمنافقون يذكّرون الكافرين بموقفهم في المحافظة عليهم، من خلال نفاقهم وكيدهم للمؤمنين.

س ٢١٦ـ كيف يقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ مع أن الغلبة قد تكون للكافرين أحياناً منذ صدر الإسلام إلى عصرنا الحاضر؟

ج ـ يبدو أنّ المقصود ليس هو الغلبة العسكرية، لأنّ صدر الآية يشير إلى غلبة الكافرين أحياناً، وإنما هو الولاية في التشريع أو الغلبة في الحجة والبرهان أو انّ المقصود بها الفوز في الآخرة.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقولِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * وَبِكُفْرِهِمْ وَقولِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ (١٥٥ - ١٥٦).

س ٢١٧ ـ ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿كُفْرِهِم﴾؟

ج ـ لعلّ الكفر الأول جحود بني إسرائيل بآيات الله ودلائله على صدق أنبيائهم، والكفر الثاني إشارة إلى كفرهم بالله ورسوله وآياته وأنه

(١) لسان العرب: ٣/ ٤٨٦.

سبب إعراض الله عنهم، والكفر الثالث كأنه إشارة إلى إنكارهم نبوّة عيسى عليه السلام. وبما انّ الآيات الكريمة هنا بصدد الإشارة إلى مواقفهم السلبية المتعدّدة لذلك أشارت إلى أقسام كفرهم الثلاثة.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾(١٥٩).

س ٢١٨ـ اليهود من ضمن أهل الكتاب وهم لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام ولا يؤمنون به فكيف يقول: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾؟

ج ـ لعلّه إشارة إلى نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمان مع المهدي عليه السلام حيث يؤمن به كل الناس حتى اليهود، وعلى هذا الوجه يكون المقصود قبل موت عيسى عليه السلام. لا موت كل واحد من أهل الكتاب.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا﴾(١٦٠).

س ٢١٩ـ بما انّ الأحكام الإلهية تابعة للمصالح فكيف يحرّم عليهم الحلال مع عدم المصلحة في تحريمه؟

ج ـ مقتضى المصلحة هي الحلّية بالنسبة للفعل بحدّ ذاته، لأنه من الطيّبات، لكن بملاحظة ظلمهم وصدّهم عن سبيل الله تكون المصلحة في تحريم هذه الطيّبات عليهم إمّا عقوبةً وتشديداً عليهم ليتضرّعوا إلى الله ويرتدعوا عن سلوكهم السيء أو لتهذيب نفوسهم وتربيتها على الطاعة

ونبذ العصيان الذي اعتادوا عليه. فمصلحة التحريم ترجع إليهم.

﴿لَّـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾(١٦٢).

س ٢٢٠ ـ كيف يعتبرهم من أهل الكتاب مع أنهم قد أسلموا وآمنوا بالقرآن الكريم؟

ج ـ هذا تعبير شائع في اللغة باعتبار حالتهم قبل الإسلام، خاصة مع قرب عهدهم بانتسابهم إلى دينهم السابق، كما تقول عمّن أسلم من اليهود: فلان موضوعي من بين اليهود. فتعتبره من بينهم مع أنه قد أسلم.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾(١٦٣).

س ٢٢١ـ لماذا قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ﴾ مع أنّ هؤلاء كلّهم بعد نوح فيشملهم قوله: ﴿وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾؟

ج ـ لعلّ ذلك باعتبار انّ إبراهيم عليه السلام جاء بالحنيفيّة، فيمثّل مرحلة جديدة ومتميزة في تاريخ الأنبياء، ولذلك تم التأكيد في الآيات والروايات على ذكر إبراهيم عليه السلام وآل إبراهيم.

﴿لَّـكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾(١٦٦).

س ٢٢٢ـ ما الفائدة من ذكر شهادة الله والملائكة مع أنّ الكافرين لا يصدّقون الرسول في ادعائه؟

ج ـ الآية ليست بصدد الاحتجاج على الكافرين، وإنما هي تسلية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتذكير وتثبيت للمؤمنين، لأن الخطاب القرآني كما يستهدف محاجة الكافرين والجاحدين يستهدف تسلية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتثبيت المؤمنين أيضاً.

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾(١٧١).

س ٢٢٣ـ ما معنى أنّ عيسى بن مريم كلمة الله؟

ج ـ كأن ذلك إشارة إلى أن خلقه خلا من المقدمات الطبيعية لخلق البشر، بل من خلال إرادة الله وكلمته التي يرمز إليها القرآن بلفظة (كن). فوُصِف بمنشأ وجوده، باعتباره أثراً وناتجاً عنه.

س ٢٢٤ـ على هذا يصح تسمية آدم بكلمة الله، لأنه وُلـد كذلك من غير مقدمات الخلق العادية للبشر كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [1] ؟

ج ـ التسمية تصح لأدنى مناسبة. وإن كان هناك فرق بين آدم عليه السلام وعيسى عليه السلام، لأن آدم خُلق من مادة الطين ولذلك قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ بخلاف عيسى حيث لم يتقدمه خلق مادة من طين ونحوها، لذلك كان أولى بهذا الوصف «كلمة الله» وبسبب التصريح بخلق آدم من طين لم يتوهم أحد الوهيتّه، بينما نسبها الجاهلون لعيسى عليه السلام.

س ٢٢٥ـ ما معنى قوله: ﴿رُوحٌ مِّنْهُ﴾ حتى عُرف عيسى بكونه روح الله، ألا يوحي ذلك بمسحة الألوهية فيه؟

ج ـ كلاّ، لأن الروح هنا الوجود الحياتي الذي منشؤه ومانحه الله تعالى، كما منحه لآدم عليه السلام حيث قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ومع ذلك لم يتوهم أحد الألوهية في حق آدم عليه السلام بسبب هذا التعبير.

---

(١) سورة الحجر: ٢٩.

سورة المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾(١).

س٢٢٦ـ ماهو الارتباط بين مقدّمة الآية وما بعدها؟

ج ـ لا يبدو هناك ارتباط بينهما، فكل منهما كلام مستقل عن الآخر، ولا محذور في ذلك إذ لا يجب أن يكون بين أجزاء الآية الواحدة ارتباط في المعنى، لأنّ كثيراً من الآيات لا تقتصر على التعرض لموضوع واحد، بل تتناول مواضيع شتى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...﴾(٢).

س ٢٢٧ـ ما هو ارتباط ﴿آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بما قبله؟

ج ـ المقصود من ﴿آمِّينَ الْبَيْتَ﴾ هم زوّاره، فأنه كما يجب حفظ حرمة الشعائر وغيرها يجب حفظ حرمة زوّار البيت الحرام

وحجّاجه، فهو معطوف على ما قبله، لبيان أهميّة حفظ حرمتهم وتجنّب الاعتداء عليهم وقتالهم ـ كما كان يفعله قطّاع الطُرق مستغلّين سفر الحجّاج ـ كما تُحفظ حرمة الشعائر والشهر الحرام.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ... وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ... الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...﴾(٣).

س ٢٢٨ـ ما أكله السبع منعدم فما معنى تحريمه؟

ج ـ المقصود تحريم الأجزاء المتبقية من الحيوان الذي يفترسه السبع.

س ٢٢٩ـ أليس المفهوم من الآية انّ الله تعالى ارتضى الإسلام هذا اليومَ وليس فيما قبله، مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا إلى الإسلام منذ البعثة؟

ج ـ ليس المقصود من الإسلام مجرد الشهادتين، وإنما هذا الدين بمجموع أسسه وتعاليمه التي اكتملت هذا اليوم، فارتضاه الله لهم مكتملاً.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ...﴾(٤).

س ٢٣٠ ـ أليس عطف ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ

الْجَوَارِحِ﴾ على ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ يستلزم أنّ يكون أكل نفس الجوارح حلالا؟

ج ـ كلا، المقصود هنا ما تصطاده هذه الجوارح لا نفسها، ويدلّ عليه ـ بالإضافة إلى القرينة الحالية الواضحة ـ قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ فالذي يجوز أكله هو صيدها لا نفسها، ويمكن أيضاً ضمن القواعد النحوية توجيه الآية بحيث تكون الواو في قوله: ﴿مَا عَلَّمْتُم﴾ للاستئناف لا عاطفة.

س ٢٣١ ـ ما معنى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾؟

ج ـ بمعنى تدريبهنّ على طريقة الصيد من خلال ما ألهمكم الله بعقولكم.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾(٥).

س ٢٣٢ ـ ألا تدلّ الآية على حلّية ذبائح أهل الكتاب، لأنّه من ضمن الطعام؟

ج ـ لابدّ من الرجوع للسّنّة التي تضمنت تفسير الطعام. وقد اختلفت النصوص في ذلك، والمشهور بين فقهاء مدرسة آل البيت عليهم السلام حرمة ذبائح أهل الكتاب، وانّ المقصود بالطعام هنا غير الذبائح المحتاجة للتذكية.

س ٢٣٣ ـ ما معنى تحليل طعام المسلمين لأهل الكتاب في قوله: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ ما دام مصدر التشريع لديهم غير الإسلام وكتابه؟

ج ـ لعلّ المنظور في هذا التشريع هم المسلمون، بمعنى حلّية تقديم الطعام للكتابي، والهدف منه بيان حلّية المعاشرة معهم من خلال حلّية طعام كلٍّ من الفريقين أكلاً وتقديماً، وكذلك التعامل التجاري معهم والتزويج منهم.

﴿وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾(٦).

س ٢٣٤ ـ إذا كانت لفظة ﴿أَرْجُلَكُمْ﴾ معطوفة على ﴿رُؤُوسِكُمْ﴾ فلماذا نُصبت ولم تتبع المعطوف عليه؟

ج ـ هذا من العطف على المعنى ـ كما يسميه النحاة ـ وهو شائع في القرآن الكريم وفي كلام العرب، مثل قوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ فجاءت لفظة ﴿أَكُن﴾ مجزومة، مع أنها معطوفة على لفظة ﴿أَصَّدَّقَ﴾ المنصوبة. ونظير ذلك قول الشاعر:

بدا لي أنّي لستُ مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

فعطف لفظة «سابقٍ» المجرورة على لفظة «مدركَ» المنصوبة[١].

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾(٧).

س ٢٣٥ ـ ما هذا الميثاق الذي تتحدث عنه الآية؟

ج ـ لعلّه التزام كل مسلم ـ عند إسلامه وبيعته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ بطاعة الله ورسوله.

---

(١) لمزيد من التفصيل يراجع كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام الأنصاري. مبحث العطف على التوهم: ٢/ ١٢٢.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ...﴾(١٤).

س ٢٣٦ ـ لماذا لم يقل: (من النصارى)؟

ج ـ يبدو أن المقصود خصوص المستقيمين منهم لا كلهم باعتبار أن هذا الاسم مقتبس من قول الحواريين: **﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ﴾**[1] والمسيحيون المعاندون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستحقون هذا الانتساب، لعدم التزامهم بما أُخذ عليهم من الميثاق.

﴿... قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا...﴾(١٧).

س ٢٣٧ ـ كيف يمكن أن تتعلق الإرادة الإلهية بإهلاك أمّ المسيح التي هي بالفعل ـ حين نزول الآية ـ هالكة؟

ج ـ بما أنّ المتأخرين أتباع لأولئك فكأنّ الخطاب في الآية يشمل أولئك النصارى المعاصرين للمسيح وأمّه قبل وفاتها.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...﴾(١٨).

س ٢٣٨ ـ ما هو منشأ هذه النسبة لليهود والنصارى؟

ج ـ تضمنت مواقفهم مجموعة من الادعاءات التي أوجبت هذه النسبة: (منها): ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾**[2]. حيث أثبتوا لرموزهم البنوّة لله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران: ٥٢.

(١) سورة المائدة: ٣٠.

(ومنها): ادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار، ونظيره ادعاء النصارى، ففي رسالة بولس الأولى إلى كنيسة تسالونيكي: «نرجو أن يمهد الله أبونا وربُّنا يسوعُ طريق المجيء إليكم... وأن يقوي قلوبكم فتكونوا بقداسته لا لوم فيها أمام ألهنا وأبينا يوم مجيء ربّنا يسوع مع جميع قديسيه آمين» [١]، وفي رسالته الثانية: «من بولس وسلوانُس وتيموثاوس إلى كنيسة تسالونيكي التي في الله ابينا والربِّ يسوع المسيح عليكم النعمة والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح...» [٢]، وفي رسالة يوحنا الرسول الأولى: «والله أظهر محبته لنا بأن أرسل ابنه الأوحد إلى العالم لنحيا به، تلك هي المحبة. نحن ما أحببنا الله بل هو الذي أحبّنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا... اكتب إليكم بهذا لتعرفوا أن الحياة الأبدية لكم أنتم الذين يؤمنون باسم ابن الله...» [٣]. إلى غير ذلك من الشواهد على هذه الادعاءات الباطلة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ﴾(٢٠).

س ٢٣٩ ـ ما هو الذي آتاهم الله دون العالمين؟

ج ـ لقد ميّزهم الله تعالى بكثرة الأنبياء وكثرة الآيات والدلالات النازلة عليهم. وهذه الآية تشهد أن تفضيل بني إسرائيل الذي تحدثت عنه بعض الآيات القرآنية تشير إلى تميزّهم بمثل هذه الأمور، دون القرب وعلّو المقام عند الله، لأن هذا تابع لسلوك الأمم ومواقفها ولا يحابي الله تعالى أمّة على غيرها.

---

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد: ص٥٥٧.

(٢) المصدر: ص ٥٦٠.

(٣) المصدر ٦٥٧ و٦٦٠.

﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾(٣١).

س ٢٤٠ـ ما دام قابيل نادماً فلماذا لم تقبل توبته؟

ج ـ يبدو من الآية الكريمة أنّ ندمه لم يكن خشية من الله تعالى ورجوعاً إليه حتى يعتبر توبة، وإنّما لحيرته وشعوره بالضعف والعجز.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾(٣٢).

س ٢٤١ـ كيف يكون قتل نفس واحدة أو إحياؤها بمنزلة قتل الناس جميعاً أو إحيائهم؟

ج ـ لعلّه إشارة إلى البعد الاجتماعي لقتل النفس ظلماً وكذلك إحياؤها وتخليصها من الظلم والعدوان، وأن ذلك لا يقتصر على بُعده الشخصي، لما في الأول من التشجيع على انتهاك حرمة الأبرياء والإخلال بالأمن العام، وفي الثاني من التشجيع على إنقاذ النفوس البريئة والمحافظة على الأمن العام.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣٤).

س ٢٤٢ـ هل تدلّ الآية على سقوط الضمان والقصاص عمّا يرتكبه قطّاع الطُرق توبتهم؟

ج ـ كلا، بل الذي يسقط هو الحق العام وعقوبته باعتبار مبادرتهم

بالتوبة قبل إلقاء القبض عليهم، وأما الحق الخاص للمعتدى عليه أو ورثته من الضمان والقصاص أو الدية ـ إذا رضوا بها ـ فلا يسقط. لأنّ المغفرة والامتنان على الظالم لا يكون على حساب المظلوم.

﴿...يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ...﴾(٤١).

س ٢٤٣ ـ لماذا قال: ﴿مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ ولم يقل: (من مواضعه)؟

ج ـ فيه إيحاء باستقرار دلالة الكلم ووضوح معناه، ومع ذلك يحرّفه هؤلاء ويحاولون صرفه عن معناه الحقيقي الواضح.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾(٤٣).

س ٢٤٤ ـ هل يعني قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ﴾ وجود النسخة غير المحرّفة عندهم؟

ج ـ يبدو أنّ الآية ناظرة إلى حكم القصاص، وأنه كان محفوظاً في التوراة التي عندهم ـ أو عند بعضهم على الأقل ـ وهو لا يعني عدم التحريف بالنسبة لغيره.

ويشهد على ذلك قوله تعالى ـ فيما بعد ـ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1]. حيث يبدو منه ومما قبله أن الحكم بالقصاص كان معلوماً للأحبار اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) سورة المائدة: ٤٥.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٤٦).

س ٢٤٥ ـ لماذا كرّر قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾؟

ج ـ المنظور من الأول عيسى عليه السلام نفسه، ومن الثاني الإنجيل، فلا يكون تكراراً.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾(٤٧ – ٤٨).

س ٢٤٦ ـ كيف يؤمرون بالحكم بما في الإنجيل مع أنه نسخ بشريعة الإسلام؟

ج ـ ليس المقصود بأهل الإنجيل النصارى المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بل الذين هم قبل الإسلام، فانه بعد أن بيّن في الآية السابقة إرسال عيسى بالإنجيل ذكر أن النصارى مأمورون بالحكم بما في الإنجيل، كما كان اليهود مأمورين قبل النصرانية بالحكم بما في التوراة. ويتجلّى هذا المعنى على قراءة حمزة: (وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الإِنجِيلِ) بلام التعليل المكسورة ونصب الفعل. أي

إن تنزيل الإنجيل لأجل أن يحكم اتباعه على طبقه.

ومما يؤكّد أن الاحتكام للإنجيل بالنسبة لمن كان قبل الإسلام فحسب قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ حيث أكّد على لزوم الحكم ـ بعد الإسلام ـ طبقاً للشريعة الإسلامية، مبيّناً مشيئة الله تعالى وحكمته في اختلاف التشريع لكل عصر وكلّ أمة. وأن القرآن مهيمن على ما قبله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٥١).

س ٢٤٧ ـ كيف يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ مع أنّ ولاءهم لا يُخرج المسلم عن الإسلام؟

ج ـ ليس المراد أنه يصير يهودياً أو نصرانياً، وإنّما بولائه لهم ينتسب إلى جماعتهم ومعسكرهم المعادي للإسلام.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ...﴾(٥٢).

س ٢٤٨ ـ لماذا قال: ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ مع أنّ سارعَ تتعدى بـ (إلى) فيقال سارعت إلى السفر؟

ج ـ لعلّه باعتبار أنه ليس المقصود المسارعة إليهم، وإنما المسارعة في إظهار الولاء لهم.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٥٥).

س ٢٤٩ ـ كيف ينسجم ما يذكره شيعة آل البيت عليهم السلام من تفسير هذه الآية بعلي عليه السلام حيث أعطى السائل خاتمه أثناء ركوعه مع أنّ لفظ الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ...﴾ يدلُّ على الجماعة؟

ج ـ أولاً: انّ إطلاق لفظ الجماعة وإرادة الواحد مألوف في القرآن الكريم وغيره مثل قوله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** وقوله تعالى: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾** وكذلك قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾**حيث ذكر بعض المفسرين أنها نزلت في نعيم بن مسعود.

وثانياً: ان تفسير هذه الآية بالإمام علي عليه السلام لا يختص به الشيعة، بل ذكره كثير من المفسرين والمحدّثين كالطبري والثعلبي والقرطبي، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، والشوكاني في فتح القدير وابن كثير في تفسيره وغيرهم. حتى أنّ حسان بن ثابت نظم في ذلك شعراً، فقال فيه:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكل بطيء في الهدى ومسارع
فأنتَ الذي أعطيتَ إذ كنتَ راكعاً ... زكاةً فدتك النفسُ يا خير راكع
فأنزل فيك الله خيرَ ولاية ... وأثبتها مثنى كتابُ الشرائع[1]

---

(١) يراجع فرائد السمطين للحموي: ١/ ١٨٩، وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ١٥ وغيرهما.

س ٢٥٠ ـ ألا ينافي التفات الإمام علي عليه السلام لسؤال السائل ـ بناءً على نزول الآية فيه عليه السلام ـ الخشوع لله تعالى المطلوب والمحبّذ في الصلاة؟

ج ـ أولاً: أشارت بعض النصوص إلى أن الأمام عليّاً قد أعطى السائل خاتمة بعد أن طلب منه عليه السلام وهو في أثناء الصلاة.

ثانياً: ان الذي ينافي الخشوع في الصلاة هو الانشغال عن التوجه لله تعالى تأثراً بموثرات دنيوية دون مجرد سماع طلب السائل والتصدّق عليه الذي هو مقرّب لله أيضاً. وقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر أنه قال: (رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم نخامة في قبلة المسجد وهو يصلي بين يدي الناس فحتّها. ثم قال حين انصرف: «إن أحدكم إذا كان في الصلاة فانّ الله قِبَلَ وجهه، فلا يتنخَّمنَّ أحد قِبَلَ وجهه في الصلاة» رواه موسى بن عُقبه وابن أبي روّاد عن نافع [1]».

فهل إن التفاتة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنخامة وحتّها ـ أي تفتيتها حيث كانت يابسة ـ ينافيان خشوعه صلى الله عليه وآله وسلم لله تعالى أثناء الصلاة؟

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾(٦٠).

س ٢٥١ ـ ما هو الشرّ الأول الذي يشير إليه لفظ (ذلك)؟

(١) الجامع الصحيح: ١ / ٢٤٤ حديث: ٧٥٣.

ج ـ إنّـه الـشّر بنظر أهل الكتـاب ـ وإن كان خيراً وقربـة في الواقع ـ وهو الإيمان بالله وما أُنزل على النبي ومن قبله من الرسـل، الذي تشـير إليه الآية السابقة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ...﴾.

وهـذا التعبـير متعـارف في الخصومـة والحـوار، كـما تردّ عـلى من لا يرتـضي عقيدة التوحيد ويتهمك بالجهل والسـوء، فتقول له: «وأسـوأ من ذلـك جهلك بربـك وإنـكارك لفضله». فإنـه لا يعني اعترافاً منك بسـوء موقفك والجهل والباطل في عقيدتك. وإنما ذلك مجاراة له للردّ عليه.

﴿وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾(٦١).

س ٢٥٢ ـ ما معنى دخولهم بالكفر وخروجهم به؟

ج ـ كأن دخولهم بالكفر هو كفرهم، وخروجهم به هو ملازمتهم له رغم إظهار الإيمان، فيكون إشارة لنفاقهم.

﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قولـهمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾(٦٣).

س ٢٥٣ ـ هـل كان علماؤهـم ينهونهم عن قول الإثم وأكل السحت كما قد توحي به الآية؟

ج ـ كلاّ، الآية تدلّ على أنّ علماءهم لم يكونوا ينهونهم عن ذلك، لأن (لـولا) الداخلة على الفعل تدلّ على الحـث والتحضيض، فهي هنا بمعنى (هلاّ) وفيها إشـارة إلى تأنيب هؤلاء العلماء بسـبب عدم نهيهم عن المنكر. وتحثّهم على النهي عن المنكر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾(٦٩).

س ٢٥٤ ـ لماذا قال: ﴿الصَّابِئُونَ﴾ والمفروض أن يكون منصوباً، لأنه معطوف على اسم «إن» المنصوب؟

ج ـ أولاً: هذا ليس من عطف المرفوع ﴿الصَّابِئُونَ﴾ على المنصوب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، لأنّ قوله ﴿الصَّابِئُونَ﴾ مبتدأ، خبره ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ... ﴾ وخبر «إنّ» محذوف بقرينة خبر الجملة الثانية، والعطف من عطف الجملة على الجملة لا عطف المفرد، ونظير ذلك قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راضٍ والرأي مختلف

أي نحن بما عندنا راضون، فحذف الخبر اعتماداً على قرينة خبر الجملة الثانية.

ويجوز أن يكون الخبر الموجود خبراً لـ«إنّ» وخبر «الصابئون» محذوف بقرينة خبر «إنّ» كما قال ضابىء البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإنّي وقيّارٌ بها لغريب

أي وقيّار غريب، فحذف الخبر اعتماداً على خبر «إنّ».

وهناك رأي ثالث على رأي بعض النحاة بأن يكون ﴿الصَّابِئُونَ﴾ عطفاً على اسم «إنّ» من باب العطف على المعنى كما قال الشاعر:

بدا لي أنّي لستُ مدركَ ما مضى ... ولا سابقٍ شيئاً اذا كان جائياً

فعطف «سابقٍ» على «مدركَ» من باب العطف على المعنى رغم ان المعطوف مجرور والمعطوف عليه منصوب، وتفصيله في علم النحو. وعلى كل حال فليس ذلك غلطاً.

ثانياً: كيف يكون غلطاً والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عربي أصيل والبيئة عربيةٌ أصيلة قبل الاختلاط والتأثر بالأعاجم، ولذلك يستشهد النحويون بكلام العرب ـ إلى أواخر الدولة الأموية وبدايات العصر العباسي ـ من دون خلاف بينهم، ولو فتحت الباب لتخطئة العرب الأوائل لبطلت علوم العربية.

ثالثاً: كيف يفرض في القرآن هذا اللحن المكشوف من دون أن يعترض عليه العرب، رغم التحدّي القرآني لهم؟

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ (٧٧).

س ٢٥٥ ـ ما الفائدة من تكرير بيان ضلالهم؟

ج ـ لعلّ ضلالهم الأول بالتزامهم التعاليم المحرَّفة في دينهم وعدم اتبّاع تعاليم أنبيائهم، والضلال الثاني إشارة إلى عدم إيمانهم بالاسلام الذي هو خاتم الأديان. والله العالم.

﴿... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٢ - ٨٣).

س ٢٥٦ ـ كما انّ للنصارى قسيسين ورهباناً كذلك لليهود أحبار، وجلّ الفريقين لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فما الذي يميّز النصارى عن اليهود حتى صاروا أقرب مودةً للمؤمنين؟

ج ـ تميّز النصارى المعاصرون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن معاصريهم من اليهود والمشركين بسلوكهم السلمي مع المسلمين، بعكس المشركين واليهود الذين واجهوا المسلمين بالعدوان المسلّح والفتنة والخيانة. ويبدو أنّ لعلماء النصارى دوراً في موقفهم السلمي، حيث لم يوجّهوا أتباعهم لإثارة الفتنة والعدوان، حتى إنّ بعضهم آمن برسالة الإسلام ولم يستكبر في مواجهة الحق، وهم الذين أشارت اليهم الآية الكريمة بالثناء والمدح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(٩٠ - ٩١).

س ٢٥٧ ـ لماذا تحدثت الآية الثانية عن خصوص الخمر والميسر دون الأنصاب والأزلام التي ذكرتها الآية الأولى؟

ج ـ أولاً: باعتبار أن الذي يوجب العداوة والبغضاء والصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة هو الخمر والميسر دون الأنصاب والأزلام.

وثانياً: انّ ترك الأنصاب والأزلام أيسر من ترك الخمر والميسر، لأنّ هذين يوجبان الاعتياد بخلاف الأولين، ولعلّ قوله تعالى: **﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾** إشارة لذلك.

س ٢٥٨ ـ إذا كان الخمر من عمل الشيطان فكيف يوفره الله للمؤمنين في الجنة، كما قال

تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (١).

ج ـ انّ خمر الجنّة تختلف أوصافه جذرياً مع خمر الدنيا، فالصفة البارزة في خمر الدنيا هو ما يلازمه من فقدان الوعي الذي يجرّ عادةً إلى المفاسد كاللغو والجريمة والإثم، حيث كان لذلك الدور الحاسم في تحريمه ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (٢)، بالإضافة إلى النصوص التي أكّدت أنّ إسكار الخمر هو السبب في تحريمه، بينما خمر الآخرة فاقد لهاتين الصفتين، كما قال تعالى ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً﴾ (٤).

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٩٣).

س ٢٥٩ ـ لماذا كرّر قوله تعالى: ﴿اتَّقَواْ﴾ ثلاث مرات؟

ج ـ كأن الآية الكريمة بصدد التأكيد على التقوى وإيمان الإنسان واستقامته، وجاء تكرير الأمر بالتقوى، باعتبارها منشأ الخير والاستقامة، خاصة إذا كان الأمر مرتبطاً بالتخلّص من عادة شرب الخمر والسكر

---

(١) سورة المطففين:٢٥ ـ ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ٢١٩.

(٣) سورة الطور:٢٣.

(٤) سورة الواقعة:٢٥.

المستحكمة في النفس والمألوفة في المجتمع، حيث ورد في سبب نزول الآية من حديث علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ...﴾ قالوا: يا رسول الله، ما تقول في إخواننا الذين ماتوا، كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فأنزل الله الآية [١].

ولعلّ الأمر الأول بالتقوى اقترن بالإيمان بالله والرسول وعمل الصالحات. والأمر الثاني مقترن بالإيمان بحرمة شرب الخمر. والامر الثالث مقترن بحسن السلوك والاستقامة. والله العالم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ...﴾(٩٤).

س ٢٦٠ ـ لماذا خصّ الاختبار ببعض الصيد فقط؟ وما هو ذلك البعض؟

ج ـ لأنّ المحرَّم هو بعض الصيد لا كلّه، وذلك البعض إما إشارة لصيد البَرّ؛ لأنّ صيد البحر حلال للمحرم، أو نقول: بما أنّ الحديث عن صيد البّر فقط بقرينة قوله: ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ فيكون «البعض» إشارة إلى الصيد حين الإحرام دون صيد غير المحرِم. هذا كلّه بناءً على أن يكون المقصود من البلاء هو تشريع حرمة الصيد للمحرم، أما إذا كان المقصود من البلاء هو جعل الحيوان في متناول المحرِم تكويناً ـ بحيث يكون في متناوله صيده ـ فمن الطبيعي أن يكون ذلك بالنسبة لبعض الحيوانات، إذ لا يعقل أن تكون كل حيوانات الأرض في متناول الحجاج المحرمين.

---

(١) هامش الكشاف: ١ / ٦٧٦ عن الطبري.

﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٩٧).

س ٢٦١ ـ ما هو وجه دلالة هذه التشريعات على علم الله المطلق بما في السموات والأرض؟

ج ـ لعلّ ذلك بمعونة التأمل الدقيق في حكمة هذه التشريعات، وتناول التشريع الإلهي لكل التفاصيل، فانّ ذلك يوجب العلم بأن الله تعالى محيط بكل شيء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١٠٥).

س ٢٦٢ ـ كيف ينسجم مدلول هذه الآية مع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ج ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يجبان بشروط منها: احتمال تأثير الأمر أو تأثير النهي في قطع دابر المنكر بينما المنظور في الآية حالة إصرار الطرف الآخر على الضلال وعدم استجابتهم لدعوة الإيمان والهداية، حيث كان بعض المسلمين يحرصون على دعوة هؤلاء وهدايتهم رغم إصرارهم، وقد روي أن أبا ثعلبة سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية، فقال: «ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتَ دنيا مؤثرة وشحّاً مطاعاً وهوى متّبعاً، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر الناس وعوامهم»[1].

(١) مجمع البيان: ٣/ ٣٩٢.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾(١٠٩).

س ٢٦٣ ـ كيف يقول الرسل ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ مع أنّ كلّ رسول يعلم بموقف قومه؟

ج ـ الرُسل يرون المواقف المعلنة للجيل المعاصر لهم من أممهم دون كثير من التفاصيل والخفايا، والله سبحانه هو العالم بالمؤمنين الحقيقيين برسالاته ومدى التزام أبناء الجيل المعاصر للرسول، وكذلك الأجيال اللاحقة، لأنه تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١١٢).

س ٢٦٤ ـ ألا يعّبر هذا الاستفهام عن شكّ الحواريين في قدرة الله تعالى؟

ج ـ مثل هذا إنّما يعبّر عن عدم استيعابهم ـ آنذاك ـ لعموم قدرة الله تعالى دون الشك المنافي للإيمان، ولذلك عندما حذّرهم عيسى عليه السلام من أن يكون طلبهم معبِّراً عن الشك المذكور: ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ إذن فهدفهم مشاهدة الآية لتطمئن قلوبهم وتقوى حجّتهم أمام قومهم ولذلك قالوا: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ولعلّهم لا يقصدون من استطاعة الله قدرته التكوينية، بل انسجام طلبهم مع مصالح التكوين لتتحقق المشيئة الإلهية بذلك، كما تقول لصديقك: «هل تستطيع أن تزورني في العطلة»

وتقصد أن ظروفه هل تسمح بذلك. مع علمك بقدرته على زيارتك.

ولعلّ هدفهم من طلب المائدة مشاهدة الآية الإلهية ليتجلّى لهم مقام عيسى عليه السلام عند الله تعالى ورسالته، من دون أن يعني ذلك الشك والتردد منهم.

﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾(١١٦).

س ٢٦٥ ـ ما هو توجيه الاستفهام الإلهي مع عيسى مع أنّه منزّه عن احتمال هذا الادّعاء؟

ج ـ الآية تحكي عن الحوار يوم القيامة، والهدف منه توبيخ النصارى الذين ينسبون لعيسى عليه السلام هذا الادعاء، وجواب عيسى المتضّمن لتكذيبهم يكون أبلغ في إقامة الحجة عليهم.

س ٢٦٦ـ ما معنى قوله: ﴿وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾مع أنّ الله تعالى منزّه عن النفس، لأنّها ترتبط بالجسم؟

ج ـ النفس هنا بمعنى الذات وحقيقة الشيء، فكأنه قال: لا أعلم ما تضمره أنت وتخفيه. وليست بمعنى النفس بالمصطلح الفلسفي وهي المرتبطة بالجسم المادي.

سورة الأنعام

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾(١).

س ٢٦٧ ـ لماذا جاءت لفظة: ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ بصيغة الجمع، ولفظة: ﴿النُّورَ﴾ بصيغة المفرد؟

ج ـ لعلّ ذلك باعتبار أن لكل ظلمة آثاراً خاصة بها تتميز عن غيرها مثل ظلمة الليل وظلمة العواصف وغيرهما فكان المناسب ذكرها بصيغة الجمع، بينما المنظور من ذكر النور الإشارة للأثر المشترك لأسبابه وهو الإنارة، فلذلك أفرده.

ولعلّ الظلمات إشارة الى الاتجاهات المنحرفة التي يتيه بسبب كل منها أُمة أو مجموعة من الناس، بينما النور يرمز إلى الحق والطريق المستقيم وهو واحد. وعلى هذا الوجه يكون جعل الظلمات باعتبار أن كل شيء في دائرة التقدير والقضاء الإلهي.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾(٢).

س ٢٦٨ ـ لماذا كرّر الأجّل، وما هما الأجلان؟

ج ـ لعلّ الأجل الأول نهاية أمد الحياة الدنيا حيث تُمهل البشرية لحينه أو أجل كل فرد أو أمة، والأجل الثاني يوم القيامة حيث يكون موعد الحساب.

ويحتمل أن الأجل واحد، والتكرار لبيان أنّ هذا الأجل المجهول لدى الناس محدّد ومعلوم لديه تعالى، فلا مبّرر للامتراء ـ الشك ـ بسبب طول الأجل وجهلهم بنهايته.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٧).

س ٢٦٩ ـ ما الفارق بين نزول القرآن على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونزوله في قرطاس مع أنّ اتهامهم له بالسحر متحقق في كلا الفرضين؟

ج ـ حيث أريد للإسلام أن يكون خاتمة الأديان السماوية كانت معجزتُه الرئيسية القرآنَ الكريمَ ـ لا الإعجاز المادي المحسوس الذي يخبو سريعاً ـ ليجتذب بمضمونه العقل والوجدان لدى الأجيال المتعاقبة، ويكون مناراً لها.

وحيث كانت هناك رغبة أو طلب من بعض المعاصرين ـ ضيقي الأفق أو المعاندين ـ للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن يكون أعجازه مادياً كأن يكون قرآنه في قرطاس مادي محسوس ينزل عليهم، فأوضحت الآية الكريمة أنّ الكافرين الذين لا يحتكمون لعقولهم ووجدانهم ولا يتأثرون بمضمون القرآن ومواعظه لا تؤثر فيهم المعجزة المادية أيضاً، بل سوف يصّرون على غيّهم وعنادهم ويتهمون النبي بالسحر والباطل.

﴿وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾(٨- ٩).

س ٢٧٠ـ لماذا لم يكن للمَلَك بصورته الطبيعية أداء الرسالة الإلهية للبشرية؟

ج ـ شاء الله تعالى أن يجعل الحياة الدنيا محلاًّ للاختبار والتكليف ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وأن يمنح الإنسان بعقله وجهده فسحة ليختار الطريق المستقيم بنفسه ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ من دون أن يفرض عليه الإيمان والطاعة ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ كما شاء سبحانه أن يحمّل الإنسان المسؤولية في الحياة الدنيا ـ بعد استعداده لها ـ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾.

فكان من الطبيعي ـ على ضوء ذلك ـ أن يكون رسوله إلى البشرية من جنسهم مدعوماً بالحجة والبرهان، لأنّه على فرضية إنزال المَلَك لأداء الرسالة السماوية حيث كان نزول المَلَك بهيئته لا يحقق الهدف من إرسال الرسل إما لعدم انسجام هيئته أو طبيعته مع حياة الإنسان فلا يمكنه معايشة الأمة ومشاركتهم في شعورهم وهمومهم، أو لكونه لا يصلح أن يكون قدوة تقتدي به الأمة، لاختلافه معهم في الخلق والطبيعة بينما يفترض أن يكون الرسول مثلاً أعلى وسراجاً لأمته، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1] أو لغير ذلك ـ مما يعلمه الله ـ بحيث انحصرت مهمة الملائكة

(١) سورة الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

في نزولهـم على هيئتهم بتنفيذ الأمر الإلهي ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَـرُونَ﴾ فلابدّ أن يكون المَلَك الرسـولُ بهيئة البـشر وطبيعَته، كما قال تعـالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾، وذلك لا يحقق هدف المعاندين الذيـن يطالبـون بـأن يكـون الرسـول ملَـكاً عـلى طبيعتـه وهيئتـه المَلَكية.

نعـم، عندمـا تكـون المهمة مجرّد تبليغ مـن دون أن يكون الرسـول مصلحـاً للأمة وقدوةً لهـا، يمكن أن يتحمّلها المَلَك بهيئته الخاصة، ولذلك يكلّـف الله تعـالى بعـض الملائكة لإيصـال تعاليمـه إلى أنبيائـه، ولكن هذا الدور يختلف عن دور الأنبياء في أُممهم.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾(١٢).

س ٢٧١ ـ مـا معنـى أن يأمـر الله تعـالى رسـوله بالسؤال والجواب معاً؟

ج ـ هذا إرشاد من الله تعالى لنبيّه في كيفية محاججة الكافرين وسؤالهم، وإلى الإجابة المناسبة لهذا السؤال. وقد لا يكون الهدف تعليم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسـه، وإنّما دعم موقفه بالنص القرآني. والسـؤال المذكـور تعبير عمّا يدور في خلـد الإنسـان الباحـث عـن الحقيقة، أو الشـخص المجادل للرسـول.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(١٣).

س ٢٧٢ ـ لمـاذا خـصّ السـاكن بالذكـر مـع أن المتحرك لله تعالى أيضاً؟

ج - ليس السكون هنا في مقابل الحركة، بل بمعنى الاستقرار، قال الفيروزآبادي: سكَنَ سكوناً قرّ..[1].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ﴾(١٧).

س ٢٧٣ـ كما انّ الضرّ لا يكشفه إلاّ الله فكذلك الخير، فلماذا لم يذكر ذلك؟

ج - نعم، ولكن حيث انّ الإنسان توّاق إلى كشف الضر نبّهت الآية إلى أنّ الكاشف له هو الله، بعكس الخير الذي يرغب الإنسان فيه وفي استمراره. فلذلك قال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ﴾ ولم يقل فلا كاشف له إلاّ هو.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ..﴾(١٩).

س ٢٧٤ ـ كيف يجعل الله شهيداً بين الطرفين مع أنّ الكافرين لا يقرّون به؟

ج - حيث كانوا مزوّدين بالعقل الذي يرشدهم إلى الله تعالى وكماله - لو احتكموا إلى عقولهم - صحّ أن يكون الله شهيداً بينه وبينهم.

---

(١) القاموس المحيط: ٢/ ٢٢٧.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾(٢٣ - ٢٤).

س ٢٧٥ـ كيف يكذبون على الله يوم القيامة مع علمهم بأنه تعالى عالم بكفرهم في الحياة الدنيا؟

ج ـ إنّ الكافر عندما يرى أهوال يوم القيامة ومصير الكافرين القاتم يحاول التشبّث بكلّ حجة مهما وهنت للخلاص من العذاب، وبما انّ الفطرة والعقل يرشدان كلّ إنسان ـ في الحياة الدنيا ـ إلى الإيمان بالله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقال ـ حكاية لحال الكافرين في الدنيا ـ ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ فيحتج الكافرون يوم القيامة بما يمليه العقل وبتلك الفطرة التوحيدية التي فُطروا عليها في الدنيا كدليل على إيمانهم بالله، غافلين أو متغافلين عن أنّ ذلك ليس هو معيار الإيمان، لأنّ الإيمان هو عقد القلب على ما يدركه العقل وتمليه الفطرة، لا تجاهله وجحوده.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا...﴾(٢٥).

س ٢٧٦ ـ إذا كان الله تعالى قد جعل على قلوبهم أكنّة ـ جمع كنان وهو السّتر ـ وفي آذانهم وقراً ـ الثقل في الأذن ـ فيكونون معذورين في عدم إيمانهم، فكيف يعذّبهم على ذلك؟

ج ـ تقدم الكلام مفصّلاً حول الموضوع في تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ

اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ آية ٧: سورة البقرة ـ فليراجع.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(٣٦).

س ٢٧٧ـ أليس رجوعهم إلى الله من خلال بعثهم فلماذا فرّق بينهما؟

ج ـ كلا فإن البعث هو إحياؤهم بعد الموت. ورجوعهم إليه وقوفهم يوم القيامة.

﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٣٧).

س ٢٧٨ ـ ألا توحي هذه الآية أنّ الله تعالى لم ينزّل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم أيّة معجزة وآية، ولذلك اكتفى في ردّ طلب خصومه بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً﴾ ولم يقل انه أنزل آيةً بالفعل؟

ج ـ كلاَّ، لأنهم أرادوا آية مادية وشاخصة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على غرار عصا موسى وناقة صالح، فردّهم بأن تحديد طبيعة الآية راجع لله تعالى، لا لرغبات الأشخاص والجماعات، لأن الهدف من الآية إقامة الحجة من خلالها، وليس تلبية الطلبات التي لا تنضبط، وقد شاء الله تعالى أن تكون الآية الشاخصة لنبي الإسلام خالدة بخلود رسالته، وهي القرآن الكريم، حيث تحدى الأجيال المتعاقبة بالإتيان بسورة مثله. بالإضافة للمعاجز

الثانوية مثل شق القمر وكلام الذئب وحركة الشجرة وإخباره بالمغيبات وغيرها مما حفلت به المصادر التأريخية، وقد اشار القرآن الكريم الى صدور آيات مادية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد رآها الكافرون بأم اعينهم، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾(١). فالاية الكريمة نصت على رؤيتهم لبعض الآيات منه صلى الله عليه وآله وسلم التي استكبروا عن قبولها وقالوا ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ إلاّ أن تلك المعاجز كانت آنية، ولم تلازم مسيرة رسالته صلى الله عليه وآله وسلم، لأنها لم تكن معجزته الرئيسية.

﴿... أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٥٤).

س ٢٧٩ ـ لماذا ذكر التوبة والمغفرة مع أنّ الجاهل معذور فهو لا يحتاج إلى توبة؟

ج ـ ليست الجهالة هنا بمعنى الجهل وعدم العلم، بل بمعنى السفاهة المقابلة للحكمة، لأنّ ارتكاب الذنب تبعاً للشهوة أو الهوى من السفه وخلاف الحكمة. وقدم تقدم توضيح ذلك.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ...﴾(٦٠).

س ٢٨٠ ـ النوم ليس وفاةً فكيف يقول: ﴿يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾؟

ج ـ ليس المقصود من الوفاة الموت، وإنما هو قبض النفس عن أبرز مظاهر الحياة من الوعي والحيوية، من خلال ظاهرة النوم. وكأن الآية الكريمة تشير إلى إحاطة الله تعالى بالإنسان في الليل والنهار.

---

(١) سورة القمر: ١ ـ ٢.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾(٦١).

س ٢٨١ـ ما هي مهمة هؤلاء الحفظة؟

ج ـ ذهب بعض المفسرين إلى أنّ مهمة هؤلاء حفظ الإنسان من الهلاك، وقد أشارت مجموعة من النصوص إلى ذلك، منها ما جاء في نهج البلاغة عن الإمام علي عليه السلام: «انّ مع كلّ إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإنّ الأجل جنّة حصينة»[1]، ولعلّ إلى ذلك يشير قوله تعالى: **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾**[2].

ويرى فريق آخر من المفسّرين أنّ مهمّة هؤلاء الملائكة حفظ أعمال الإنسان وإحصاؤها ليحاسب عليها يوم القيامة، كما أشار إليه قوله تعالى: **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾**[3]، ويبدو أن هذا الرأي هو الأرجح في تفسير الآية التي نتحدث عنها، لأنّ تعدية الفعل بـ (على) تناسب تحميل المسؤولية لا الامتنان وإلاّ لقال: «ويرسل لكم حفظةً».

أقول: وربما يكون الحافظان للإنسان من الحوادث هما نفس الملكين اللذين يحفظان أعماله ويسجّلان عثراته. والله العالم.

س ٢٨٢ ـ كيف يقول: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ مع انّ الذي يتوفى الإنسان حين الموت ملك الموت كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي

---

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص ١٤٠.

(٢) سورة الرعد: ١١.

(٣) سورة الانفطار: ١٠ ـ ١٢.

﴿وُكِّلَ بِكُمْ﴾[1]؟

ج ـ لعلّ المقصود أعوان ملك الموت وجنوده، فيصح نسبة التوفي لهم باعتبارهم المباشرين كما يصح نسبته إلى ملك الموت باعتباره المسؤول عن ذلك والموجِّه لأعوانه، وتصح نسبته لله تعالى أيضاً باعتباره المقدرِّ لذلك، وكل شيء خاضع لإرادته، كما في قوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2] ولا محذور في تعدّد نسبة الفعل الواحد، ما دامت طولية، لا عَرْضية.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٣)

س ٢٨٣ ـ لماذا خصّ ذلك بالظلمات، مع أنّ الشدائد التي تواجه الإنسان قد تكون في وضح النهار؟

ج ـ الظلمات كناية عن الشدة، قال الزجاج: العرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة: يوم مظلم، حتّى إنهم يقولون يوم ذو كواكب، أي اشتدّت ظلمته حتى صار كالليل، وأنشد:

بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يومُ ذو كواكبَ أشهبُ[3]

س ٢٨٤ ـ لماذا خصّ الدعاء بالخفية، مع انّ الإنسان كثيراً مّا يجهر بدعائه عند الشدة؟

ج ـ ربما تتحدّث الآية عن دعاء الكافرين عند الشدة، فانهم لا

---

(١) سورة السجدة: ١١.

(٢) سورة الزمر: ٤٢.

(٣) تاج العروس: ٨/ ٣٨٤.

يجهرون بدعائهم لله وإنما يتوجّهون إليه خفية.

ويمكن أن يكون المقصود من التضرع الضّراعة الملازمة عادة لإظهار التذلّل فيكون إشارة للجهر بالدعاء، قال ابن منظور: المعنى تدعونه مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر والحاجة إلى الله عزَّ وجلَّ(١). وعلى هذا الوجه تكون الآية متعرضّة للدعاء جهراً وخفية.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٦٨- ٦٩).

س ٢٨٥ـ كيف يُنسي الشيطانُ النبَّي عن أداء تكليفه؟

ج ـ الآية الكريمة لم تخبر عن إنساء الشيطان للنبي بالفعل، وانما هو مجرّد فرضية، ولذلك تقدمتّه أداة الشرط، لأنّ (إمّا) مركبة من «إن» الشرطية و«ما». والخطاب بتجنّب مجالسة الظالمين ـ عند استهزائهم بآيات الله ـ لا يختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإن جاء بصيغة المفرد ـ بل يعمّ كل المسلمين، ولذلك نفت الآية اللاحقة تحمُّل المتقين مسؤولية عمل الكافرين.

وعلى كل حال فحيث كان المقصود بالخطاب كلّ المسلمين لا خصوص النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيتضح أن الآية لا تدّل على تحقق النسيان بالفعل من كل المخاطبين وإنما تضمنّت بيان الحكم الشرعي لحالة أو فرضية قد تتحقق بالنسبة لبعضهم. والله العالِم.

---

(١) لسان العرب: ٨/ ٢٢٢.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (٧٤)

س ٢٨٦ ـ كيف ينسجم مضمون الآية مع ما عُرف بين شيعة آل البيت عليهم السلام من أنّ أبا إبراهيم كان موحّداً لله تعالى ؟

ج ـ الملاحظ أنّ النسابين ينسبون إبراهيم عليه السلام إلى تارخ، قال الزجاج : « ليس بين النسابين اختلاف انّ اسم أبي إبراهيم تارخ..» [١]. وقال الطبري : «.. وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور..» [٢]

. ولعلّ إطلاق لفظ الأب على «آزر» لكونه جدّه من أُمه، أو عمّه ـ كما قيل ـ حيث قد يطلق الأب عليه. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «ردوّا عليّ أبي» يعني عمه[٣] العباس فاستعمل الأب بمعنى العم.

وقيل: ان كثيراً من الجمهور وافقوا الشيعة في ذلك ،قال الآلوسي في تفسيره : وعلى هذا جمّ غفير من أهل السنّة[٤] .

ومما يشهد بأن «آزر» لم يكن والد ابرهيم أن القرآن الكريم نص على أن إبراهيم قد تبرأ من «آزر» بعدّما تبيّن له أنه عدوّ لله ومصرّ على الكفر **﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾** [٥]، وكان ذلك في فترة

---

(١) مجمع البيان : ٤ / ٤٩٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ١ / ١٦٢ .

(٣) يراجع التفسير الكبير : ١٣ / ٤٠ .

(٤) التفسير الكاشف ـ نقلاً عن الآلوسي ـ : ٣ / ٢١٣ .

(٥) سورة التوبة: ١١٤ .

شبابه بعد بدايات دعوته لقومه بعبادة الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ... وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾(١). بينما نجده عليه السلام بعد ذلك وفي فترة شيخوخته ـ حيث ولد له إسماعيل واسحاق ـ يدعو لوالديه بالمغفرة كما حكى عنه تعالى في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾(٢)، وهذا يؤكّد أن «آزر» الذي تبرّأ منه في فترة شبابه وبدايات دعوته لله تعالى، ليس والده، وأن والديه مؤمنان بالله تعالى، ولذلك استحقّا الدعاء بالمغفرة والرحمة منه عليه السلام وهو في مرحلة الشيخوخة.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦)

س ٢٨٧ ـ هل كان إبراهيم جاهلاً بربّه حتى يقول مثل هذا؟

ج ـ احتمل بعض المفسرين أن يكون الربّ هنا بمعنى المدبّر، وأن هذه الآيات تتحدث عن مرحلة بحث إبراهيم عليه السلام عن المدبّر للكون بالرغم من اعتقاده بوجود الله تعالى واختصاصه بالألوهية، وأنه كان يبحث عن إمكانية إسناد تدبير الكون لبعض مخلوقاته كالكواكب والقمر والشمس، خصوصاً مع انتشار هذه الأفكار ضمن المجتمع الذي كان يعيش فيه.

ولكن ملاحظة مجموع الآيات الكريمة توحي بأنّ إبراهيم عليه السلام

---

(١) سورة الشعراء: ٧٠ـ ٧١، ٨٦.

(٢) سورة ابراهيم: ٢٩ ـ ٤١

كان في مقام مخاصمة قومه وأفكارهم بالأسلوب المؤثر من خلال افتراض هذه المدّعيات وردّها بالحجة والبرهان، ولذلك نراه بعد أن استعرض هذه الفرضيات وردّها، وجّه خطابه لقومه قائلاً ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ممّا يؤكد أن عملية الافتراض والردّ لم تكن مختزنة في نفسه ضمن تكوين معتقده الشخصي، بل في ضمن جوّ الحوار مع الخصم.

وممّا يؤيد ذلك أن قضية أُفول هذه الكواكب ليست مما تخفى على الطفل المميّز فضلاً عن مثل إبراهيم عليه السلام الواعي لعملية الاستدلال والاستنتاج المعقّدة، ولذلك اضطر أصحاب الاتجاه الأول ـ وكذلك الذين توهموا جهل إبراهيم لخالقه آنذاك ـ إلى التشبث بروايات واهية وغير معقولة تتضمن أنه كان يعيش في مغارة، وأنه لم يرَ إلى ذاك الوقت كوكباً ولا شمساً ولا قمراً، وأنه فوجئ بحركتها وأفولها[1].

س ٢٨٨ ـ لماذا استند في نفي ربوبية الكوكب إلى عدم حبّه للآفلين، مع أن قضية الربوبية غير مرتبطة بالمشاعر كالحب والبغض؟

ج ـ الموضوع ليس مجرّد مشاعر، وإنما باعتبار أن عدم حب الآفل بسبب نقصه وخضوعه لغيره في حركته وافوله، فيمتنع أن يكون هو الخالق أو المدبّر لهذا الكون الواسع المعقّد وما فيه.

والذي يبدو من ملاحظة مجموع الآيات الكريمة أن إبراهيم عليه السلام كان بصدد رفض ومناقشة الفرضيات المختلفة المعارضة للتوحيد، فبدأ بنفي فكرة ألوهية الأصنام، باعتبارها من نتاج الإنسان وأنها جمادات لا تعي

---

(١) يراجع تاريخ الأمم والملوك: ١ / ١٦٤.

ولا تعقل ولا تقدر على شيء، أما الكواكب فحيث إنها لم تكن نتاجاً إنسانياً ولا في متناول يده وسلطانه فاستدلّ على رفض ربوبيتها، من خلال أُفولها الذي هو مظهر الضعف والنقص فيها، بادئاً بأصغرها وأقلّها إشعاعاً وهو الكواكب، وانتهاءً بنفي الأكبر والأشد إشعاعاً وأقوى نوراً، وهو الشمس.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠).

س ٢٨٩ ـ ما وجه الاستثناء بقوله ﴿إِلاّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئا﴾ فهل يعقل أن يشاء الله تعالى أن توقع الأصنام أو الكواكب ضرراً بابراهيم حتى يذكر هذا الاستثناء؟

ج ـ يبدو أن محاجة قومه اعتمدت تخويفه من آلهتهم وأربابهم، باعتبارها الفكرة السائدة التي ربطتهم بها ـ بإيحاء من كهنتهم ـ خصوصاً بالنسبة للكواكب، حيث كانوا يتصوّرون أن سقوط الشهب وخسوف القمر وكسوف الشمس دلائل غضب هذه الإلهة، ولذلك كانوا يقدّمون لها القرابين خلال هذه الفترة، لإرضائها، فهدّدوا إبراهيم من مغبة غضبها، وبعد أن رفض إبراهيم خوفه منها: **﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾** استدرك بأن ما قد يصيبه من أمراض وما يواجهه من أخطار ـ باعتباره بشراً معرّضاً لكلّ ذلك ـ إنما هو بمشيئة الله تعالى وقدرته، لا بسبب غضب آلهتهم وفعلها، فقال **﴿إِلاّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئا﴾**. فالمقصود إلاّ أن يشاء ربي ابتلائي.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾(٩١).

س ٢٩٠ـ كيف يكون إنكار ارسال الرسالة على البشر منافياً لتعظيم الله تعالى ومعرفة قدره، مع أن هؤلاء إنما انكروا ارسال البشر من جانب الله تعظيماً له تعالى بزعمهم؟

ج ـ هؤلاء قاسوا عظمة الله تعالى وكبرياءه بالطغاة وكبريائهم حيث يهتمون بمظاهر العظمة في اختيارهم لرسلهم وممثليهم، فقالوا: «ليس من المعقول أن يختار الله لرسالته بشراً ضعيفاً» بينما الباري تعالى يراعي الحكمة ومصلحة العباد وإقامة الحجة عليهم التي تنسجم مع كون الرسول بشراً مثلهم، من دون أن يكون محتاجاً لهم، بعكس الطغاة الذين يحرصون على التكبر وابراز قوتهم وسلطانهم أمام الآخرين، وهذا الحرص إنما يعبّر عن نقص فيهم، فقياس الباري عزَّ وجلَّ عليهم ينمّ عن جهل بحقيقة عظمته وقدره تعالى.

س ٢٩١ـ من هؤلاء الذين تشير الآية إلى إنكارهم إرسال البشر؟ فاليهود لا ينكرون ذلك، لأنهم يعترفون بأنّ نبيهم بشر، والمشركون لا يعترفون بنبوة موسى فكيف يحاججهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ

ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[(١)].

ج-ليس من الضروري أن يكون صدر الآية وذيلها مرتبطاً بفئة واحدة، بل يمكن أن يكون صدر الآية يعـرّض بالمشركين الذين ينفون كون البشر رسلاً من الله تعالى، وذيلها يردّ على اليهود المتلاعبين بكتاب موسى عليه السلام.

ويمكن أيضاً افتراض وحدة الفئة الذين تتحدث عنهم الآية بصدرها وذيلها وأن المقصودين في الآية بعض اليهود الذين كانوا يظاهرون المشركين على المسلمين و يوادّونهم ويصرفونهم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ عندما يسألهم أولئك المشركون ـ كما أكدتها المصادر التاريخية وأشار إليه قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾**[(٢)]. فكان هؤلاء اليهود يوهمونهم أن الله لا يرسل البشر رسُلاً منه إلى عباده، خاصة إذا لاحظنا سطحية الثقافة الدينية لكثير من المشركين، وجهلهم بأُسس الديانة اليهودية وكون نبيّهم موسى عليه السلام بشراً، بل قد لا يعرفون عنها إلاّ أنها ديانة سماوية فحسب، وقد ساعد انطواء اليهود على أنفسهم وعدم التبشير بدينهم على جهل المشركين به.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢).

س ٢٩٢ ـ إذا كانت مهمة النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) سورة الأنعام : ٩١ .

(٢) سورة النساء : ٥١.

إنـذار أُم القرى ـ مكة ـ ومن حولها، فكيف تكون رسالته عالمية؟

ج: ١ ـ منشـأ هذا التوهم تفسير (الحول) بالمحيط القريب، بينما نجد الاستعمال القرآني لهـذه اللفّظة في غير ذلـك، كما في قولـه تعـالى: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى**﴾[١]. قال الطبرسي: « معناه: ولقد أهلكنا ـ يا أهل مكة ـ ما حولكم، وهم قوم هود، وكانوا باليمن، وقوم صالح بالحجر، وقـوم لوط عـلى طريقهـم إلى الشـام» [٢]. وكذلـك في سـورة العنكبوت: ﴿**أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّـا جَعَلْنَـا حَرَمـاً آمِنـاً وَيُتَخَطَّـفُ النَّـاسُ مِـنْ حَوْلِهِـمْ**﴾[٣].

٢ ـ الملاحظ أن الآية لم تعبّر (مكة وما حولها) ،وهذا يوحي أنه ليس المنظـور إليهـا بما هي بقعة خاصة وما يحيط بهـا جُغرافياً، بل في كلتا الآيتين استخدم لفظ (أُم القرى) وكأنه لتأكيد مركزية مكّة بالنسبة للبقاع الأُخرى، بسـبب وجـود الكعبة البيـت الحرام فيهـا، والعرب تسـمي كلّ أمرٍ جامع (أُمّاً)، وقد حكي عن ابن عباس أنّ سـبب تسـمية مكة بذلك أن الأرضين دحيت من تحتها ومن حولها، وقال أبو بكر الأصم: «سـميت بذلك، لأنها قبلـة أهل الدنيا فصارت هي كالأصل وسـائر البـلاد والقرى تابعة لها» [٤] واختصاص هذا الأسم بمكة شاهد على عدم النظر إليها بما أنها بقعة معيّنة.

٣ ـ لـو فرضنا ظهور الآية في البقعة الجغرافية المحدّدة فقد يكون من باب التأكيد أو باعتبار أنّ ذلك كان الأُفق المتيسّر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم آنذاك،

---

(١) سورة الأحقاف: ٢٧.

(٢) مجمع البيان: ٩ / ١٣٨.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٧.

(٤) التفسير الكبير: ١٣ / ٨١.

ولذلـك نراه صلى الله عليه وآله وسلم قد وسّـع دائرة رسـالته فيما بعد لتشـمل أهل يثرب ثمّ الجزيرة العربية، ومن بعدها الروم والفرس وغيرهم من الشـعوب، من دون ان يعترض عليه أحد من المسلمين وغيرهم بمثل هذه الآية.

س ٢٩٣ ـ كيف يقول ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُـونَ بِهِ﴾ مـع أن اليهـود والنصـارى يؤمنـون بالآخرة و لا يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا بالقرآن؟

ج ـ لعـلّ المقصود منهـم الذين يحرّكهم ايمانهـم ويدعوهم إلى تحري الحقيقة حيث يوصلهم ذلك إلى صدق الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم والإيمان برسـالة الإسلام والعمل بأحكامه ـ دون الفئة الأخرى منهم المصرّة على عدم الإيمان بالنبـي صلى الله عليه وآله وسلم والقـرآن رغم قيام الحجة عليهـم، فانهم بحكم الكافرين غـير المؤمنين بالآخرة، لعدم انسـجام موقفهـم مع إدعاء الإيـمان بالآخرة ـ ولذلـك عطـف على الإيمان بالرسـول أو القـرآن المحافظةَ عـلى الصلاة، مـع أنّ ذلـك لا يعـمّ كل أهـل الكتاب، بل القسـم الأول منهم فحسـب.

﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾(٩٥).

س ٢٩٤ ـ هـل أنّ فلق الحب والنوى مختص بالله تعالى؟

ج ـ نعم، لأن المقصود منه فلق الحبة ليخرج منها النبات وفلق النوى ليخرج منها النخل والشجر، لا مجرّد الشق الذي هو من الأمور العادية.

﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(١٠٣)

س ٢٩٥ ـ لماذا خصّ الأبصار بالذكر مع أن كل الحواس لا تدركه وهو يدركها؟

ج ـ لعلّه باعتبار أن البصر هو الحاسة الوحيدة التي هي مثار توهّم إدراك الله تعالى بها، ولذلك اقتصر ادعاء المنحرفين بإدراكه بالبصر دون غيره من الحواس، وصارت مسألة رؤيته تعالى من مسائل علم الكلام ـ العقائد ـ دون غيرها.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(١٠٥)

س ٢٩٦ ـ الهدف من تصريف الآيات هو هداية الناس لا ضلالهم، فكيف يقول ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾أي حفظته وتعلّمته من أهل الكتاب، فهل ضلالهم المذكور هدف لتصريف الآيات؟

ج ـ هذه اللام ليست للتعليل ـ كما ابتنى عليه السؤال ـ وإنما هي لام العاقبة والصيرورة التي تدخل على نتيجة الفعل غير المقصودة للفاعل مثل اللّام في قوله تعالى **﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾**[1] مع أنّ التقاطهم لموسى عليه السلام لم يكن بهذا الهدف، وإنما ترتّب ذلك من دون أن يكون مقصوداً لهم.

---

(١) سورة القصص : ٨ .

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾(١٠٧)

س ٢٩٧ ـ ما هو الفرق بين الحفيظ والوكيل؟

ج ـ قال الطبرسي: «.. فانّ الحافظ للشيء هو الذي يصونه عمّا يضرّه، والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير إليه»[1]، وربما يكون المقصود من الحفيظ المسؤول، ومن الوكيل المهيمَن، والمعنى أن الله تعالى لا يحاسب رسوله على كفرهم لأنه ليس مسؤولاً عن موقفهم، ولم يجعل له سلطة وقدرة تكوينية تردّعهم عن كفرهم لأنه ليس مهيمناً عليهم.

﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١٠٨)

س ٢٩٨ ـ كيف ينسب الله تعالى التزيين لنفسه، وفي آيات اخرى نسبه للشيطان، منها قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ؟

ج ـ نسبة التزيين للشيطان لأنه سببه، ونسبته لله تعالى باعتبار أنّ كلّ شيء بقضائه و قدره، كما قال تعالى: **﴿فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾**[2]، مع أن للهداية والضلال أسبابها.

---

(١) مجمع البيان: ٤ / ٥٣٦.

(٢) سورة إبراهيم: ٤.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(١٠٩)

س ٢٩٩ ـ إذا كانوا يؤمنون عند مجيء الآية التي طلبوها ـ كما توحي به الآية الكريمة ـ فلماذا لم ينزّلها الله تعالى وهو اللطيف بعباده الذي يريد لهم الهداية والسعادة؟

ج ـ أولاً: إن الهدف من إنزال الآيات إقامة الحجة عليهم، وينزّل الله الآيات التي تكفي لإقامة الحجة على الناس، ولو ابتنى إنزال الآيات على الاستجابة لطلب وأهواء الأشخاص والجماعات لارتبكت مواقف الأنبياء، لأنّ طلبات ورغبات الأشخاص وتوقيتها غير منضبطة.

ثانياً: ذكر بعض المفسّرين أن (لا) ليست نافية، وأن المعنى: وما يشعركم أنهم يؤمنون؟ فيكونون مثل قوم صالح الذين طلبوا الناقة وعقروها فيما بعد، فاستحقوا العذاب والفناء في الدنيا، بينما شاء الله أن لا يفني هؤلاء، بل يفسح لهم الفرصة أو لأبنائهم للإيمان برسالة الإسلام الذي أراد لهم أن يحملوها إلى الأُمم الأخرى لتبقى خالدة وتنتشر.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾(١١١)

س ٣٠٠ ـ لماذا لم يشأ الله هدايتهم؟

ج ـ لأن هذه المشيئة ـ لو تحققت ـ تكوينية، فلا يكون ايمانهم

اختيارياً، وذلك لا فائدة فيه، لأن الله تعالى أراد لهذه الدنيا أن تكون دار اختبار بحيث يتحمل الإنسان مسؤوليته باختياره.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(١١٧)

س ٣٠١ ـ حيث أنّ لفظة (أعلم) مضافة إلى اسم الموصول، فيكون معناه أن الله تعالى من المضلين كما تقول: «فلان أعلم الفقهاء»؟

ج ـ كلاّ، ليست هي مضافة إلى اسم الموصول، بل اسم الموصول (مَن) إما مفعول به لفعل محذوف، والتقدير: إن ربّك هو أعلم يعلم من يُضل ..الخ كما ذهب إليه بعض النحاة، أو منصوب بنزع الخافض أي بحذف حرف الجر، والتقدير: أعلم بمن يضل، والذي حسّن الحذف كونُ المجرور طويلاً ـ أي اسم الموصول وصلته ـ ووجود الباء في قوله : بالمهتدين، فحذفها هناك اعتماداً على وجودها هنا وذلك تجنباً لتكرارها.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(١٢٣)

س ٣٠٢ ـ إذا كان علّة جعل الأكابر في كل قرية مكرهم فيها، فيكون مكرهم مراداً لله تعالى؟

ج ـ كلاّ، لأن هذه اللام ليست لام التعليل، وإنما هي لام الصيرورة، ويسميها النحاة لام العاقبة، وهي تدخل على النتيجة من دون أن تكون

هـي الغاية والهدف، نظير اللام في قولـه تعـالى ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُـمْ عَـدُوّاً وَحَزَناً﴾ فإن هدفهم من التقاط موسـى عليه السلام أن يصير لهم ولداً مؤنساً، لا عدواً وحزناً، لكن النتيجة كانت غير ذلك.

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(١٢٨)

س ٣٠٣ ـ إذا كان الكفـار خالديـن في النار ـ كما تضمنته بعض النصوص ـ فما هو وجه الاسـتثناء بقولـه : ﴿إلاّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾؟

ج ـ هنـاك عدة وجوه لهذا الاسـتثناء، فقد يكـون الملحوظ فيه بعض المنحرفين من غير الكافرين بالله تعالى، أو لاسـتثناء خصوص المستضعفين من الكفار حيث لا دليل على خلودهم، أو للإشارة إلى أن الأمر لا يخرج عن مشيئة الله تعالى حتّى بعد إدخالهم النار واستحقاقهم الخلود فيها لكفرهم.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾(١٣٦)

س ٣٠٤ ـ من هؤلاء الشركاء؟

ج ـ يبدو أن المقصود من الشركاء الأصنام التي كانوا يعبدونها، وإنما اعتبروهـا شركاء، لأنهم فرضوا لها نصيباً في أموالهم، فصارت شركاء لهم.

﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُم﴾(١٣٧)

س ٣٠٥ ـ إذا كان الشركاء هم الأصنام فكيف تزيّن لهم ذلك وهي جمادات غير عاقلة؟

ج ـ لعلّ نسبة التزيين للأصنام باعتبار أنّهن وسيلة الإضلال الذي أوجب ابتعادهم عن الفطرة وشرع الله تعالى، كما نسب الإضلال إليها في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾** (١).

ويمكن أن يكون المقصود من الشركاء هم الذين يقومون بشؤون الأصنام، وهم بمنزلة رجال دينهم، أو أن المقصود الشياطين ـ من أي جنس كانوا ـ الذين أغروهم وحرفوهم عن الحق، فيشمل شخصياتهم القبلية الذين يشاركونهم في أموالهم ـ بأخذ الاتاوات المتعارفة من أفراد العشيرة ـ فيحثّونهم على قتل البنات، لأنهم لا يأملون منهنّ نفعاً مادّياً وقوّة للقبيلة.

﴿وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(١٣٨)

س ٣٠٦ ـ توحي الآية أنهم كانوا يذكرون اسم الله على بعض الأنعام الأخرى مع أنّهم ـ لكفرهم ـ لم يكونوا يذكرون اسم الله على الجميع؟

ج ـ كثير من العرب أو اكثرهم كانوا مشركين، فهم يؤمنون

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦.

بـالله ويشركـون معه غـيره. وبالنسـبة للآية الكريمـة يبدو أنها تشـير ـ كما ذكـره بعـض المفسّريـن ـ إلى ما كانـوا يعتقدونه من حرمـة الركوب للحج ـ ومـا يتخللـه من ذكر الله ـ على صنف من الأنعام. فيكون المقصود أنهم لا يسـتخدمونها للركوب في سفر الحج الذي يقترن بذكر الله، وليس المقصود عدم ذكر اسم الله على هذا الصنف عند الذبح.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَـذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١٤٣ـ ١٤٤).

س ٣٠٧ ـ إن ثمانيـة أزواج تعدادهـا سـتة عـشر فكيـف يقصد منها عـدد ثمانية حيـث عدّها من كل من الضأن والمعز والأبل والبقر اثنين؟

ج ـ كلاّ، فان ثمانية أزواج عددها ثمانية وليس سـتة عشر، لأن مفردة «الأزواج» هـي «الـزوج» والمقصود منه هنـا، واحد وهو أحـد الزوجين، وليـس المقصـود منـه عدد اثنـين. قال ابن سـيده: الـزوج: الفـرد الذي له قريـن ... قـال أبو بكـر: العامة تخطئ فتظـن أن الزوج اثنـان، وليس ذلك مـن مذاهـب العـرب، إذ كانوا لا يتكلمـون بالزوج موحَّـداً في مثل قولهم زوج حمـام، ولكنهم يثنّونه فيقولون: عندي زوجان من الحمام، يعنون ذكراً

وانثى.. قال ابن سيده: ويدل على أن الزوجين في كلام العرب اثنان قوله الله عزّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ [١] فكل واحد منهما ـ كما ترى ـ زوج، ذكراً كان أو انثى ... وقوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أراد ثمانية أفراد... ويقال للرجل والمرأة: الزوجان [٢].

﴿...إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِير﴾(١٤٥)

س ٣٠٨ـ لماذا خصّ الدم المحرّم بالمسفوح؟

ج ـ كأنه لاخراج الدم غير المسفوح مثل ما يكون في الكبد والعروق الدقيقة فإنه غير محرّم. وعلى أن الآية الكريمة تشير إلى ما كان متداولاً بين بعض الجاهليين من شرب الدم المسفوح، فنهت عنه وحرّمته.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاق﴾(١٥١)

س ٣٠٩ ـ إذا كان بصدد بيان ما حرّمه الله فكيف يستعرض ما كان مطلوباً لله تعالى مثل عدم الشرك والإحسان للوالدين وعدم قتل الأولاد؟

ج ـ كأن التحريم هنا مضمّن معنى التشريع والجعل لا خصوص التحريم، أو باعتبار أن هذه التشريعات والتعاليم وإن تضمّنت صيغة الطلب، لكن جوهرها التحريم، لأنها عبارة عن حرمة [٣] الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل الأولاد وممارسة الفاحشة وقتل النفس المحترمة.

(١) سورة النجم: ٤٥.

(٢) لسان العرب: ٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٣) أعم من الحرمة الإرشادية، كما في الشرك بالله تعالى، والحرمة التشريعية، كما في الباقيات.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾(١٦٠)

س ٣١٠ـ ما معنى مضاعفة أجر الحسنة مع أن كل زيادة هي ضمن الأجر لتلك الحسنة لا أضعافها؟

ج ـ تصوُّر التضعيف بالنسبة للإحسان إلى الناس واضح، فمن تصدّق على فقير بدينار يعطى ثواب من تصدّق على عشرة فقراء أو ثوب الصدقة بعشرة دنانير كرماً وتفضلاً من الله تعالى، وبالنسبة للعبادات ونحوها يعطى ثواب من ضاعفها عشر مرات، كما أشارت إليه بعض النصوص، ففي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صام ثلاثة أيام في الشهر، فقيل له: أنت صائم الشهر كلّه؟ فقال: نعم. فقد صدق، لأنه قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾»[1].

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١٦٢)

س ٣١١ـ ما معنى كون حياته ومماته لله تعالى؟

ج ـ باعتبار أن الله تعالى فاعلهما وأنّهما بيده، فهو المحيي والمميت.

﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(١٦٤)

س ٣١٢ ـ كيف ينسجم ذلك مع مضمون قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ

أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[١]؟

ج ـ تلك الآية تتحدث عن براءة كل إنسان عن تحمّل الأوزار التي لا ترتبط به، ولا ينافي ذلك تحمُّل رموز الضلالة لأوزار من خدعوهم وأضلّوهم ومشاركتهم إياهم في المسؤولية ـ كما تضمنته الآية ـ لأن هذه الأوزار تنسب إليهم وتكون من جملة أوزارهم، لكونهم السبب فيها حيث سنُّوها، كما جاء في الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «وأيّما عبد من عباد الله سنّ سنة ضلالة كان عليه وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٢]. وذلك باعتبار أن نفس سنّ البدعة والضلالة معصية مستقلة غير نفس فعل الضلالة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١٦٥)

س ٣١٣ ـ كيف يوصف الله تعالى بأنه سريع العقاب من أن حلمه طويل وعقابه مؤجل في العادة إلى يوم القيامة؟

ج ـ إن ما نراه بعيداً قريب عند الله تعالى، لأنه أزلي سرمدي، فكل فاصل زمني كلا شيء بالنسبة إلى سرمديته ودوامه، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[٣] أو باعتبار أن الزمن في الحقيقة يجري سريعاً حيث لا يلبث العمر بل الحياة أن تفنى وتنتهي، كما قال الشاعر:

دقّات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوانٍ

والذي أوجب غفلة الإنسان عن هذه الحقيقة انشغاله بشؤونه وبما يحيط به من أحداث. اللهمّ بصّرنا في أنفسنا ولا تجعلنا من الغافلين.

(١) سورة النحل: ٢٥.
(٢) بحار الأنوار: ٧١/ ٢٥٨.
(٣) سورة المعارج: ٦، ٧.

سورة الأعراف

﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)

س ٣١٤ ـ ما هو وجه الحرج المذكور في الآية؟

ج ـ باعتبار عظم المسؤولية الملقاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغه كتاب الله تعالى، وما يتوقّعه من معارضة المشركين وغيرهم ومواجهتم له.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾(٨ ـ ٩).

س ٣١٥ ـ إذا كان الوزن هو الحق، فكيف تتعدد الموازين فيكون بعضها ثقيلاً وبعضها خفيفاً؟

ج ـ الوزن هو المقياس، ففي يوم القيامة يكون المقياس هو العدل من دون شائبة ظلم وإجحاف، ولذلك قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾، وأما الموازين فالمقصود منها الموزونات من الأعمال الصالحة، وهي التي تكون ثقيلة أو خفيفة تبعاً لمواقف أصحابها وأعمالهم في الحياة الدنيا.

س ٣١٦ ـ ما معنى ظلمهم بآيات الله تعالى؟

ج ـ كأنّ الظلـم هنا مضمّن معنى الإنكار والجحود، فكأنه قال: (بما كانوا بآياتنا يجحدون) أي بسبب جحودهم بها.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾(١١)

س ٣١٧ ـ أليـس خلـق الله أبـا البشريـة آدم بعد تصويره فيكف يقول: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾؟

ج ـ بـما أن المـادة التي خُلق منها آدم هي الطـين، فكانت هذه مرحلة الخلـق ـ خلـق المادة ـ قبل التصوير، ومن بعد التصوير كان نفخ الروح فيه والأمر الفعلي للملائكة بالسجود.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾(١٢)

س ٣١٨ـ كيف قال ﴿مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْـجُدَ﴾ مع أن ابليس امتنع من السـجود لا من عدم السجود فكان يفترض القول «ما منعك أن تسجد»؟

ج ـ كأنّ المنـع هنـا مضمَّن معنى السـبب، أي ما الـذي أوجب عدم السـجود؟ ولعـلّ النكتة البلاغيـة في ذلك أن الذي تحقـق بالفعل هو عدم السـجود لا السـجود، فكان من المناسب السؤال عن المبرّر لعدم السجود، واسـتخدم لفظـة المنع باعتبار أن جـواب إبليس تضمّن ذكـر المانع لـه من السجود. وهذه اللفتات البلاغية تزيد من روعة البيان القرآني وبلاغته.

﴿فَدلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٢)

س ٣١٩ ـ ما هو الوجه في غُرور ابليس ؟

ج ـ المقصود من الغرور هنا الخديعة، كما تقول غرّني فلان أي خدعني.

س ٣٢٠ ـ ما هي العلاقة بين الأكل من الشجرة وظهور السوءة؟

ج ـ السوءة كباقي أعضاء الجسم، وإنما اعتبرت سوءة وعورة بحيث يستحيي الإنسان من كشفها، باعتبارها محلاً لخروج الفضلات وكذلك كونها الأعضاء التناسلية، والذي يبدو من الروايات وغيرها أن هذه الشجرة تختلف بطبيعتها عن شجر الجنّة، فلعلّ آدم وحواء بعد الأكل من تلك الثمرة أحسّا بتفعيل تلك الأعضاء، من خلال خروج فضلات ثمرة تلك الشجرة، فأصابهما الحياء من كشفها، فسعيا إلى التغطية من ورق الجنّة، وعلى هذا الوجه يكون ظهور السوءة بمعنى الإحساس بأنّ هذه الأعضاء عورة ينبغي سترها بعد أن لم تكن كذلك قبل الأكل من الشجرة، فكانت طبيعة النظام التكويني في الجنة ـ قبل أكل الثمرة ـ حاجباً ومانعاً من تفعيل هذه الأعضاء، فأزاله أبليس باغوائه، فكأنه رفع ذلك الحاجب وأبرز العورة. وذلك يؤكد أن الجنة ليست من جنان الأرض، وإنما لها عالَم ونظام تكويني يختلف عما في الأرض.

وربّما اقترن بأكلّ ثمرة تلك الشجرة تغيرات فسلجية لدى آدم وحواء أوجبت ظهور العورة ـ كما أشارت الى ذلك بعض الروايات ـ وبذلك انعدمت

تلك الميزة التي أشار اليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾[1].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٣٤).

س ٣٢١ـ إذا حلّ الأجل فلا يعقل تقدّمه حتى يصح نفيه بقوله: ﴿وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؟

ج ـ يبدو أن المقصود حلول الأجل بالمعنى العرفي لا حلوله بالدقة العقلية، كما تقول «حلّ وقت مجيء الحجيج» إذا كان قريباً. وكأن المنظور في الآية الكريمة حثّ الأمم على تحمّل مسؤولياتها، قبل فوات الفرصة، لأن لكلّ أُمة أمداً محدّداً، فاذا قرب ذلك الأمد تفوت الفرصة على الأمة. لأن ذلك الأجل محدّد لا يقبل التقديم والتأخير.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (٣٧)

س ٣٢٢ ـ ما هو نصيبهم من الكتاب؟

ج ـ هو العذاب الذي تضمّنه الكتاب، كما في قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

---

(١) سورة طه: ١١٨.

﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾(٣٨)

س ٣٢٣ـ كيف ينسجم مضاعفة العذاب للأتباع مع قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[1] وهم لم يسنّوا سنّة الضلالة كالمتبوعين؟

ج ـ لعلّ المقصود من الضعف شدة العذاب ومضاعفته عما كان يخطر في بالهم، فان ما يواجههم من العذاب فوق ما يتصورونه، لأن سادتهم كانوا يهوّنون عليهم العذاب الموعود ويَستخفّون به، كما كان بعض المشركين يستخف بعدد زبانية جهنم الذي أشارت اليه الآية الكريمة: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[2].

ومن خلال ما ذكرناه يظهر أنه ليس المقصود من الآية مضاعفة العذاب الذي يستحقّونه.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلّاً بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾(٤٦).

س ٣٢٤ ـ من هم أصحاب الأعراف؟

ج ـ اختلف المفسرون في ذلك على أقوال:

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٢) سورة المدثر: ٣٠.

(منهـا) انّهم من اسـتوت حسـناتهم وسـيئاتهم، يكونـون في المنطقة الفاصلة بين الجنّة والنار.

(ومنهـا) انّهم ذووا مقامات شـامخة كالأنبياء والأئمة، وقيل الملائكة يكونـون على الأعـراف، وهو مرتفَع يشرف على الجنّة والنار، ويشـهد لهذا الرأي مجموعة من النصوص[١]، وكذلك اهتمام القرآن بهم، وطبيعة الخطاب المحكي عنهم ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٢].

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٥٠).

س ٣٢٥ ـ لماذا خصّ الماء بالذكر مع أن أهل النار فاقدون لكل شيء؟

ج ـ لأن أهم ما يطلبه الداخل في النار والمحترق فيها هو الماء.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾ (٥٣).

س ٣٢٦ ـ ما معنى انتظار تأويله؟

ج ـ التأويل هنا بمعنى مآل الوعد الإلهي وتطبيقه على الأرض الواقع.

---

(١) يراجع تفسير العياشي: ٢ / ٢١ ـ ٢٢ وغيره.

(٢) سورة الأعراف: ٤٨، ٤٩.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٥٤).

س ٣٢٧ ـ كيف نفترض وجود اليوم قبل خلق السموات والأرض مع أنه متفرّع على وجود الأرض والشمس؟

ج ـ ذكر اللغويون أن من معاني اليوم الوقت، قال ابن منظور : « وقد يراد باليوم الوقتُ مطلقاً»[1].

وعلى هذا فيكون المعنى أنّ الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أوقات أي ست مراحل. وربما يكون المقصود من الأيام الستة مقدارها. والله العالِم.

س ٣٢٨ ـ ما معنى الاستواء على العرش؟

ج ـ ذكر العلماء أن العرش هو عالم التكوين، لأنه هو مساحة مُلك الله تعالى الفعلي، فهو تعالى أحاط واستولى على عالم التكوين، كما ان استواء المَلِك على العرش كناية عن سيطرته على مُلك بلده.

س ٣٢٩ ـ ما هو الفرق بين الخلق والأمر؟

ج ـ الخلق إيجاد الشيء من العدم، والأمر إدارة شؤونه، وكل ذلك بيد الله تعالى فهو الخالق والمدبّر.

---

(١) لسان العرب : ١٢ / ٦٥٠.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

س ٣٣٠ـ لماذا لم يتبع خبر ﴿إِنَّ﴾ اسمها في التأنيث، فيقول: (إِنَّ رحمت الله قَرِيبة) وليس: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ ...﴾؟

ج ـ هذا جائز لعدة وجوه..

الأول: ان الوصف الذي يكون على وزن «فعيل» اذا وقع وصفاً او خبراً للمؤنث يجوز الحاق التاء به ويجوز عدم الحاقها[1].

الثاني: ان المضاف قد يكتسب حكم المضاف إليه اذا صح الاستغناء عنه، فالرحمة تكتسب حكم التذكير من المضاف إليه «لفظ الجلالة» فيكون خبرها مذكّراً[2].

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾(٧١)

س ٣٣١ـ ما هو الرجس الواقع عليهم من الله؟

ج ـ الرجس هنا بمعنى العذاب، فبعد أن أصرّوا على الكفر صار عذابهم محتوماً فكأنه قد وقع عليهم.

---

(١) يراجع شرح ابن عقيل على الألفية ٢/ ٤٣١.

(٢) يراجع شرح ابن عقيل على الألفية ٢/ ٥٠.

﴿قَالَ الملأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾(١٠٩ـ ١١٠).

س٣٣٢ ـ ان موسى عليه السلام دعاهم إلى عبادة الله، فكيف اتهموه بأنه يريد أن يخرجهم من أرضهم؟

ج ـ يبدو أن الهدف من هذا الاتهام إثارة حفيظة العامة وتأليبهم على موسى عليه السلام، لتصوير الخلاف بينه وبين فرعون مصلحياً للسيطرة على الحكم والملك لا عقائدياً، وبما أن فرعون من الأقباط وموسى من بني إسرائيل ـ الجماعة المسحوقة والمستضعفة ـ فمن الطبيعي أن يلتفّ الأقباط حول فرعون وعبادته ويعارضوا دعوة موسى، لاصطدامها بمصلحتهم ومصيرهم. ومن ناحية أُخرى يوفر هذا الاتهام ذريعة لفرعون للبطش بمن يؤمن بدعوة موسى عليه السلام، باعتباره خائناً لوطنه ومواطنيه وقد أكدّ ذلك خطاب فرعون للسحرة ـ بعد أن آمنوا بالله تعالى ـ : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، كما يفعل كل الطغاة حينما يوحون أنّ معارضتهم خيانة عظمى للأُمة والوطن.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(١٣٨).

س٣٣٣ ـ لماذا طلبوا أن يجعل لهم إلهاً

---

(١) سورة الأعراف:١٢٣.

مع أنّهم كانوا مؤمنين بالله، وإذا كانوا معجبين بفكرة تعدّد الآلهة فكان المفروض أن يطلبوا أن يجعل لهم آلهة لا إلهاً واحداً؟

ج - إن هؤلاء لم يستوعبوا تجرّد الإله عن المادة، فكانوا يطلبون إلهاً مادياً يشاهدونه، وقد بقيت هذه الأُمنية في أنفسهم حتى أن أكابرهم وعلماءهم أبرزوها في مناجاتهم لله تعالى في الميقات فقالوا ﴿**أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً**﴾[1].

والحقيقة أن هذه المشكلة لا تقتصر على بني اسرائيل، بل الأُمم الاخرى أيضاً تعيش وهم الإله المادي الملموس، حتّى ان اتباع الأديان التوحيدية لم يلبثوا طويلاً بعد رحيل أنبيائهم حتى انحرفوا، فتشوّهت فكرة الإله عندهم.

ومن هنا نعرف عظمة الإسلام وأهمية جهود رموز الإسلام وبحوثهم، خاصة الدور المتميز لآل البيت عليهم السلام، ومن بعدهم تلامذتهم وروّاد مدرستهم الذين تمكنوا من تثبيت فكرة التوحيد ناصعة لدى الأُمة.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١٤٣).

س ٣٣٤ - كيف يطلب موسى عليه السلام رؤية الله تعالى مع أنه سبحانه منزّه عن الجسم والرؤية؟ ولماذا لم يعاقبه الله تعالى كما عاقب النخبة من بني اسرائيل

بالصاعقة عندما قالوا: ﴿أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾[١]؟

ج ـ أولاً: هناك فرق بين عدم التجسيم واستحالة مطلق الرؤية، كما نلاحظ أن النائم يرى في منامه مشاهِد غير مادية، ـ يطلق عليها الفلاسفة عالم المثال المتصل ـ ولا دليل على أن موسى عليه السلام طلب خصوص الرؤية المألوفة للأجسام، بل لعلّ هدفه مجرَّد زيادة الوضوح والتجلّي، وهي تتحقق بأي نحوٍ من أنحاء الرؤية، ولو من خلال عوالم أخرى غير مادية. والله العالم.

ثانياً: الفرق بين موسى عليه السلام وأولئك النخبة من بني اسرائيل ان موسى عليه السلام لم يربط إيمانه برؤية الله تعالى، بينما أولئك تعنتوا في طلبهم وعلقوا ايمانهم برؤيته تعالى فقالوا: ﴿... لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ...﴾[٢]. ولعلّه لذلك عاقبهم الله ولم يعاقب موسى عليه السلام.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾(١٤٥).

س٣٣٥ ـ ما هو الأحسن الذي أُمر بنو اسرائيل بالأخذ به؟

ج ـ ليس المقصود انتقاء بعض تعاليم التوراة دون غيرها، بل حيث كانت التوراة تتضمن الموعظة من خلال الإشارة إلى ممارسات وقصص الأُمم السالفة الإيجابية منها والسلبية، فيفترض ببني اسرائيل الاعتبار بذلك من خلال الاقتداء بالمؤمنين وتجنّب ممارسات الفاسقين، وهذا

---

(١) سورة النساء: ١٥٣.

(٢) سورة البقرة: ٥٥.

هـو معنى الأحسـن الـذي أُمروا بأخـذه في مقابل النموذج الـسيء ـ الذي تعرضت له التوراة ـ الذي يفترض فيهم تجنّبه.

س ٣٣٦ ـ ما هي دار الفاسقين؟

ج ـ لعلّـه إشـارة إلى تمكينهم من دخول الأرض المقدسـة حيث كان يحكمهـا العمالقـة الكافـرون بـالله آنذاك، فنُسـبَت الى سـكانها الفاسـقين، والنسبة تصح لأدنى علاقة.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١٥٠ ـ ١٥١).

س ٣٣٧ ـ أليـس غضب موسـى عـلى أخيه ينافي عصمته؟

ج ـ كلاّ، فـانّ من الطبيعي أن يسـائل القائدُ نائبـه عندما يجد انحرافاً لـدى قومه في غيبته، ومن الطبيعي أن ينعكس غضبه من سـلوك قومه على حالته النفسـية عند مساءلة أخيه الذي حمّله مسؤولية رعايتهم في غيابه، ولم يصدر من موسى عليه السلام اعتداء أو تفسيق لأخيه حتى ينافي عصمته.

س ٣٣٨ ـ ألا يعنـي دعـاؤه بالمغفـرة لـه ولأخيه صدور المعصية منهما؟

ج ـ كلاّ، لأن المغفرة هي الستر ،وهي كما تتعلق بالمعصية تتعلق بغيرها من مواطن الضعف الإنساني التي يرغب الإنسان بسترها وتجاوزها، ومن الواضح هنا أن موسى وهارون لم يصدر منهما ذنب في قضية عبادة العجل حتى يطلبا غفرانه، إذ موسى عليه السلام لم يكن حاضراً بينهم، وهارون استنفذ طاقته في ردعهم، لكنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ...﴾(١٦٠).

س ٣٣٩ ـ لماذا لم يذكّر العدد ويأت بمعدود مفرد فيقول: «اثني عشر سبطاً»، وليس ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ كما هي القاعدة المعروفة في اللغة العربية؟

ج ـ المعدود ـ الذي يسميه النحاة التمييز ـ ليس هو «أسباطاً» كما قد يتوهّم، بل المعدود محذوف وهو «فرقة»، وبما انّ المعدود مؤنث، ألحق التاء مكرّرةً بالعدد «اثنتي عشرة»، لأن العدد ـ فوق العشرة ـ يؤنث اذا كان معدوداً مؤنثاً.

وأمّا «أسباطاً» فهي جمع «سِبط» بمعنى «قبيلة» خاص في أحفاد اسحاق، قال ابن منظور: «قالوا: والصحيح أن الأسباط في ولد اسحاق بن ابراهيم بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل عليهم السلام، فولد كلّ ولد من وُلد اسماعيل قبيلة، وولد كل ولد من ولد اسحاق سِبط. وإنّما سمّي هؤلاء بالأسباط وهؤلاء بالقبائل ليفصل بين وُلد اسماعيل ووُلد اسحاق..»[1].

وعلى هذا الأساس تعرب «أسباط» بدلاً من «اثنتي عشرة» وليست تمييزاً حتى تكون بصيغة المفرد، والمعنى «وقطّعناهم أسباطاً» للإشارة الى

---

(١) لسان العرب ٧/ ٣١٠.

انّ هذا التقطيع الى اثنتي عشرة فرقة على اساس انتساب أفراد كل فرقة إلى سبط خاص من أسباط اسحاق عليه السلام، وليس عشوائياً.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾(١٧٢ـ ١٧٣).

س٣٤٠ ـ كيف أخذ الله هؤلاء الذرية وكيف أشهدهم على أنفسهم؟

ج ـ هناك عدة آراء للعلماء والمفسّرين، أهمها قولان:

القول الأول: ان الآية الكريمة أشارت إلى ما تضمّنته النصوص المروية في العديد من المصادر الحديثية[1] من الله تعالى أخرج ذرية آدم ـ في عالم الذر أو ما قبل النشاة الدنيوية ـ.

القول الثاني: ان مضمون الآية اشارة إلى خلق البشرية من الأصلاب وتكاملهم واقامة الحجة عليهم من خلال تزويدهم بالعقل القادر على ادراك الحقيقة ومعرفة ربهم.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(١٨١).

س٣٤١ ـ مَن هذه الأمة الذين يحملون لواء الحق ويحكمون به؟

---

(١) يراجع الكافي: ٢/ ١٢ ـ ١٣ باب فطرة الخلق على التوحيد، وسنن الترمذي: ٥ / ٢٦٦ - ٢٦٧.

ج ـ ليس المقصود من الأُمة عشيرة أو شعباً معيّناً، بل الجماعة الذين تجمعهم العقيدة أو الموقف، وهم ـ في الآية ـ الدعاة إلى الله تعالى وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل وأوصياؤهم، كما قال تعالى ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ إشارة إلى الجماعة المؤمنة الرسالية من بني إسرائيل، فهم أمة في مقابل غيرهم.

س٣٤٢ ـ كيف أشهد الله ذرية آدم على أنفسهم؟

ج ـ فسّر ذلك بعض المفسّرين بعالم الذّر، وانه تعالى قد أقام الحجة على البشرية ـ ذرية آدم ـ قبل خلقهم الجسماني وأشهدهم على ذلك، واستدلّ هؤلاء بمجموعة من النصوص التي تتحدث عن ذلك العالم وتلك الشهادة فيه.

بينما حمل آخرون الآية على الإشارة إلى طبيعة خلق الإنسان ومنحه العقل الذي يؤهله لتمييز الحق من الباطل ومعرفة ربه، وأنه يكون الحجة عليه رغم الظروف التي يعيشها بعض الناس في المجتمعات والأُسر الكافرة، فانها لا تحجب عقولهم عن إدراك الحقيقة وقيام الحجة عليهم.

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾(١٨٧).

س٣٤٣ ـ ما معنى ثقل الساعة في السموات والأرض؟

ج ـ باعتبار ما يقترن بها من أحداث وأهوال تنعكس على السموات والأرض، كما تقول: «هذا اليوم عصيب»، باعتبار ما اقترن به من حوادث.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِين *فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١٨٩ ـ ١٩٠)

س٣٤٤ ـ من هذان الزوجان اللذان جعلا لله شريكاً بعد أن أنعم عليهما بالولد؟

ج ـ قد لا تكون الآية مشيرة إلى شخصين معيَّنين، وإنما هي إشارة إلى موقف كثير من الناس الذين يلحّون على الله تعالى في حاجاتهم ـ مثل دعوة الوالدين بالولد الصالح ـ متعهّدين آنذاك بشكره تعالى، ثمّ بعد أن يستجاب دعاؤهم ينكصون وينسون ربّهم أو يجحدونه، كما تحدثت آيات أُخرى عن الذين يدعون ربّهم عند الشدّة ويشركون به بعد رفعها مثل قوله تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(١٩٤)

س٣٤٥ ـ كيف جعل الذين يدعونهم عباداً مع أنها أصنام جامدة؟

ج ـ كأن المقصود من الـ﴿عِبَاد﴾ معناها الاشتقاقي، لأن التعبُّد في اللغة

(١) سورة العنكبوت: ٦٥.

التذلُّل، يقال طريق معبَّد أي مسلوك مذلَّل، فيكون في الآية إشارة إلى أنّ هذه الأصنام مخلوقة وذليلة لا تملك أمراً ولا نفعاً ولا ضرّاً، فلا تستحق العبادة.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(١٩٩)

س٣٤٦ ـ ما معنى العفو والعرف ؟

ج ـ قيل: العفو هو المتيسّر والفاضل من نفقتهم، أي لا تثقل عليهم بالضريبة، وقيل : انه يشمل قبول عذرهم من دون محاسبة وتدقيق، والعرف هو المعروف.

سورة الأنفال

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١)

س٣٤٧ـ ما هي الأنفال؟

ج ـ ذكر الفقهاء الشيعة ـ تبعاً للنصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ـ أن الأنفال كلّ ما يصطفيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام عليه السلام من الغنيمة، وكلّ أرض مُلكت بغير قتال، وكل أرض موات، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، والغابات، وصفايا الملوك وقطائعهم ـ غير المغصوبة ـ وميراث من لا وارث له، وما غنمه المقاتلون بغير إذنه[1]. بينما اختلف غيرهم من الفقهاء على عدة أقوال[2]. والأنفال في الأصل جمع نفل، وهي الزيادة.

س٣٤٨ـ ما علاقة الأمر بإصلاح ذات البين بكون الأنفال لله والرسول؟

ج ـ يبدو أنّ منحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو وعده بزيادة حصة بعض المقاتلين في معركة بدر أثار حفيظة فئةً أخرى حتى اختلف المسلمون فيما بينهم، فنزلت الآية لتؤكد أنّ ذلك للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يصنع فيه ما يرتئيه

---

(١) يراجع وسائل الشيعة: ٦/ ٣٦٤ وما بعدها، أبواب الأنفال وما يختص بالإمام.

(٢) يراجع بداية المجتهد: ١/ ٤١٢ وما بعدها.

وتحثّهم على إصلاح ذات بينهم. وفي الحديث عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال. فقال: فينا ـ معشر أصحاب بدر ـ نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقسّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المسلمين عن بواء، يقول: على السواء(١).

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾(٥)

س ٣٤٩ ـ متى أخرجه الله من بيته؟

ج ـ إشارة إلى خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة إلى بدر بوحي من الله تعالى وتقديره، رغم تلكؤ بعض المسلمين عندما علموا بأنهم سوف يواجهون المشركين في معركة بدر.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾(١١)

س ٣٥٠ ـ ما هو الارتباط بين النعاس وشعور المقاتل بالأمن؟

ج ـ حيث لم يكن كلّ المسلمين متهيئين للقتال في ذهابهم إلى بدر، لأنّ الكثير منهم تخيّل أن الهدف هو السيطرة على القافلة التجارية لقريش، وعندما واجهوا ـ بعد ذلك ـ جيش المشركين الذي يفوقهم عُدّة وعدداً دبّ

(١) مسند أحمد: ٥/ ٣٧٩: حديث: ٢٢٨١٤.

فيهم الخوف والوجل فمنعهم من النوم والاستقرار، فغشّاهم الله تعالى بالنعاس رحمةً بهم لتستقرّ نفوسهم ويزول وجلهم ويتهيئوا لقتال عدوّهم.

س٣٥١ ـ لماذا جعل سبب إنزال المطر عليهم تطهيرهم؟

ج ـ لأنّهم كانوا بحاجة إلى التنظيف والاغتسال، لرفع جنابتهم وإزالة الأوساخ والغبار العالق بهم.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١٧).

س٣٥٢ ـ ألا يتضمّن نفي الرمي واثباته مناقضة؟ ولا أقل من تثبيت فكرة الجبر حتى كأنّ المسلمين لم يصدر منهم فعل؟

ج ـ كلاّ، لا شك في صدور الفعل وبذل الجهد منهم، لكن حيث كان الله سبحانه هو الذي هيّأ ظروف النصر وعوامله، وهو صاحب القضاء والتقدير فينسب الفعل والنتيجة إليه. وإن صحت نسبة الفعل كالرمي للمقاتل أيضاً. كما أوضحناه سابقاً.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾(١٩).

س٣٥٣ ـ كيف ينسب الفتح للمشركين مع أنهم لم يكسبوا سوى الهزيمة والخذلان؟

ج ـ يبدو أن الآية الكريمة في مقام التبكيت والردّ على المشركين

حيث كانوا يطلبون الفتح، فردّهم بأن ما طلبتموه من الفتح قد ظهرت حقيقته لكم، وفي حديث أبي حمزة الثمالي: قال أبو جهل: اللهم ربّنا ديننا القديم ودين محمد الحديث، فأي الدينين كان أحبّ إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم[١].

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾(٢٣).

س٣٥٤ ـ إذا كان الإسماع يوجب إعراضهم فكيف يُسمعهم؟

ج ـ الجملة الثانية تتحدث عن حالتهم الفعلية وهي عدم الفائدة والخير فيهم، وإسماعُهم الأول ـ المنتفي ـ افتراضي فيما لو علم الله تعالى فيهم خيراً، وهو غير متحقق بالفعل، فلا مناقضة بينهما.

﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢٥).

س٣٥٥ ـ الأمم والأشخاص إنما يتقون الفتنة الإلهية بإيمانهم، أما إذا كان إيمان هؤلاء لا يقيهم منها فكيف يتقونها؟

ج ـ اتقاء الفتنة لا ينحصر بالإيمان، لأن المؤمن معرَّض للفتنة والتمحيص أيضاً، فيتّقيها بالإخلاص لله تعالى والبصيرة في دينه والصبر وتحمُّل ما يصيبه من البلاء ونحو ذلك، وقد يساهم الأمر بالمعروف

---

(١) يراجع تفسير القرآن لأبي حمزة الثمالي: ١٨٤.

والنهي عن المنكر في تجنّب المجتمع الفتنة، لأنه يمنع من انتشار المنكر أو يقضي عليه، فيكون اتقاء الفتنة بتعميم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٢٩).

س٣٥٦ ـ ما هو الفرقان الذي يجعله الله للمتقين؟

ج ـ هو البصيرة التي تمكنّهم من تمييز الحق من الباطل، وتعصمهم من الفتن والانحراف.

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ...﴾ (٣٣-٣٤).

س٣٥٧ ـ أليس قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ...﴾مناقضاً لمدلول الآية التي قبلها؟

ج ـ كلاً، لأنّ هذه الآية تذكر وجه استحقاقهم للعذاب الدنيوي، وتلك الآية ذكرت المانع من تعذيبهم، فما دام أحد المانعين متحقّقاً فلا عذاب، ومع انتفائهما فيعذّبون بسبب أعمالهم.

س٣٥٨ ـ كيف ينسب لأهل مكة الصدّ عن المسجد الحرام، ولم يعرف عنهم ذلك؟

ج ـ باعتبار أنهم كانوا يصدّون المسلمين عنه، وعن عبادتهم لله وإقامة طقوسهم وشعائرهم فيه.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(٥٧).

س٣٥٩ ـ كيف يكون تشريد من خلفهم؟

ج ـ من خلال التنكيل بأولئك الناقضين للعهد يخشى غيرهم من نقض العهد، فينتابهم التفرق والارتباك والاضطراب، وهو التشريد.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾(٥٨).

س٣٦٠ ـ مجرّد الخوف من الخيانة لا يسوّغ نقض العهد؟

ج ـ الآية الكريمة لم تسوّغ الخيانة بمجرّد ذلك، بل حيث كان العهد اتفاقاً بين الطرفين فدوامه رهين بكليهما، وعندما تلوح شواهد الخيانة من طرف فمن حق الطرف الآخر إعلام خصمه بايقاف العمل بالاتفاق والعهد، وهو معنى: ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء﴾ أي ألقِ اليهم العهد وأبلغهم بتجميده، فيعرف الطرفان ذلك،كي لا يعتبر خيانة للطرف الآخر. فنلاحظ من خلال الأمر بالنبذ ابلاغ الخصوم بتجميد العهد رفضها للخيانة.

﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ..﴾(٦٦).

س٣٦١ ـ كيف ينسب العلم لله الآن وهو يستلزم جهله سبحانه من قبل؟

ج ـ هناك وجهان للجواب:

الوجـه الأول: ان لفظـة ﴿الآنَ﴾ مـن ضمـن الجملـة الأولى ظرف متعلق بــ ﴿خَفَّفَ﴾ فهو زمان التخفيف وهو التشريع الذي تضمنته الآية بجهاد المسـلمين لمن يضاعفهم عدداً لا أكثر، وليـس ﴿الآنَ﴾ زماناً للعلم الإلهي الذي هو سابق على التشريع المذكور.

الوجه الثاني: ان هناك علمين بالحوادث:

الأول: هـو العلـم بـأنّ الحـادث سـوف يحـدث، وكذلـك أوصافه وخصوصياتـه كوقـت ومكان حدوثـه، ومثل هذا العلم يمكن سـبقه على حدوث الحادث، وهو ثابت لله قبل حدوث الحوادث.

الثاني: هو العلم بالحدوث الفعلي للحادث، وهذا العلم يقترن زماناً بالحـدوث ويتأخر ـ رتبةً ـ، ولا يعقـل تقدمّه على حدوث الحادث، لأنه ما دام لا يوجد حدوث فعلي للحادث لا معنى للعلم بحدوثه الفعلي. فالعلم المذكور في الآية هو العلم الإلهي الثاني بضعفهم، والذي استتبعه التخفيف عنهم، ولا ينافي ذلك ثبوت العلم الإلهي الأول بضعفهم من قبل.

ومما لابدّ أن نشـير إليه أن علم البـاري تعالى ليس حصولياً، وإنما هو حضور الأشياء لديه. وتفصيل الكلام حول ذلك في البحوث الفلسفية.

﴿... وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٧٢).

س٣٦٢ ـ إذا كانت النصرة في الدين فتجب حتى

إذا كان الخصوم كفاراً معاهَدين فلماذا استثناهم؟

ج ـ كلاّ، فانّ ذلك يتبع طبيعة العهد والميثاق بين المسلمين والطرف الآخر، فقد لا يدخل ذلك ضمن بنود العهد، كما حدث نظيره في صلح الحديبية ـ تبعاً لمصالح انكشف سرّها فيما بعد ـ حيث التزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بارجاع من يُسلم من قريش ولم يتعهد القريشيون بارجاع من يرتدّ من المسلمين عن دينه.

﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾(٧٣).

س٣٦٣ـ ما هو وجه الارتباط بين ولاية الكافرين لبعضهم وفعل المؤمنين المانع من الفتنة والفساد؟

ج ـ النصف الثاني من الآية يرتبط بالآية السابقة[١] على هذه الآية لا بولاية الكافرين المذكورة في هذه الآية، والمعنى أن المؤمنين إذا لم ينصروا إخوانهم في الدين ـ وهو ما تضمنت الآية السابقة الأمرَ به ـ تكن فتنة وفساد كبير.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال:٧٢).

سورة التوبة

س ٣٦٤ ـ لماذا لم تبدأ السورة بالبسملة كما في بقية السور؟

ج ـ روي عن الإمام علي عليه السلام أنه لم ينزل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ على رأس سورة براءة، لأنّ بسم الله للأمان والرحمة، ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف[1].

﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١).

س ٣٦٥ ـ ما هو المبّرر لنقض العهد، خاصة مع تأكيد الإسلام على حفظ المعايير الأخلاقية؟

ج ـ العهد اتفاق بين الطرفين، يرتبط اعتباره بكلا الطرفين. وإنهاء العهد من جانب المسلمين ـ بمقتضى هذه الآيات ـ شمل طائفتين فقط:

الطائفة الأولى: الذين لم يلتزموا ببنود العهد.

والطائفة الثانية: الذين كان أمانهم وعهدهم غير محدّد بفترة محدّدة، وإنما كان تابعاً لرغبة الطرفين حيث امتنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تجديد ذلك الأمان وأُعطيت لهم فسحة مدّة أربعة أشهر يتنقلون فيها ويعودون إلى

(١) يراجع مجمع البيان: ٥/ ٤.

مأمنهم، كي لا يكون رفع عهدهم غدراً بهم.

ولعلّ الحكمة من إنهاء العهد مع هذه الطائفة أن دأب القبائل والمجتمعات آنذاك على اغتنام الفرص للكيد والغدر بالآخرين، فمن الطبيعي أن يكون موقف المشركين تجاه الإسلام والمسلمين كذلك، خاصة انّ المسلمين قد تنكّروا لآلهتهم ودينهم، نظراً لهذه المشاعر والمواقف العدائية المتربصة أصبح وجود المشركين وترددهم على بلاد المسلمين يشكّل ثغرة أمنيّة ومحذوراً لا يمكن التغاضي عنه، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى ـ فيما بعد ـ ﴿**كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[1] وأكدّه سلوك القبائل العربية وغدرهم المتكرر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

أمّا الطائفة الثالثة، وهم الذين التزموا ببنود عهدهم وكان عهدهم ممتدّاً لفترة محدّدة فلم ينقض عهدهم، كما أوضح ذلك قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾[2].

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...﴾(٣).

س ٣٦٦ ـ ما هو الهدف من تكرار البراءة؟

ج ـ هذا ليس مجرد براءة، وإنما هو أذان وإعلام عام لتلك البراءة في موسم الحج حيث يجتمع الحجيج من كلّ البقاع، ليصل ذلك إلى الجميع

---

(١) سورة التوبة: ٨.

(٢) سورة التوبة: ٤.

ولا يبقى لأحدٍ عذر، وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علياً عليه السلام بإبلاغ ذلك بدلاً من أبي بكر الذي كان قد كلّفه من قبل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، فبعث عليا»(١).

وفي الحديث عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «خطب علي عليه السلام الناس، واخترط سيفه فقال: لا يطوفنّ بالبيت عريان ولا يحجّنّ البيت مشرك، ومن كانت له مُدّة فهو إلى مُدّته، ومن لم يكن له مُدّة فمدّته أربعة أشهر...»(٢). والمقصود من المُدّة هي مُدّة الأمان التي أُعطيت سابقاً لبعض المشركين.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...﴾(٥).

س ٣٦٧ـ ما هي الأشهر الحرم المذكورة هنا؟

ج ـ الظاهر أن المقصود الأشهر الأربعة التي تلت البراءةَ المذكورة أو اعلانَها، وهي الفترة التي حرّم خلالها قتال مشركي مكة آنذاك. وليس المقصود الأشهر الحرم المعروفة في السنة وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرّم، لأنها غير متعاقبة، والنداء كان في شهر ذي الحجة.

﴿اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٩).

س ٣٦٨ـ هؤلاء كانوا يصرّحون بكفرهم

---

(١) الطرائف: ابن طاووس: ص: ٣٨ ح ٢٨، يراجع مسند أحمد: ١/ ٣.

(٢) يراجع مجمع البيان: ٥/ ٦ و٧.

بالإسـلام فكيف يقول عنهم ﴿اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾؟

ج ـ باعتبـار أنّ عقولـهم تذعن بالحقيقـة، إلاّ انّ مصالحهم تصطدم بانتمائهـم إلى الإسـلام فجحدوا بها، وتظاهروا بالكفـر أمام أتباعهم رعاية لتلك المصالح الدنيوية الزائلة.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ...﴾(٣١).

س ٣٦٩ـ كيـف ولم يعـرف عـن اليهـود والنصارى ذلك؟

ج ـ روى الثعلبـي باسـناده عـن عدي بـن حاتم قال: اتيت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي عنقـي صليـب مـن ذهب. فقـال لي: يا عـدي اطرح هذا الوثـن مـن عنقك. قـال: فطرحتـه، ثـم انتهيت إليـه وهو يقرأ من سـورة البراءة هذه الآية: ﴿اتَّخَـذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا...﴾ حتى فرغ منها. فقلـت له: إنّا لسـنا نعبدهم. فقـال: أليس يُحرّمون ما أحـلّ الله فتحرّمونه، ويُحلّون ما حرّم الله فتسـتحلّونه؟ قال: فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم[١]. ونظـيره مـا رواه أبـو بصير المرادي عـن أبي عبد الله الصـادق عليه السلام قال: قلت لـه: ﴿اتَّخَـذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُـمْ أَرْبَابًا مِّـن دُونِ اللهِ...﴾ فقال: أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسـهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهـم حرامـاً وحرّموا عليهم حـلالاً، فعبدوهـم من حيث لا يشـعرون[٢].

---

(١) مجمع البيان: ٥/ ٣٧.

(٢) وسائل الشيعة: ١٨/ ٨٩.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللهُ...﴾(٣٧).

س ٣٧٠ـ كيف صار النسيء زيادةً في الكفر؟

ج ـ باعتبار أنه تلاعب بالأشهر الحُرم التي حرّمها الله تعالى،فكانوا ينقلون ـ بزعمهم ـ حرمة أحد الأشهر الحُرم إلى شهر آخر، مخالفين بذلك حكم الله عزّ وجل بتخصيص الحُرمة بأشهر محدّدة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي...﴾(٤٩).

س ٣٧١ ـ ما هي الفتنة التي طلب هذا القائل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يوقعه فيها؟

ج ـ روي ان الجدّ بن قيس اعتذر من المشاركة في غزوة تبوك وطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأذن له بعدم المشاركة، بحجة أنه يفتتن بالنساء الروميات ـ في تبوك ـ وأنه لا يأمن من وقوعه في فتنتهن، قائلاً: إني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ـ أي الروميات ـ أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: قد أذنت لك، فنزلت هذه الآية فيه[1].

---

(١) يراجع تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٣٦٧.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٦٠).

س ٣٧٢ ـ لماذا كانت التعدية إلى الأصناف الأربعة الأولى باللام والى الأربعة الأخيرة بـ(في)؟

ج ـ لعلّه باعتبار أن الأصناف الأربعة الأولى يستحقّون الصدقة بأشخاصهم، بينما الأصناف الأربعة الأخيرة يُعطَون لتصرف في هذه العناوين، فهي لا تعطى لهم ليصرفوها فيما يشاؤون، وإنما تصرف في عتق الرقبة، ووفاء دين الغريم، وفي الجهاد وباقي مصالح المسلمين، ولإيصال ابن السبيل إلى بلده وحلّ مشكلته. ولذلك كانت التعدية بـ «في».

﴿... قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ...﴾(٦١).

س ٣٧٣ ـ لماذا عدّى الفعل الأول ﴿يُؤْمِنُ﴾ بالباء وعدّى الثاني باللام؟

ج ـ لأن الأول بمعنى الإيمان، والثاني مضمَّن معنى التصديق والاستماع لهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[1].

﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ (٦٢).

س ٣٧٤ ـ لماذا لم يثنّ الضمير العائد على الاثنين

---

(١) سورة يوسف:١٧.

فيقول: والله ورسوله أحق أن يرضوهما، وليس «يرضوه»؟

ج ـ ليس ضمير المفرد هنا عائداً على المثنى، وإنّما هو عائد على أحدهما، وخبر الآخر محذوف لوجود القرينة عليه مثل قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف

أي نحن بما عندنا راضون.

ولعلّ النكتة البلاغية التي رجحت حذف الخبر في الآية الكريمة الإشارة الى انّ ما يرضي الله هو نفس ما يرضي رسوله وكذلك العكس، فإرضاء أحدهما إرضاء للآخر.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم...﴾(٦٤).

س ٣٧٥ ـ لماذا لم يقل «تُنزّل فيهم» إذ السورة تنزّل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا عليهم؟

ج ـ لعلّه للإشارة إلى أن ما ينزل مكروه وثقيل عليهم، باعتبارهم المعنيين بها. فناسب التعدية بـ «على».

وقيل إن «على» هنا بمعنى « في» كما في قوله تعالى: **﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾**(١) وقولهم: «كان ذلك على عهد فلان..» (٢) أي في عهده.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) أسئلة القرآن الكريم وأجوبتها: الرازي: ١١٨

﴿... وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ...﴾(٧٤).

س ٣٧٦ ـ كيف ينقمون ذلك، والغنى نعمة يرغب فيها الإنسان؟

ج ـ إنه في مقام التعريض والذم لهم، لأنّهم لم يشكروا نعمة الله ولم يعرفوا صلاحهم. وأنهم نقموا بدلاً من شكر الله ورسوله.

س ٣٧٧ ـ لماذا لم يقل: «من فضلهما» ليرجع الضمير إلى الله ورسوله؟

ج ـ لأن الغنى والنعم من فضل الله تعالى على من يشاء من خلقه.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ...﴾(٨٠).

س ٣٧٨ ـ ما هي خصوصية عدد السبعين؟

ج ـ الظاهر أنه كناية عن الكثرة لا خصوصية العدد، وقيل: انّ العرب تبالغ بالسبعة، والسبعين، ولهذا قيل للأسد: «السبع»، لأنهّم تأوّلوا فيه لقوّته أنها ضوعفت له سبع مرات[1].

﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٨٤).

س ٣٧٩ ـ كيف يعتبرهم من الكافرين مع أن التخلف عن الجهاد لا يوجب الكفر؟

---

(١) مجمع البيان: ٥/ ٨٤.

ج ـ هذه الآيات تتحدث عن المنافقين الذين هم يضمرون الكفر، حيث كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعاملهم بالتسامح والحسنى فيصلي على من مات منهم، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم امتنع عن الصلاة على المنافقين بعد نزول هذه الآية.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ...﴾(٩٥).

س ٣٨٠ ـ كيف يمكن أن يكون هدفهم من الحلف أن يُعرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون عنهم مع أنّهم كانوا يرومون إرضاءهم؟

ج ـ المقصود إعراض النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين وغض النظر عن تخلّفهم عن الجهاد، لا أنهم يطلبون الإعراض عنهم ومقاطعتهم، لكن الله تعالى أمر المسلمين بالإعراض عنهم وعدم قبول عذرهم.

﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٩٧).

س ٣٨١ ـ من هم الأعراب، ولماذا وصفهم بذلك؟

ج ـ هم أهل البادية، واستحقوا هذا الوصف لبعدهم عن المدينة، وغلظتهم وتوغّلهم في الجهل.

س ٣٨٢ ـ كيف وصف الأعراب بأنّهم أشدّ كفراً ونفاقاً مع أنه قال ـ بعد ذلك ـ ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾؟

ج ـ تشير الآية الأولى إلى خصوص غير المؤمنين منهم باعتبار أن حياتهم ابتنت على الغدر والنهب والسلب والجهالة، ويبدو أنّهم كانوا أكثر عدداً ممّن آمن منهم آنذاك. لذلك استعمل لفظ العام في الآية الأولى، وخُصّص بالمؤمنين في الآية الثانية.

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١٠٠).

س ٣٨٣ ـ هل يعني رضا الله عن السابقين صك الغفران الدائم لهم؟

ج ـ كلاّ، بل هو رضىً عنهم باعتبار مواقفهم آنذاك كسبقهم وهجرتهم وجهادهم، دون ما إذا أحدثوا بعد ذلك، وقد أشارت النصوص الكثيرة إلى ذلك، ففي حديث مالك بن أنس عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله: أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لشهداء أُحُد: «هؤلاء أشهد عليهم» فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي» فبكى أبو بكر، ثم بكى، ثم قال: أئنا لكائنون بعدك[١]. وهناك شواهد كثيرة على ذلك ليس هذا مجال استعراضها[٢]؟

(١) الموطأ: ٢٨٧، حديث ١٠٠٤.

(٢) يراجع في رحاب العقيدة: ٢: ٢٥.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾(١٠١).

س ٣٨٤ ـ كيف يعذّبهم مرتين؟

ج ـ لعلّه اشارة إلى عذابهم حين الموت، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ...﴾[١]. وعذابهم في القبر، حيث ورد في النصوص أن قبر الكافر حفرة من حفر جهنم[٢].

(١) سورة الأنفال: ٥٠.

(٢) نهج السعادة: ٣/ ١٢١.

سورة يونس

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١٠).

س ٣٨٥ـ لماذا يقتصر دعاؤهم وذكرهم على التسبيح؟

ج ـ لأنّ في الجنّة كلّ ما يشتهون ويريدون، فلا يبقى شيء لا ينالونه، فيكون دأبهم تسبيح الله تعالى وتنزيهه وتعظيمه. أو لأنهم ينبهرون بآيات الله وعجائبه خلقه فينشغلون بتسبيحه وتمجيده.

س ٣٨٦ـ لماذا يكون الحمد آخِر دَعْوَاهُمْ؟

ج ـ بإزاء كل نعمة ونعيم ينالونه يحمدون الله تعالى بعد أن ينعموا بها. فهم يسبّحون الله بإزاء ما يرون من عجائب الجنة وإبداعها، ويحمدونه بعد ذلك كلّما تنعمّوا بنعيمها.

﴿قُل لَّوْ شَاء اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(١٦).

س ٣٨٧ـ كيف يكون مكثُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينهم

قبل البعثة دليلاً على نزول القرآن عليه من الله وأنه ليس من إنشائه؟

ج ـ باعتبار أنّ القرآن ـ بما فيه من إعجاز بلاغي ومضموني ـ لو كان من إنشائه لظهرت آثار هذا النبوغ الخارق منذ بدايات شبابه، كما هي العادة في البلغاء وأصحاب المواهب، ولَمّا تأخر ذلك بعد عمر طويل قضاه بينهم، ليظهر فجأة في سن الأربعين. وهذا من الأدلة القرآنية على أنّ القرآن كتاب سماوي نزل من الله تعالى وليس من إنشاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ...﴾(١٨).

س ٣٨٨ ـ إذا كانت الأصنام مجرد شفعاء عند الله فكان المفروض أن يعبدوا الله تعالى ولا أقل من أن يشركوه في العبادة، بدلاً من عبادتهم الأصنام من دون الله؟

ج ـ العبادة هي الخضوع التام لمن يفترض أن يكون مدبّر الكون، وقد تخيّلوا أن الله تعالى فوّض الأمر والتدبير والشفاعة للأصنام، فكانوا يخضعون لها ويعبدونها لتدبر أمرهم ولتشفع لهم عنده.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(١٩).

س ٣٨٩ ـ ما هي الكلمة التي منعت من القضاء العاجل بين الأمم في الدنيا؟

ج ـ الظاهر أنها التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ * هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾(٢٨ - ٣٠).

س ٣٩٠ ـ من هم شركاؤهم، وكيف نفوا عبادتهم عنهم، مع أن عبادتهم لشركائهم ثابتة ولا شك فيها؟

ج ـ لعلّ المقصود نفي الشركاء تحمّلهم لمسؤولية عبادتهم، لأن الموقف موقف حساب ومحاكمة فيكون حرص الشركاء على نفي مسؤولياتهم عن ذلك، هذا إذا كان الشركاء المعبودون وجودات عاقلة، وإذا كان المقصود الأصنام المعبودة، فيراد من النفي ـ نفي العلم ـ الغفلةُ لفقدها الحياة والوعي في الحياة الدنيا.

ويشهد لذلك قوله تعالى فيما بعد ـ حكاية عن هؤلاء الشركاء ـ: ﴿فَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾[2].

س ٣٩١ ـ كيف تبلو كلّ نفسٍ ما أسلفت؟

ج ـ حيث تختبر وتعرف نتيجة أعمالها ومواقفها في الحياة الدنيا وتشاهد جزاءها.

---

(١) سورة البقرة: ٣٦.

(٢) سورة يونس: ٢٩.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(٣١- ٣٢).

س ٣٩٢ـ إذا كانوا يعترفون بأنّ الله تعالى هو الخالق والرازق والمدبّر فكيف كانوا يعبدون الأصنام؟

ج ـ كانوا يدركون بعقولهم أنّ الأصنام أعجز من أن تصدر منها هذه الأمور، وإنّما عبدوها لتخيّلهم أنها وسيطة بين الله وخلقه، كما قال تعالى ـ حكاية عنهم ـ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[1]. فحاججهم سبحانه أنه إذا اعترفتم أن الخالق والرازق والمدبّر هو الله فكيف تكون العبادة لغيره؟! خاصّة أنّ هذا المقام والمكانة للأصنام ابتدعوها هم أنفسهم، من دون أن يكون بأمر الله وباذنه ـ وإن كان تعالى لا يأذن به على كلّ حال ـ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾(٤٢).

س ٣٩٣ـ إنّ استماعهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم دليل رشدهم وانصافهم فكيف وصفهم بأنهم صمّ لا يعقلون؟

ج ـ لأنّ استماعهم لم يكن طلباً للحقيقة، بل لأغراض أخرى، كالذين كانوا يستمعون للقرآن ليكيلوا له التهم المختلفة كالسحر والشعر ونحوهما.

---

(١) سورة الزمر: ٣.

وربـما يكون اسـتماعهم لمجـرّد حبّ الاسـتطلاع مـن دون عزم على معرفة الحق وتحمّل المسؤولية.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ...﴾(٤٥).

س ٣٩٤ ـ لماذا شـبّه لبثهم في الحياة الدنيا بسـاعة من النهار؟

ج ـ لأن الليـل وقـت الركـود والسـكون بينـما النهار وقت النشـاط والحركة، في إشارة إلى صخب الحياة الدنيا والحركة والتنافس فيها، فكانت بمثابة ساعة من النهار.

﴿فَقَالُواْ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٨٥).

س ٣٩٥ـ ما معنى كونهم فتنةً للظالمين؟

ج ـ روي عن زرارة وحمران ومحمد بن مسـلم عن أبي جعفر (الباقر) وأبي عبـد الله (الصادق) عليهما السلام ...قال: (لا تسـلّطهم علينا فتفتنهم بنا) [1]. أي يظلموننا فنكون سبباً لفتنتهم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٨٧).

س ٣٩٦ ـ كيف يجعلون بيوتهم قبلة؟

ج ـ أي يجعلونهـا محـلاًّ لعبادتهـم يتكتمـون بها عن فرعـون وأعوانه الذي يمنعهم من اتخاذ بيوت للعبادة والتظاهر بها.

---

(١) تفسير العياشي: ٢/ ١٣٥.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾(٨٨).

س ٣٩٧ـ كيف يجعل الإضلال هدفاً للنعمة مع أنّ الله تعالى يُنعم على الناس ليؤدّوا حقها ويشكروه؟

ج ـ هذه اللام ليست لام التعليل، وإنما هي لام العاقبة ـ كما يسميها النحاة ـ والتي تدخل على نتيجة ومآل الفعل من دون أن تكون هي العلة والهدف منه، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾(١) مع أنهم إنما التقطوه ليكون لهم ولداً وقرّة عين.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٩٢).

س ٣٩٨ـ هل هناك شواهد على سلامة بدن الفرعون ليكون آية لمن خلفه من الأجيال؟

ج ـ قال الدكتور «موريس بوكاي»(٢) ـ بعد أن أجرى دراسة على

---

(١) سورة القصص: ٨.

(٢) الدكتور «موريس بوكاي» رئيس الجراحين والمسؤول الأول عن دراسة مومياء الفرعون منبتاح بن رمسيس الثاني. يقال أنه اعتنق الإسلام بعد اطلاعه على إخبار القرآن الكريم من خلال الآية الكريمة فوق على سلامة بدن الفرعون، وألّف كتاب «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم» تضمّن دلائل على تطابق الحقائق العلمية المكتشفة حديثاً مع القرآن الكريم. بالإضافة الى كتب أخرى متخصصة. يراجع جريدة المشاركة البغدادية: العدد التاسع: ٢٣/ آذار ٢٠٠٤م الموافق ٢ صفر ١٤٢٥هـ، الصفحة: ٨ (المؤلف).

مومياء الفرعون منتاح بن رمسيس الثاني ـ المكتشفة في عام ١٨٩٨م في مصر عام ١٩٧٥م وأشار الى دراسات واختبارات علمية متخصصة لفريق من الباحثين ـ:

«... فهذا الفرعون قد مات إما غريقاً على حسب روايات الكتب المقدسة، وإما بسبب رضوض عنيفة جدّاً سبقت ابتلاع البحر له أو ربما للسببين معاً ... وسيكون من شأن هذه الإجراءات «يقصد الاختبارات والدراسات العلمية» أنها ستجنّبنا فقدان الشاهد المادي الوحيد الباقي حتى يومنا... الشاهد على موت فرعون الخروج وعلى النجاة التي أرادها الله لجسده. وإنّه لما يرجى دائماً أن يعمل الإنسان على الاحتفاظ بشواهد على تاريخه، ولكن المُعنى به هنا هو شيء أكبر من هذا، إنها شهادة مادية في جسد محنّط على من عرف موسى وعارض طلباته وطارده في هروبه ومات في أثناء هذه المطاردة. وأنقذ الله جثته من الهلاك التام ليصبح آية للناس كما هو مكتوب في القرآن.

إنه بيان رائع لآيات القرآن، ذلك الذي يخصّ بدن فرعون والذي تهبه قاعة المومياءات الملكية بدار الآثار بالقاهرة لكل من يبحث في معطيات المكتشفات الحديثة على أدلة على صحة الكتب المقدسة» [1].

ومضى الدكتور موريس بوكاي قائلاً:

وكما اثبتنا، يكتشف القارئ فيه «يقصد القرآن» مقولات ذات طابع علمي من المستحيل تصوُّر أن إنساناً في عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد استطاع أن يؤلّفها. وعلى هذا، فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن.

---

(١) كتاب: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: ٢٧١.

إن مقارنة عديد من روايات التوراة مع روايات نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتوافق تماماً مع المعطيات الحديثة، ولقد رأينا دليلاً على هذا من خلال روايتي الخلق والطوفان. وعلى حين نجد في نص القرآن بالنسبة لتاريخ خروج موسى معلومة ثمينة تضاف الى رواية التوراة وتجعل مجموع الروايتين يتفق تماماً مع معطيات علم الآثار بما يسمح بتحديد عصر موسى، نجد فيما يتعلق بموضوعات أخرى فروقاً شديدة الأهمية تدحض كل ما قبل إدعاء ـ ودون أدنى دليل ـ عن نقل محمد صلى الله عليه وآله وسلم للتوراة حتى يعد نص القرآن.

... لذا فمن المشروع تماماً أن يُنظر الى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله، وأن تُعطى له مكانة خاصة جداً، حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه، وحيث إن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي، عقيمة حقاً المحاولات التي تسعى لإيجاد تفسير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية [١].

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(٩٤).

س ٣٩٩ ـ هل تعني هذه الآية أن هناك شكاً انتاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ج ـ كلاّ، فانّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عُرف عنه قوة البصيرة ووضوح الرؤية

---

(١) المصدر: ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

منذ بدايات رسـالته، كما تُنبىء عن ذلك كلمته الخالدة لعمه أبي طالب ـ في مواجهة عروض قريش وضغوطهم ـ: يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمـر في يسـاري عـلى أن اترك هـذا الأمر حتـى يظهـره الله أو أهلك ما تركتـه(١). وكذلك مواقفه صلى الله عليه وآله وسلم الحازمـة وتضحياته تؤكد تلك البصيرة في نفسـه، وأما خطابه والتحذير الموجه له صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن فهو أسـلوب قـرآني لتثبيت تلـك الحقائق العقائديـة وغيرها في نفوس الأمـة، ولتحذير غيره من الانحراف أو التشـكيك فيها، ولذلك نجد نفس هذا الأسـلوب في الحـالات التـي عُرف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم موقفه الحـازم منها كما في قولـه تعـالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلاَ تَدْعُ مِـن دُونِ اللهِ مَـا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُـرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّـكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾(٢) فـانّ موقفه صلى الله عليه وآله وسلم من عبـادة الأوثان ورفضه لها واضح حتى قبل البعثة، فلابـد أن يكون المقصود الحقيقي مـن هذا الخطاب ونحوه غيرَه صلى الله عليه وآله وسلم. على طريقة: «إيّاكِ أعني واسمعي يا جاره».

وفي الحديـث: «عـن محمـد بـن سـعيد الأزدي أن موسـى بـن محمد بـن الرضـا عليه السلام أخـبره أن يحيـى بـن أكثم كتـب إليه يسـأله عن مسـائل، أخـبرني عن قـول الله تبارك وتعـالى: ﴿فَإِن كُنـتَ فِي شَـكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَـا إِلَيْكَ فَاسْـأَلِ الَّذِيـنَ يَقْـرَؤُونَ الْكِتَـابَ مِـن قَبْلِكَ﴾ مَـن المخاطَـب بالآية؟ فان كان المخاطَـب فيهـا النبـي صلى الله عليه وآله وسلم ليس قد شـكّ فيما أنـزل الله، وإن كان المخاطَب به غيره فعلى غيره إذاً أنزل الكتاب؟ قال موسـى: فسـألت أخي ـ يعنـي الإمام عـليّ الهادي عليه السلام ـ عن ذلـك، قال: فأما قولـه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَـكٍّ مِّمَّـا أَنزَلْنَـا إِلَيْكَ فَاسْـأَلِ الَّذِيـن يَقْـرَؤُونَ الْكِتَابَ مِـن قَبْلِكَ﴾ فأن

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري: ٢/ ٦٧.

(٢) سورة يونس: ١٠٥ ـ ١٠٦.

المخاطَب بذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يك في شك ممّا أنزل الله، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث إلينا نبيّاً من الملائكة، إنه لم يفرق بينه وبين نبيّه في الاستغناء في المأكل والمشرب والمشي في الأسواق، فأوحى الله الى نبيّه ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ بمحضر الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلاّ وهو يأكل الطعام ويشرب ويمشي في الأسواق ولك بهم أُسوة، وإنما قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ ولم يكن، ولكن يتبعهم كما قال له عليه السلام: ﴿... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيؤون للمباهلة، وقد عرف أن نبيّكم مؤدٍّ عنه رسالته، وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي عليه وآله السلام أنه صادق فيما يقول: ولكن أحبّ أن ينصف من نفسه»[١].

وعن ابن عباس: «لا والله، ما شك طرفة عين، ولا سأل أحداً منهمْ»[٢].

---

(١) تفسير العياشي: ٢/ ١٣٦.

(٢) الكشاف: ٢/ ٣٧٠.

سورة هود

﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١).

س ٤٠٠ـ ما معنى إحكام آياته، ولماذا عطف التفصيل عليه؟

ج ـ ذكر المفسّرون عدة آراء في ذلك، لكن الذي نرجحه ـ والله العالم ـ أنَ الإحكام يرتبط بمضمون الآيات القرآنية، وأنه المنهج المستقيم والحقائق الثابتة المحكمة المنزّهة عن الباطل، بعكس المناهج الجوفاء للمبادئ المنحرفة الفاقدة للأساس المحكم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* ... تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ...﴾[1].

وأما التفصيل فهو في مرحلة التعبير عن تلك المضامين المحكمة وبيانها وهي مرحلة متأخرة عنها، فكان من الطبيعي ـ على هذا التوجيه ـ عطف التفصيل على الإحكام.

---

(١) سورة ابراهيم: ٢٤ ـ ٢٧.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا...﴾(٣).

س ٤٠١ـ لماذا أخّر الأمر بالتوبة مع أنّ الاستغفار مكمّل لها وليس سابقاً عليها؟

ج ـ إذا تعلّقت التوبة بالذنب كقولك: «تبت من ذنبي» فهي قبل الاستغفار، وتعني الندم على الذنب، أما التوبة إلى الله فهي الرجوع والإنابة إليه، ومحلّها بعد الاستغفار، حيث ينتهج العبد طريق الاستقامة فيما يستقبل من حياته.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ...﴾(٨).

س ٤٠٢ـ ما معنى تأخير العذاب إلى أُمة؟

ج ـ الأُمّة هنا بمعنى الفترة، وهو احدى معاني «الأُمّة» في اللغة.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(١٢).

س ٤٠٣ ـ هل يعني ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يهمّ بترك تبليغ بعض الآيات؟

ج ـ كلاّ، بل حيث إن الترجي وكلّ شك وتردّد مستحيل في حق الله تعالى، فتحمل ألفاظها ـ مثل «لعلّ» في الآية ـ على قصد معانٍ أخرى مثل الإرشاد والتذكير بعظم المسؤولية وتقوية عزيمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونحو ذلك.

﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣٤).

س ٤٠٤ ـ إذا كان الله يريد إغواءهم فكيف يعاقبهم على ذلك؟

ج ـ ليس المقصود جبرهم على ذلك، لأنّه تعالى لا يجبر عباده على الغواية ولا على الهداية، وإنما ذلك يرجع إلى اختيار الإنسان نفسه، وطبيعة تفاعله مع آيات الله وحججه، فمن يعيها ويبصرها بموضوعية يهتدي بها، ومن يقابلها بالجحود والصدّ تصير سبباً لغيّه وضلاله، وإنّما يُنسب ذلك إلى الله تعالى باعتبار أنه هو الذي يُنزل تلك الآيات، وهو الذي تجري الأمور بقضائه وقدره من دون سلب اختيار الإنسان.

وقد أشارت إلى ذلك مجموعة من الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾(٣٦).

س ٤٠٥ ـ هل انحصار الإيمان بتلك الجماعة القليلة المؤمنة يوجب عدم حزنه وابتئاسه بما كان

---

(١) سورة التوبة: ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

يصدر من غيرهم من الأذى والإصرار على الكفر؟

ج ـ كلاّ، وإنما ذلك يوجب اليأس من إيمان الآخرين، مما يعني انتهاءَ مهمّة نوح في سعيه لهداية قومه، وحلولَ وقت عقابهم، كما أشار إليه قوله تعالى عقيب ذلك: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾[1].

فانتهاء معاناة نوح عليه السلام وحلول وقت عقاب الكافرين ـ بعد اليأس من إيمانهم ـ هو الذي يُنهي حزنه وابتئاسه.

﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ...﴾(٤٣).

س٤٠٦ ـ كيف يستثني مَّن رحمهُ الله من العاصم الذي هو الله تعالى، والمفروض استثناؤه من المعصوم؟

ج ـ الاستثناء هنا منقطع ـ كما يسميه النحاة ـ والمستثنى منه الحقيقي هو المعصوم المفهوم نفيه من خلال الملازمة بين نفي العاصم ونفيه، لأنه إذا لم يكن هناك عاصم فمن الطبيعي أن لا يكون هناك معصوم.

والذي حسَّن هذا التعبير بلاغياً، أن هدف نوح عليه السلام نفي المعصوم أي إقناع ولده بأنه ليس هناك معصوم من الغرق إلاّ من يرحمه الله، بينما اعتمد ولده على الجبل مدّعياً أنه عاصم من الماء، فكان على نوح عليه السلام أن ينفي كلا الأمرين ـ العاصم والمعصوم ـ، فجاء النفي بهذا الأسلوب الموجز الرائع.

---

(١) سورة هود: ٣٧.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾(٧٨).

س ٤٠٧ ـ كيف يعرض عليهم بناته وهنّ محرّمات عليهم؟

ج ـ لقد عرض عليهم الزواج المشروع منهنّ، ولذلك قال: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ كما يناسبه أيضاً قوله: ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ﴾. اذ الفاحشة لا تنسجم مع الطهر وتقوى الله تعالى.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾(١٠٦).

س٤٠٨ ـ الزفير والشهيق يتحققان من كل إنسان ولا يختصان بالمعذّبين.

ج ـ المقصود منه المصاحبان للحزن والكرب؛ حيث ليس لأهل النار شاغل غير ذلك بعكس أهل الجنّة الذين ينشغلون بأسباب النعيم، قال الزجاج: الزفر من شدّة الأنين وقبيحه، والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جدّاً[1]. وفي الآية إشارة إلى الشدة التي تلازمهم في كل نفس.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(١٠٧ - ١٠٨).

س ٤٠٩ ـ كيف يربط خلودهم بدوام السماوات

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٣٢٥.

والأرض مع أنها ليست خالدة، بل هي تفنى قبل يوم القيامة، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[2]؟

ج ـ إما أن يكون ذلك جرياً على العرف العام الذي يعتبر دوام السماوات والأرض رمزاً وتعبيراً عن التأبيد، أو يكون المقصود من السماوات والأرض ما يُظلِّل الإنسان وما يستقرّ عليه، وهما متحققان في الدار الآخرة وخالدان بخلودها، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾[3].

س ٤١٠ ـ ألا يعني استثناء المشيئة الإلهية أنّ الكافرين قد لا يُخلّدون في النار وأنّ المؤمنين قد لا يُخلّدون في الجنّة؟

ج ـ بالنسبة لأهل النار ـ وهم أعم من الكافرين ـ لا مانع من شمول رحمة الله وعفوه لبعضهم، فيخرجهم من النار، كما تضمنت ذلك بعض النصوص، ففي الحديث عن حمران عن الإمام الباقر عليه السلام عندما سأله عن ذلك فقال: «هذه في الذين يخرجون من النار»[4].

وهناك وجه آخر ينطبق على كلتا الآيتين، وهو انّ استثناء المشيئة في كليهما لتأكيد أن خلود كلا الفريقين خاضع لمشيئة الله، وليس أمراً مفروضاً عليه، ولا يَخرج الفريقان بذلك عن مشيئته وارادته، ولا عن سلطانه تعالى وملكه

(١) سورة الفجر: ٢١.

(٢) سورة الانبياء: ١٠٤.

(٣) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٤) تفسير العياشي: ٢/ ١٧٠.

﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾(١١٣).

س ٤١١ ـ كيف يكون الركون إلى الظالم؟

ج ـ الظاهر أنّه مأخوذ من الركن بمعنى القوة، قال ابن منظور: ركن الإنسان: قوّته وشدته[1]. فيكون الركون إلى الظالم بمعنى الاستناد إليه والتقوي به، فينطبق على الخروج عن التعاليم الدينية ممالأةً ومداراةً للمشركين، كما ينطبق على السير في ركاب الطغاة والانتساب إليهم واتّباعهم في ظلمهم. وعن تفسير القمي: قال عليه السلام: (ركون مودة ونصيحة وطاعة)[2].

ولذلك نلاحظ الآية الكريمة تؤكد ـ بعد ذلك ـ أنّه ليس هناك مَن ينصر الإنسان من دون الله تعالى، وهو يوحي أن المقصود من الركون الاعتمادُ على عدوّه وهو الظالم، وذلك ـ بالإضافة إلى كونه معصية لله ـ لا فائدة فيه مهما توفرت فيه من قوّة، ويوجب إعراض الله تعالى عن الإنسان.

﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ...﴾(١١٦).

س ٤١٢ ـ من هم أولوا بقيّة، وما هو وجه وصفهم بذلك؟

ج ـ البقية كناية عن الفضل والتعقل، والمقصود بهم القلّة الواعية من الأمم السابقة.

قال الطبرسي: والبقية ما بقي من الشيء بعد ذهابه، وهو الاسم من الإبقاء. ويقال: في فلان بقية أي فضل مما يمدح به وخير، كأنه قيل: بقية

---

(١) لسان العرب: ١٣/ ١٨٥.

(٢) تفسير القمي: ١/ ٣٣٨.

خير من الخير الماضي...»[١].

﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(١١٨ - ١١٩).

س٤١٣ ـ ما هو مرجع اسم الإشارة في قوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؟

ج ـ يمكن أن يرجع إلى الرحمة، باعتبار أن الله تعالى أرحم الراحمين خلق الخليقة ليرحمهم.

وقد تكون اللام للعاقبة، ويكون ذلك إشارة إلى اختلافهم المتقدم في قوله: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ حيث لم يفرض عليهم الإيمان تكويناً ويخلقهم مؤمنين، لأن الهدف من خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا بما يمتلك من عقل واختيار هو ابتلاؤه واختباره وتحميله المسؤولية، ليتميّز المطيع من العاصي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٣]. وربّما يشير إلى هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. فانّ الله تعالى لم يخلق الجن والأنس ليملؤوا جهنّم، وإنما خلقهم ليختبرهم ففشلوا بسوء اختيارهم، وكانت النتيجة أن امتلأت جهنم بهم. نعوذ بالله تعالى من الخذلان وسوء العاقبة.

---

(١) مجمع البيان: ٥/ ٣٠٤.

(٢) سورة الملك: ٢.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٥.

سورة يوسف

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢).

س ٤١٤ ـ أليس نزول القرآن باللغة العربية تمييّزاً للعرب مع أنه كتاب هداية لجميع الشعوب؟

ج ـ بما أن الجزيرة العربية مهد الإسلام وموطن نزول القرآن والعرب هم البذرة التي حملت مسؤولية نشر الدين الجديد فمن الطبيعي أن ينزل بلغتهم كما هو حال كل الكتب السماوية حيث نزلت بلغة الوسط والمجتمع الذي نزلت فيه ، بذلك تتأكد الحجة على أبناء ذلك المجتمع من دون أن تقتصر عليه، كما لا يعني ذلك تفضيل ذلك الشعب أو المجتمع على الآخرين من حيث المقام والقرب لله تعالى، بل يتحدّد ذلك بموقف المجتمع والأشخاص ومدى التزامهم بتعاليم الله تعالى.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾(٤).

س ٤١٥ ـ لماذا قال : ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ مع أنّ ضمير الجماعة للعقلاء، والكواكب غير العاقلة؟

ج ـ باعتبار أن السجود والخضوع الذي رآها عليه من شؤون العقلاء، فأرجع عليها ضمير العقلاء.

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾(٨).

س ٤١٦ ـ كيف فضّل يعقوب يوسف وأخاه على باقي أبنائه مع أن المفروض أن يعاملهم بالسوية؟

ج ـ لم يكن تفضيله لهما اعتباطياً، وإنما باعتبار ما رآه وتوسّمه فيهما من الفضائل. ولعلّه لم يكن تفضيلاً، وإنما مجرّد شفقة خاصة عليهما باعتبار صغرهما ووفاة والدتهما. فانتاب إخوتهما الغيرة والعصبية بسبب ذلك.

س ٤١٧ ـ كيف نسبوا أباهم إلى الضلال مع علمهم بأنّه نبي من الأنبياء وليس كافراً؟

ج ـ ليس المقصود الضلال في الدين، بل الخطأ في التعامل مع يوسف بزعمهم، لأنّ الضلال ينطبق على الخطأ وعدم الصواب، ولا يختص بالضلال في الدين.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤).

س ٤١٨ ـ كيف همّ يوسف عليه السلام بالفحشاء، ولماذا صرفه الله عن ذلك مع أنه تعالى لا يحابي بين عباده؟

ج ـ اختلف المفسرون في ذلك على آراء، فبينما ذهب بعض المفسّرين من الجمهور إلى أنه عزم على الفحشاء كما همّت زليخا بذلك، ذهب آخرون إلى أنه لم يعزم على الفحشاء بالفعل بقرينة قوله تعالى: ﴿لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾. الذي يدل على أن البرهان الإلهي حال دون تحقق العزم منه عليه السلام .

وهناك رأي آخر لبعض المفسّرين بأنّ يوسف همّ بعقابها لا بالفاحشة،

ولعلّ مما يشهد لذلك امتناعه ـ منذ البداية ـ من مطاوعتها بدلالة قوله تعالى: ـ في الآية السابقة ـ ﴿... وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [١].

ومما يشهد بعدم صدور العزم المذموم من يوسف هو ثناء الآيات الكريمة عليه، وإلاّ لواجهته باللوم والعقاب على الأقل.

س ٤١٩ ـ ما هو الفرق بين السوء والفحشاء؟

ج ـ الفحشاء هي الرذيلة، وأما السوء فربما يقصد منه العقاب الشديد الذي كان يواجهه لو طاوعها ورآهما زوج المرأة الذي أقبل من دون علمهما، ومن الطبيعي أن تتهمه المرأة أمام زوجها بالمبادرة للفاحشة، ولا يكون له شاهد يشهد في حقه وينجيه من العذاب والفضيحة.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٣٣).

س ٤٢٠ ـ كيف نسبَ الدعوة للفحشاء إلى جمع النساء والكيد لهّن، مع أنه كان من امرأة العزيز فقط، وقد لُمنها على ذلك؟

ج ـ تضمنّت بعض الروايات أنّهن شاركنها في ذلك بعد أن رأين يوسف عليه السلام وانبهرنَ بجماله، فـ«في حديث أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام وخرجن النسوة من عندها فأرسلت كلّ واحدةٍ منهنّ إلى يوسف عليه السلام سرّاً من صاحبتها تسأله الزيارة فأبى عليهن..» [٢].

---

(١) سورة يوسف:٢٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم: أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي: ٢٠٨.

ولعلّ ذلك وما يصاحبه عادةً من لغط اجتماعي هو الذي دعاهم إلى سجنه رغم علمهم ببراءته، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾(١). حيث نصّت الآية على أن سجنهم ليوسف عليه السلام كان رغم الآيات والشواهد على براءته ونزاهته. ولذلك طلب يوسف عليه السلام إيضاح الحقيقة على الملأ عندما راموا إخراجه من السجن بعد أن فسّر لهم رؤيا الملك، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾(٢). كل ذلك يؤكدّ اللغط الاجتماعي آنذاك بخصوص هذا الموضوع، وأنهم قد سجنوه ظلماً حفظاً لسمعة عوائلهم.

﴿قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾(٣٧).

س ٤٢١ ـ لماذا ذكر فاصلاً طويلاً بين ما طلبه الرجلان منه واستجابته لهما بتفسير الحُلُمين بقوله: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ...﴾؟

ج ـ إنّه تعبير عن الشعور بالمسؤولية والموقف الرسالي، حيث استثمر فرصة حوار الرجلين وانفتاحهما عليه ليدعوهما إلى نبذ الأصنام، وعبادة الرحمن بدلاً من ذلك، خاصة بعد أن توسّما فيه الصلاح، وتأكدت ثقتهما به كما أشار إليه قوله تعالى: ـ حكاية عنهما ـ ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. مما يقويّ احتمال تأثير نصحه لهما بعبادة الله الواحد الأحد ونبذ الشرك.

---

(١) سورة يوسف: ٣٥.

(٢) سورة يوسف: ٥٠.

﴿قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ...﴾(٧٧).

س ٤٢٢ ـ ما هو منشأ اتهامهم ليوسف بالسرقة مع براءته منها؟

ج ـ روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «كانت لإسحاق النبي منطقة يتوارثها[1] الأنبياء والأكابر، فكانت عند عمة يوسف، وكان يوسف عندها، وكانت تحبّه، فبعث إليها أبوه أن ابعثيه إليّ وأردّه إليكِ. فبعثت إليه أن دعه عندي الليلة لأشمّه ثم أرسله إليك غدوة. فلما أصبحت أخذت المنطقة فربطتها في حقوه وألبسته قميصاً وبعثت به إليه، وقالت: سُرقت المنطقة، فوُجدت عليه ـ وكان إذا سرق أحد في ذلك الزمان دُفع إلى صاحب السرقة ـ فأخذَته فكان عندها»[2]. فيبدو أن هذه الحادثة هي السبب في اتهامهم ليوسف بالسرقة رغم براءته منها في الواقع.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(٨٣).

س ٤٢٣ ـ لماذا اتهمهم بذلك مع كونهم صادقين في عدم التفريط بأخيهم بنيامين؟

ج ـ لم يصرّح يعقوب عليه السلام باتهامهم بخصوص قضية بنيامين، بل في مجمل موقفهم الذي بدأ مع يوسف، وكان من نتائجه غياب بنيامين، ويشهد لذلك قوله: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾.

س ٤٢٤ ـ لماذا استخدم ضمير الجمع في قوله:

---

(١) المنطقة: ما يشدّ بها الوسط.

(٢) تفسير العياشي: ٢/ ١٩٧.

﴿أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾مع أن المناسب هو ضمير التثنية ليعود إلى يوسف وبنيامين؟

ج ـ كلاً، لأنّ كبيرهم لم يرجع إلى يعقوب أيضاً، فأراد عليه السلام رجوعهم جميعاً.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(٨٤).

س ٤٢٥ ـ لماذا تأسف على يوسف فقط دون بنيامين؟

ج ـ لطول غيبته وجهالة مكانه أو مصيره، بخلاف بنيامين، فان أولاد يعقوب أخبروا أباهم بسلامته وأنه وديعة عند عزيز مصر، فكانت حادثة بنيامين مذكِّرة بقضية غياب يوسف عليه السلام ومهيّجة لأحزان يعقوب عليه السلام.

س ٤٢٦ ـ ما معنى بياض عينيه من الحزن؟

ج ـ لعلّ هذا من تأثير وافرازات العامل النفسي على الجسم، المعروف طبياً بـ (سايكوساماثيك) ـ كما أكده اخصائي في طب العيون ـ فان الحزن الشديد الذي اصاب يعقوب عليه السلام وحرصه على كظم حزنه أوجبا فقدان بصره خلال تلك الفترة، وقد زال بعد ارتفاع سبب الحزن حين جاؤوا بقميص يوسف عليه السلام ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً ..﴾[1].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا...﴾(١٠٠).

س ٤٢٧ ـ كيف سجدوا ليوسف مع أن السجود لشخص عبادة له؟

---

(١) سورة يوسف:٩٦.

ج ـ كلاّ، فانّ السجود إنّما يكون مظهراً لعبادة المسجود له اذا جيء به بنيّة الخضوع العبادي لا مطلقاً كالتحية والتعظيم المجردّين، فانه لا مانع من كونه مشروعاً في بعض الشرائع السابقة.

وقد يكون سجوداً لله تعالى تكريماً وابتهاجاً بيوسف عليه السلام، ففي الحديث الوارد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حينما قال له يحيى بن أكثم: أخبرني أسَجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ فأجاب أبو الحسن عليه السلام: «أما سجود يعقوب وولده فانه لم يكن ليوسف، وإنما كان ذلك منهم طاعةً لله وتحية ليوسف، كما أن السجود من الملائكة لآدم كان منهم طاعة لله وتحيّة لآدم..»[1].

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(١٠٦).

س ٤٢٨ ـ كيف يجتمع الإيمان بالله مع الشرك؟

ج ـ قد يكون إشارة إلى بعض العرب، وبعض أهل الكتاب حيث يخلطون إيمانهم بالله بالشرك به، فزعم أولئك أنّ الأصنام تقربّهم إلى الله زلفى فعبدوها، كما التزم النصارى بالتثليث ـ الذي هو نوع من الشرك ـ رغم إيمانهم بالله.

وفي بعض النصوص أنه إشارة إلى الشرك الذي لا يبلغ حدّ الكفر، وهو ما يسمّى بشرك الطاعة، فينطبق على العصاة الذين يطيعون الشيطان في سلوكهم، رغم أنهم موحّدون لله تعالى في عقيدتهم وعبادتهم[2].

---

(١) مجمع البيان: ٥/ ٤٠٦.

(٢) يراجع تفسير العياشي: ٢/ ٢١١.

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾(١١٠).

س ٤٢٩ ـ كيف يظنّ الرُسُل أن الله تعالى يُكذبهم؟

ج ـ ذكر بعض المفسّرين أنّ الضمير في قوله: ﴿ظَنُّواْ﴾ يعود إلى الناس لا إلى الرُسل أنفسهم.

ويمكن أن يرجع الضمير إلى الرُسُل، ويكون المقصود أنّهم حيث استبطأوا النصر ـ رغم شدة المحنة المحيطة بهم وبالمؤمنين ـ ظنّوا أنّ ذلك ليس من القضاء المحتوم، وأنه أُرجيء أو رُفع لبعض المصالح الخفيّة عنهم، فيكون إطلاق لفظ الكذب هنا باعتبار عدم تحقق الموعود به، كما أُطلق الكذب على الخطأ المجرّد في كلام العرب، قال الأخطل: «كذَبتك عينك أم رأيت بواسط»[٢]. أي أخطأت عينك، كما يقال: «كذب ظنّي» بمعنى: أنه لم يصب.

وقرأ عدد من القرّاء (كُذِّبوا) بالتشديد، فيكون المعنى أن الرُسل قد حسبوا أو علموا أنّهم قد كُذِّبوا من قِبَل أُممهم. فيكون التكذيب ـ على هذه القراءة ـ من الناس لرُسُلِهم، لا من الرُسُل لله تعالى.

---

(٢) لسان العرب: ١/ ٧٠٩.

سورة الرعد

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٧).

س ٤٣٠ ـ ألا يعني ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تنزل عليه آية أو معجزة لتصديقه؟

ج ـ كلاّ، وإنـما ذلـك إشـارة إلى مـا كان يقترحه كلّ شـخص أو كلّ مجموعة من آيات معينّة، ولو اسـتجيب لبعضهم لاحتّج الآخرون وطلبوا الآيـات التي يقترحونها، وكان بعضها تعجيزياً، لأنه من طلب المحال، كما أشار إلى ذلك قولـه تعالى: **﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًـا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيـلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْـقِطَ السَّـمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّـمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَـا كِتَابًـا نَّقْـرَؤُهُ قُلْ سُـبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنـتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُـولاً﴾**[1]، وقد رفض القرآن هذه الاقتراحات مذكّراً أنّ دور الرسول هو الإنذار والتبليغ، وأن الله تعـالى يختـار لـكل قوم الآيـة التي تصلـح أن تكون حجـةً عليهم.

---

(١) سورة الإسراء: ٩٠- ٩٣.

ويبدو أن هؤلاء طلبوا أن تكون الآية العظمى الملازمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم غيرَ القرآن ـ من دون أن ينكروا الآيات الثانوية التي حدثت في زمانه ـ، ولذلك ردّ الله عليهم بقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فكما أن عصا موسى عليه السلام كانت الإعجاز الرئيسي لموسى عليه السلام، لمناسبتها لظروف عصره ودورها في هداية مَن بُعث لهم، وكذلك إحياء عيسى عليه السلام للأموات وإبراؤه الأكمه والأبرص، فكذلك القرآن بمضمونه الخالد يناسب رسالة الإسلام الخالدة وظروف عصره والمجتمعات المختلفة والأجيال المتعاقبة ما دامت الحياة الدنيا.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾(١١)

س ٤٣١ ـ ما هي (المُعَقِّبَات) وكيف تحفظ الإنسان من أمر الله؟

ج ـ المُعَقِّبَات الجماعة التي تتابع الإنسان وتحيط به، ولعلّه إشارة إلى ما تضمنته بعض النصوص من أن بعض الملائكة موكَّلون بالإنسان لحفظه، وفي حديث عن الإمام علي عليه السلام: «إن مع كلّ إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه...»[1]. وليس المقصود في الآية أن هؤلاء الموكَّلين يمنعون الإنسان مما قدّره الله تعالى له من مصير محتوم، وإنما يحفظانه من الأمر الإلهي غير المحتوم أو مما من شأنه أن يصيبه من أسباب الضرر الطبيعية لولا حفظ هؤلاء الموكَّلين. والله العالم.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ...﴾(١٣).

س ٤٣٢ ـ كيف يسبّح الرعد وهو غير حيّ ولا عاقل؟

---

(١) تصنيف نهج البلاغة: ١٤٠.

ج ـ قيل: إن تسبيح الرعد من خلال خضوعه تكويناً للأمر الإلهي، فهو تسبيح تكويني لا شعوري، وعلى ذلك يُحمل كلّ مورد نُسب فيه التسبيح والسجود ونحوهما لغير العقلاء، مثل قوله تعالى: ﴿... **يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿... **وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ**...﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ**...﴾[3].

وربما يكون السجود المذكور شعورياً بناءً على نظرية الملازمة بين الوجود والشعور ـ ولو بمراتبه الدنيا التي لا يدركها الإنسان ـ وقد بدأ العلم الحديث باكتشاف مظاهر شعورية ـ بعضها بالغة التعقيد ـ لبعض الكائنات الحية التي كان التصور العام السابق يبتني على سلب الشعور عنها. علماً أن بعض الآيات وكثيراً من النصوص تضمنت الإشارة إلى ذلك والتنبيه على أن مثل هذا السلوك الشعوري لهذه الكائنات غير مدرَكة للإنسان، مثل قوله تعالى: ﴿... **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[4]. وفي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أن توسم البهائم في وجوهها، وأن يضرب وجوهها فإنها تسبّح بحمد ربّها»[5]. كما تضمنت بعض الآيات إثبات حوارات وسلوكيات واعية لبعض العجماوات كالنمل والهدهد مع نبي الله سليمان بن داوود عليه السلام. والله سبحانه هو العالم بأسرار خلقه.

---

(١) سورة الحشر: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٣) سورة الحج: ١٨.

(٤) سورة الإسراء: ٤٤.

(٥) تفسير العياشي: ٢/ ٣١٧.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا...﴾(١٦).

س ٤٣٣ـ كيف يؤمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسؤال والإجابة معاً والمفروض أن يكون السائل غير المجيب؟

ج ـ إنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يجيب على سؤاله مباشرةً، بل بعد أن يطرح سؤاله عليهم وهم يختلفون في الجواب، أو يجيبون بغير الصواب، يذكر الجواب الصحيح بأنّ ربّ السموات والأرض هو الله تعالى.

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾(١٧).

س ٤٣٤ ـ ما هو الزبد الثاني الذي يشبّه به الباطل؟

ج ـ هو خبَث المعادن كالذهب والفضة والنحاس الذي يطفو عند ذوبان هذه المعادن بالنار في عملية التصفية، حيث يرمى الزبد ويبقى المعدن صافياً نقياً.

﴿... أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(١٨).

س ٤٣٥ ـ كيف يكون لهم سوء الحساب والله سبحانه عادل مع جميع خلقه؟

ج ـ ليس المقصود أن حسابهم سيء وغير عادل، وإنّما لهم ما يسوؤهم من الحساب الذين كانوا هم السبب فيه، وأضيف السوء إلى الحساب باعتبار أنـه يترتب عليه. والإضافة تصح لأدنى علقة بـين المضاف والمضاف إليه.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا...﴾(٣١).

س ٤٣٦ ـ ما هو جواب «لو» الشرطية؟

ج ـ حذف جواب الـشرط لدلالة القرينة عليه، والتقدير «لكان هذا القرآن» أو بمعناه.

س ٤٣٧ ـ كيـف ييـأس الذين آمنوا أن لو يشـاء الله لهـدى الناس جميعاً، مع أنه حقيقة ثابتة لا يليق بالمؤمن انكاره واليأس منه؟

ج ـ لعـلّ اليـأس بمعنى العلـم، كما ذكر ذلك علماء اللغة، وأنشـدوا قول الشاعر:

أقول لأهل الشِّعب إذ ييسرونني   ألم تيأسوا أني ابن فارس لازم[1]

أي ألم تعلمـوا. ولذلـك رُفـع الفعل «يشـاء»، لأنّ «أنْ» المصدرية لا تنصـب الفعل الذي بعدها إذا تقـدّم عليها ما يدلّ على العلم، كما نصّ على ذلك النحويون.

---

(١) يراجع لسان العرب: ٦/ ٢٦٠.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً...﴾(٣٨).

س ٤٣٨ ـ لماذا نصّ على الأزواج والذرّية مع أنه لا علاقة للرسالة بذلك؟

ج ـ إنه ردّ على الذين كانوا يستنكرون ممارسات الرسول الطبيعية ويزعمون أنّ طبيعة الرسول لابدّ أن تختلف عن الطبيعة البشرية، كما قال تعالى: ـ حكاية عنهم ـ ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ...﴾[1].

(١) سورة الفرقان: ٧.

سورة إبراهيم

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾(٣).

س ٤٣٩ ـ كيف يذمّهم على حبّ الحياة الدنيا والناس جميعاً يحبّونها؟

ج ـ إنّ ذمّهم باعتبار تفضيلهم الحياة الدنيا على الآخرة، لأنّ الاستحباب هو حبّ الشيء والتعرّض له، فهؤلاء أفرطوا في حبّهم وتعرّضهم للدنيا حتى فضّلوها على الآخرة، فالفعل هنا مضَّمن معنى التفضيل، ولذلك تعدّى بـ «على».

س ٤٤٠ ـ ما معنى أن يكون الضلاّل بعيداً؟

ج ـ الضلال عدول عن الحق وانحراف عنه، فهؤلاء كان انحرافهم عن الحق كثيراً، فعبّر عنه بالضلال البعيد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾(٤).

س ٤٤١ ـ ألا يترتّب على ذلك أن يكون النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مبعوثاً للعرب فحسب؟

ج ـ إن وحدة اللغة بين الرسول وقومه لا تعني حصر رسالته بهم، بل يكفي أن يكون قومه قاعدة للإيمان بالرسالة، وتكون الانطلاقة بعدها

إلى الأمم الأخرى ـ كما كان الأمر مع الأنبياء السابقين ـ بينما إذا لم يكن الرسول بلسان قومه فلا يكوّنون القاعدة لرسالته.

﴿جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾(٩).

س ٤٤٢ ـ ما معنى ردّ الأيدي في أفواههم؟

ج ـ إنه كناية عن رفضهم ومواجهتهم لرسالات الأنبياء، إما باعتبار أن الغاضب يضع أصبعه في فمه بسبب الغضب كما قال تعالى: **﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾**[1]. أو باعتبار أن من يريد إسكات شخص يضع يده على فمه، في إشارة لمخاطبه بالسكوت.

س ٤٤٣ ـ الكفر هو الإنكار والرفض فكيف يقول: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾ والشاك متردد وليس منكراً؟

ج ـ لا يشترط في الكفر الجزم بالإنكار، بل يكفي البناء العملي على رفض الرسالة مع الشك فيها، بل حتى مع العلم بصحتها، ولذلك يعتبر الجاحد كافراً رغم أنّه في قرارة نفسه مؤمن بصحتها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾(١٣).

س ٤٤٤ ـ ألا يعني قولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أنّ الرسل كانوا سابقاً على دين قومهم؟

ج ـ كلاّ، بل حيث أنّ الرسل يبدؤون برسالتهم ودعوة قومهم في فترة معيّنة من حياتهم، فتخيّل أولئك أن الرسل قبل هذه الفترة كانوا على دينهم.

---

(١) سورة آل عمران: ١١٩.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾(٢٤- ٢٦).

س ٤٤٥ ـ ما معنى أن يكون للكلمة الطيبة أصل ثابت وفرع ممتد؟

ج ـ حيث ان الكلمة الطيبة تعبّر عن الحقيقة الراسخة التي لا تتغير ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ ولا تحجبها الشبهات والأباطيل، وتنتفع منها الأجيال المتعاقبة، فهي ممتدة بامتداد الحياة ـ كالشجرة الممتدة الشاهقة ـ ولا يقتصر ثمرها على قوم أو فئة خاصة، بينما الكلمة الخبيثة هي التعاليم والمبادئ الهدّامة والمنحرفة التي ليس لها أصالة وامتداد، فهي كالشجرة الخبيثة أي يخبث ثمرها كالحنظل وليس لها جذور عميقة في الأرض، لا يبقى لها أصل عند قلعها.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ﴾(٣١).

س ٤٤٦ ـ بما أن قوله: ﴿يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ﴾ مقول القول، فكان يفترض رفع الفعلين بإثبات النون فيهما لا جزمهما بحذفها؟

ج ـ كلاّ، يمكن أن لا يكونا ضمن مقول القول، وإنما هما جواب فعل الأمر (قل) ولذلك جاءا مجزومين، ومقول القول حذف لدلالة الجواب عليه، والمعنى قل لعبادي الذين آمنوا: «يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقناهم» يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم. أي إذا قلت لهم ذلك

يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فحُذف مقول القول ـ وهو «يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقناهم» ـ اعتماداً على قرينة جواب الأمر ـ وهو ﴿يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ ـ باعتبار أن مقول القول نفس مضمون الجواب.

﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(٣٤).

س ٤٤٧ ـ كيف ينسجم قوله: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ مع ما نلاحظه من عدم استجابة كثير من الأدعية؟

ج ـ الآية بصدد بيان وفرة نعم الله تعالى على الجنس البشري وأنه تعالى وفّر له ما يحتاجه ويطلبه ويطمح إليه ضمن نظام الأسباب، حيث وفّر الخيرات في هذه الحياة الدنيا، ومنح القدرة والموهبة للإنسان، لاستثمارها. وليست الآية ناظرة إلى كل فرد من الناس، إذ قد لا يستجيب الله تعالى لبعض الناس تبعاً لمصالح ومقتضيات أو موانع معيّنة.

﴿... أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾(٤٤).

س ٤٤٨ ـ كيف يقسمون في الدنيا على عدم الزوال مع أن كلّ إنسان يعلم بأنه يموت ولا يخلد فيها؟

ج ـ من معاني الزوال في اللغة: «الاستحالة والحركة»، فهم أقسموا على عدم تحوّلهم من الدنيا إلى الآخرة. وربما يكون ذلك مقتضى طغيانهم الذي أعمى بصيرتهم، كما يلاحظ سلوك الطغاة وممارساتهم التي تعكس غفلتهم عمّا ينتظرهم من الموت والفناء. اللهم بصّرنا في أنفسنا، ولا تجعلنا من الغافلين المبعَدين.

سورة الحجر

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾(١٦).

س ٤٤٩ ـ ما هي البروج المذكورة؟

ج ـ إشارة إلى منازل الشمس والقمر، وكل منزل عبارة عن هيئة رائعة لاجتماع مجموعة من الكواكب كالحمل والميزان والقوس، وتسمّى بالبروج اي القصور، لما لها من روعة وجمال.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾(٢٤).

س ٤٥٠ ـ من هم المستقدمون والمستأخرون؟

ج ـ المستقدمون هم السابقون، والمستأخرون هم المتأخرون بحسب الخلق والوجود.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾(٢٦).

س ٤٥١ ـ كيف ينسجم ذلك مع قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ (٢) ؟

(١) سورة الحج: ٥.

(٢) سورة آل عمران: ٦٠.

ج ـ لا منافاة بينهما، لأنّ كلاً منهما من حالاته، قال الطبرسي: (وأصل آدم عليه السلام كان من تراب، وذلك قوله: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ثم جعل التراب طيناً، وذلك قوله: ﴿وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[(١)] ثم ترك ذلك الطين حتى تغيّر واسترخى، وذلك قوله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ثم ترك حتى جفّ، وذلك قوله: ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾ فهذه الأقوال لا تناقض فيها، إذ هي إخبار عن حالاته المختلفة)[(٢)].

﴿... وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(٨٥).

س ٤٥٢ ـ كيف تنسجم الدعوة للصفح الجميل مع الدعوة للجهاد والغلظة على الكفار والمنافقين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[(٣)].

ج ـ ان الآية الأولى نزلت في مكة حيث كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يواجه أذاهم بالصبر في مقابل دعوتهم للإسلام، قبل تشريع الجهاد، فكانت هذه الآية ونحوها تسلية للرسول وحثّاً له على تحمّل الأذى في سبيل الله تعالى، بينما الآية الثانية نزلت بعد فتح مكة أو حينه حيث أسّس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دولة الإسلام وخاض المعارك الجهادية في مواجهة عدوان الكافرين على الكيان الإسلامي الفتي، فكان الأمر بالجهاد والغلظة طبيعياً لردعهم عن الاستمرار في عدوانهم، وكذلك بالنسبة للمنافقين حيث كانوا يمثلون الطابور الخامس الذي يزرع الفتنة وعدم الاستقرار داخل البنية الإسلامية،

---

(١) سورة الأعراف: ١٢.

(٢) مجمع البيان: ٦/ ٥١٦.

(٣) سورة التوبة: ٧٣.

علماً ان المقصود من جهاد المنافقين ليس هو القتال بالسيف وإنّما هو الردع والغلظة في التعامل.

وعلى كل حال فليس هناك تناقض بين مدلولي الآيتين، وانما اختلف الموقف تبعاً لاختلاف الظرف الموضوعي عما كان عليه في مكة قبل الهجرة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾(٨٧).

س ٤٥٣ ـ إذا كان السبع المثاني هي سورة الفاتحة ـ كما تضمنته بعض النصوص ـ فكيف يعطف عليه القرآن، والعطف يعني المغايرة بين المتعاطفين؟

ج ـ كلاّ، بل يجوز العطف بين البعض والكل أيضاً تعبيراً عن الاهتمام ببعض الأفراد من خلال تخصيصها بالذكر.

﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٨٨).

س ٤٥٤ ـ كيف ينسجم الإعجاب بنعمة الله عليهم مع الحزن عليهم؟

ج ـ «أزواج» هنا بمعنى أصناف، في إشارة الى أصحاب النعم الوافرة من الكافرين، حيث نبّه تعالى أنّ توفر هذه النعم عندهم لا يعني قربهم من الله وفوزهم برضوانه ما داموا كافرين، فهو نظير قوله تعالى في سورة طه: **﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾** [1].

---

(١) سورة طه: ١٣١.

وأما قولــه: ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ فالمقصـود منه الحزن على المجتمع الكافـر بشـكل عـام لا خصـوص هذه القلـة فالضمـير في قولـه (عليهم) يعـود على الكافرين لا خصوص أصحاب النعـم الوافرة منهم، باعتبار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ـ بسبب شفقته ـ يحزن على قومه ويتحسّر عليهم بسبب غضـب الله تعالى عليهم وما ينتظرهم من عذابـه، حتى خاطبه ربّه بقولـه: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[1] .

---

(١) سورة فاطر: ٨.

سورة النحل

﴿يُنَـزِّلُ الْمَلآئِكَـةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَـاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾(٢).

س ٤٥٥ ـ ما هو الروح، ولماذا قال هنا: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْـرُّوحِ﴾ وقال في مواطن أخرى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَـةُ صَفًّا﴾[١]، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[٢]؟

ج ـ الـروح الـذي يُعطف عليه الملائكة ـ كما في آيتي المعارج والنبأ ـ هـو جبرئيل أو ملك آخر ـ كما تضمنته بعض النصوص. وأما الروح في آية سـورة النحل فهو الوحي أو أمر النبوة، قيل: سـمي روحـاً، لأنه حياة من موت الكفر، فصار بحياته للناس كالروح الذي يحيا به جسـد الإنسـان[٣].

﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٩).

س ٤٥٦ ـ كيف يكون على الله قصد السبيل؟

---

(١) سورة النبأ: ٣٨.

(٢) سورة المعارج: ٤.

(٣) لسان العرب: ٢/ ٤٦٣.

ج ـ القصد بمعنى الاستقامة، أي على الله بمقتضى لطفه بعباده بيان الطريق المستقيم لهم، وفي مقابل ذلك السبُل والمبادئ الجائرة أي المنحرفة.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢٨).

س ٤٥٧ ـ ما معنى إلقائهم السلَم؟

ج ـ من معاني السلَم الانقياد والاستسلام، فهؤلاء عندما لمسوا ضعفهم تركوا عنادهم وكبرياءهم، وخضعوا للأمر الواقع، فحاولوا التنصّل من سيّئاتهم وكفرهم، بإنكار ذلك كذباً وزوراً.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾(٦١).

س ٤٥٨ ـ كيف يفني كلّ دابة بسبب ظلم الظالمين مع أن مقتضى العدل أن يقتصر العذاب عليهم؟

ج ـ حيث إن كلّ الناس ـ ما عدا المعصومين ـ مذنبون مع ربّهم، فهم يستحقّون عذابه، إلاّ أنّ رحمته تعالى وسِعَتهم، فأمهلهم لكي يتوبوا ويستقيموا، وأما غير المكلّفين من الدواب فقد خُلقت لأجل الإنسان، كما قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾**[1] فيكون فناؤها تبعاً لفناء مَن خُلقت من أجله، وليس انتقاماً منها.

---

(١) سورة البقرة: ٢٩.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾(٦٦).

س ٤٥٩ ـ لماذا قال: ﴿فِي بُطُونِهِ﴾ مع أن مرجع الضمير ﴿الأَنْعَامِ﴾ جمع لغير العاقل فيفترض أن يكون مؤنّثاً مجازياً؟

ج ـ ذكر النحاة أن جمع التكسير يمكن اعتباره مذكراً بإرادة «الجمع»، ويمكن اعتباره مؤنثاً بإرادة «الجماعة»، فيصح أن يقال: جاءت النساء، وجاء النساء.

وهناك توجيه آخر لتذكير الضمير في: ﴿بُطُونِهِ﴾ وهو أن المقصود من «الأنعام» الجنس والطبيعة، فالضمير يعود على جنسها، لا أفرادها، فلذلك جاء مذكّراً لا مؤنّثاً.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ...﴾(٧٧).

س ٤٦٠ ـ كيف يكون أمر الساعة أقرب من لمح البصر؟

ج ـ بسبب سعة قدرة الله تعالى، فهو لا يحتاج إلى توفر ظروف وتهيئة مقدّمات، بل: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1].

---

(١) سورة يس: ٨٢.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾(١٠٣).

س ٤٦١ ـ اختلاف اللسان لا ينفي ادعاءهم، إذ يمكن أن يعلّمه المضمون فيصوغها محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ بزعمهم ـ صياغة عربية؟

ج ـ كلاّ، لأنّ من أهم ما انبهر به المشركون العرب وتحدّاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو بلاغة القرآن العربية وفصاحته المتميّزة التي يعجز عنها البلغاء العرب، والكاشفة عن كونه من الله تعالى، لا من غيره.

﴿... فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١١٥).

س ٤٦١ ـ المضطر المذكور ـ غير الباغي ولا المعتدي ـ ليس مذنباً في أكله الميتة فلماذا يحتاج للمغفرة؟

ج ـ ليس المقصود بيان كون المضطر المذكور مذنباً، بل حيث إنّ الله تعالى يغفر ذنوب عباده ويغضّ عنها رحمةً بهم، فهو ـ بطريق أولى ـ يراعي ظروفهم ولا يفرض على المضطر المذكور تجنّب الميتة رحمةً به، بل يجوّز له سدَّ رمقه ورفع ضرورته. فمن خلال رحمته وغفرانه لذنوب العاصين يعرف سماحه تعالى للمضطرّ ـ غير الباغي والعادي ـ بسدّ رمقه من الميتة.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١١٩).

س ٤٦٣ ـ إذا كان عملهم للسوء بسبب جهلهم فلا يكون معصية، فكيف احتاجوا إلى توبة ومغفرة؟

ج ـ الجهالة هنا في مقابل الحكمة لا في مقابل العلم، فهؤلاء غلبهم هواهم فعملوا السوء من دون إصرار ثم عادوا إلى رشدهم، فتابوا وأصلحوا. ونظير ذلك ما جاء في حديث الإفك: (ولكن اجتهلته الحميّة)[١] أي حملته العصبية على الجهل أي الحمق.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١٢٠).

س ٤٦٤ ـ ما معنى أن يكون ابراهيم أُمّة؟

ج ـ قال أبو عبيدة: كان أُمّة أي إماماً[٢]. ولعلّه إشارة إلى قوله تعالى ـ لإبراهيم ـ: **﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾**[٣] .

وقيل: الأُمة: الرجل الذي لا نظير له، وكلّ من كان على دين الحق مخالفاً لسائر الأديان، فهو أُمة وحده، وكان إبراهيم خليل الرحمن ـ على نبينا وعليه السلام ـ أُمّة[٤].

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ (١٢٥)

س ٤٦٥ ـ كيف ينسجم الأمر بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة في هذه الآية وقريب منها الآيات التي نفت الإكراه في الدين مثل

---

(١) لسان العرب: ١١/ ١٢٩.

(٢) لسان العرب: ١٢/ ٢٧.

(٣) سورة البقرة: ١٢٤.

(٤) يراجع لسان العرب: ١٢/ ٢٧.

قولــه تعـالى: ﴿لا إِكْـرَاهَ فِي الدِّيـنِ ... ﴾[١]. مع الآيـات التي تأمر بتحريـض المؤمنين على القتال، والأمـر بقتـال الكافريـن مثـل قولـه تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَـا النَّبِيُّ حَـرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَـالِ... ﴾[٢]. و﴿وَقَاتِلُوهُـمْ حَتَّـى لا تَكُونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّـهُ لِلَّهِ ... ﴾[٣] و﴿قَاتِلُوا ... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٤] و﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ ... وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾[٥]؟

ج ـ قبل أن نتحدث عن الآيات الوارد في السؤال نرتأي أن نمرّ سريعاً على سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع أعدائه من المشركين وأهل الكتاب منذ بداية الرسالة الإسلامية، حيث نجده صلى الله عليه وآله وسلم قد اعتمد المنطق والحوار في دعوة الناس للإسـلام والإيـمان بالله، وبرغم العنف والإرهـاب الذي واجهه به المشركـون إلاّ انـه صلى الله عليه وآله وسلم لم يعاملهم بالمثل فلم يعتمد أسـلوب التنظيمات السرية المسـلحة مثلاً، بل دعا أصحابه إلى الصمود وتحمّل قساوة التعذيب والعدوان حتى ضرب المسلمون الأوائل الأمثلة الرائعة في الصبر والصمود في سـبيل العقيـدة، فنرى الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم عندما يمرّ بمشـاهد التعذيب القـاسي الـذي يعانيه الصحابي الجليل ياسر وزوجته سـمية وولدهما عمّار، لا يزيـد عـلى قولـه صلى الله عليه وآله وسلم :(صبراً آل ياسر إنّ موعدكـم الجنّة)، وكذلك

---

(١) سورة البقرة:٢٥٦.

(٢) سورة الأنفال:٦٥.

(٣)سورة الأنفال:٣٩.

(٤) سورة التوبة:٢٩.

(٥) سورة النساء:٨٤.

بالنسبة لباقي أصحابه الذين كانوا يعانون من ضغوط المشركين وبطشهم.

واستمر الوضع الرهيب يخيّم على أوساط المسلمين حتى هاجر بعضهم الى الحبشة، وتمادى المشركون فكانت محاولتهم ـ الفاشلة ـ في إرجاع المهاجرين الى قبضتهم... وبعدها كانت الهجرة العامة الى المدينة المنوّرة فجوبهوا بمصادرة أموالهم وممتلكاتهم في مكة، وملاحقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه خلال مسيرة الهجرة بهدف قتلهم وإبادتهم.

وعندما حاول المسلمون استرجاع جزء من حقوقهم من قافلة أبي سفيان التجارية تجهّز المشركون للحرب بهدف القضاء على المسلمين ـ رغم علمهم بسلامة القافلة من سيطرة المسلمين ـ فخاض المسلمون الأوائل اوّل حرب دفاعية في (بدر)، وتلتها معارك مصيرية اخرى كان موقف المسلمين فيها كلها دفاعياً، كما تشهد بذلك مواقع المعارك الجغرافية وأنها جميعاً في أطراف المدينة لا اطراف مكة.

واستمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مساعيه لتجنب الحرب والعنف حتى عندما تجاوز المشركون الخط الأحمر في التعامل مع القبائل والجماعات المناوئة عندما منعوا الرسول والمسلمين من أداء مراسم العمرة، متجاوزين كل الأعراف السائدة في الجزيرة العربية التي تحظر ـ في كل الأحوال والظروف ـ منع حجاج البيت الحرام وتهديدهم وقتالهم(١)، فتنازل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن حقّه في زيارة البيت الحرام واستعد للرجوع مع الكم الهائل من المسلمين إلى المدينة المنوّرة رغم انّهم وصلوا إلى أطراف مكة.

وتم الاتفاق بين الطرفين على صلح الحديبيّة، وتحمّل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) ذكر المؤرخون ان قريشاً بعثوا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الحديبية الحليس بن علقمة او ابن زبان وكان سيد الأحابيش ـ وهم حلفاء قريش ـ ليحاوره ويمنعه من دخول مكة، ⟸

تبعات وآثار الصلح خصوصاً فيما يرتبط بالبند الذي ينصّ على انّ "من أتى محمداً من قريش بدون اذن وليّه ردّه عليهم ومن جاء قريشاً من أتباع محمد لم يردّوه عليه" حيث واجه الرسول احتجاجاً عنيفاً من بعض الصحابة ـ الذين جهلوا حكمة هذا البند ـ ومع كل ذلك التزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببنود الصلح ليؤكد حرصه على السلام ونبذ الحرب، ومرت الأيام القليلة واذا بالمشركين ينقضون معاهدة الصلح ويغدرون بقبيلة (خزاعة) احلاف المسلمين...

ورغم المواقف العدائية والركام الهائل لعدوان المشركين لم ينتقم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منهم وهو في اوج قوّته وهم في منتهى ضعفهم عند فتح (مكة)، بل اوصى المسلمين بعدم سفك الدماء، وخاطب أعداءه بكلمته الخالدة: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

وأما موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب فكان هو اعتماد منطق الحوار الهادئ والحكمة امتثالاً لقوله تعالى ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ...﴾ حتى انه عقد معاهدة الدفاع المشترك مع الجماعات اليهودية التي كانت متواجدة في المدينة، الاّ ان اليهود واجهوا النبي وأصحابه بمواقف الغدر والطعن من الخلف في احلك الظروف الحرجة التي مرّت بهم، واستمرت كل طائفة

⇐ فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه. فلما رأى الهدي وعرف علامته رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إعظاماً لما رأى. فقال: يا معشر قريش إنّي قد رأيت ما لا يحل، صدّ الهدي في قلائده قد أكل اوباره من طول الحبس عن محلّه. قالوا له: اجلس فإنّما أنت أعرابي لا علم لك، فغضب الحليس وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أن تصدّوا عن بيت الله من جاء معظّماً له، والذي نفس الحليس بيده لتُخلّنَّ بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد. فقالوا له: مه كفّ عنّا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به. يراجع الطبري ٢/ ٢٧٦.

منهم تتحيّن الفرصة تلو الفرصة للتحالف السري مع المشركين والغدر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فاضطر صلى الله عليه وآله وسلم للتخلّص منهم، ورغم غدرهم ومواقفهم المشينة لم يستخدم العنف مع كثير منهم.

وكان للرسول صلى الله عليه وآله وسلم موقف مماثل مع الكافرين خارج الجزيرة العربية حيث كانت دعوته لهم للدخول في الإسلام سلمية من خلال الرسائل التي أرسلها للملوك والرؤساء آنذاك، لكن بعض هؤلاء ـ مثل كسرى والحارث الغساني ـ واجهوا هذا الموقف السلمي بالتحدّي والاستخفاف حتى قتل بعضهم رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم.

بعد هذه اللمحة الموجزة عن سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومواقفه السلمية مع أعدائه ومناوئيه من المشركين وأهل الكتاب نعود إلى الحديث حول الآيات الواردة في السؤال فنقول...

ليس هناك مناقضة بين الآيات من القسمين المذكورين في السؤال لأن القسم الأول منها يتحدث عن ان الإيمان الحقيقي يكون عن عقيدة وإرادة من صاحبه، ولا يتحقق بالحث والإكراه النفسي عليه بسبب الرغبة والحرص في هدايتهم الذي عرف به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما تشير بعض هذه الآيات إلى مدى حرص النبي على إيمان الناس وإخراجهم من ظلمات الجهل والشرك ﴿**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾[١].

وأمّا القسم الثاني من الآيات..

أ) فالآية الأولى ﴿**حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ**﴾[٢] تدعو إلى حث المسلمين على التهيّؤ والاستعداد للجهاد في مواجهة أعداء الإسلام، ولا

---

(١) سورة فاطر: ٨.

(٢) سورة الأنفال: ٦٥.

ترتبط باكراه غير المسلمين على الدخول في الاسلام.

ب) والآية الثانية ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ﴾ [١] نزلت بعد فتح مكة ونقض العهد من جانب المشركين، فكانوا هم السبب في انتهاك حرمة انفسهم.

ج) وأمّا الآية الثالثة ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ...﴾ [٢] فهي تتحدث عن التزامات أهل الكتاب المالية في الدولة الإسلامية التي توفّر لهم الأمن وحريّة المعتقد والعبادة والأنشطة الاقتصادية المتنوعة، حتى أنهم أُعفوا من واجب الجهاد في مواجهة العدوان الذي يواجه البلاد وفرض على المسلمين تحمّله عنهم.

د) وأمّا الآية الرابعة و﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ ... وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾[٣] فهي تتحدث عن تحريض المسلمين على الجهاد لدفع عدوان الكافرين عليهم، وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان لما رجع إلى مكة يوم (أحد) واعد رسول الله موسم بدر الصغرى، فتثاقل المسلمون عن تلبية نداء الجهاد فنزلت هذه الآية تدعو النبي إلى حثّ المؤمنين وتحريضهم على الجهاد الدفاعي كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤] فهذه الآية لا ترتبط بقضية الإكراه على الإسلام، خلافاً لما جاء في السؤال.

---

(١) سورة الأنفال:٣٩.

(٢) سورة التوبة:٢٩.

(٣) سورة النساء:٨٤.

(٤) سورة النساء: ٨٤.

سورة الإسراء

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(١).

س ٤٦٦ ـ لماذا قال: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾؟

ج ـ لأن تلك البقاع التي تحيط ببيت المقدس مقرّ الأنبياء وآثارهم.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ... وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾(٤ - ٧).

س ٤٦٧ ـ ما هما الوعدان اللذان تشير اليهما هذه الآيات الكريمة؟

ج ـ اختلف المفسّرون في تحديدهما على عدّة أقوال:

منها: انه إشارة إلى بختنصر وملك فارس.

ومنها: ان الأولى إشارة إلى بختصّر والثانية إشارة إلى الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه.

﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾(١١).

س ٤٦٨ ـ كيف يدعو الإنسان باستعجال الشرّ مع أنه بطبيعته يتجنّبه ولا يريده؟

ج ـ لعلّه إشارة إلى استعجال الكافرين لعذاب الله تعالى أو ليوم القيامة، تعنّتاً وتحدياً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما أشار إليه القرآن مراراً، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءهُمُ الْعَذَابُ﴾[1].

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾(١٣).

س ٤٦٩ ـ ما هو الطائر الذي في عنق الإنسان؟

ج ـ قال الطبرسي: (معناه وألزمنا كلّ إنسان عمله من خير أو شر في عنقه ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ـ يريد جعلناه كالطوق في عنقه فلا يفارقه. وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم: «جرى طائره بكذا».

ومثله قوله سبحانه: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهُ﴾[3] ...)[4].

---

(١) سورة العنكبوت: ٥٣.

(٢) سورة يس: ١٩.

(٣) سورة الاعراف: ١٣١.

(٤) مجمع البيان: ٦/ ٦٢٢.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾(١٦).

س ٤٧٠ ـ كيف يأمر الله تعالى بالفسق؟ وكيف يعاقب عليه بعد ذلك؟

ج ـ لم تتضمن الآية الكريمة أن المأمور به هو الفسق، بل المأمور به هو الطاعات إلاّ أن هؤلاء لم يفعلوها ففسقوا وعصوا.

ولو فرضنا أنّ المتعلَّق المحذوف للأمر هو الفسق فهو من باب المجاز باعتبار أنه تعالى هيّأ لهم أسباب ذلك كالترف والنعم المتتالية التي لم يحسنوا التعامل معها، فيكون نظير نسبة الإضلال والهداية إليه تعالى في عدّة آيات، من دون أن يعني ذلك أنه يجبر الناس على ذلك.

س ٤٧١ ـ إذا كان الفاسقون هم المترفين فلما يعذّب الجميع، مع أنه تعالى قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾؟

ج ـ إن الفسق لم يقتصر على المترفين، وإنما نّص عليهم باعتبار أنّهم هم السبب في إفساد المجتمع، بسبب تأثيرهم الاجتماعي الفاعل، بينما الفقراء ليس لهم ذلك التأثير الاجتماعي.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾(٤٢).

س ٤٧٢ ـ لرُبّ قائل يقول إنّ الإلهة تتفق فيما بينها في خلق الكون وإدارته دفعاً للتنازع والفساد؟

ج ـ إن الذي يحتاج إلى الاتفاق مع الآخرين هو المخلوق المحدود في قدراته وسلطانه، والمفروض في الإله استغناؤه المطلق بذاته ولا حدّ لقدرته وسلطانه، فالحاجة الى الاتفاق والمساومة مع الآخرين دليل نفي الألوهيّة.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى...﴾(٤٧).

س ٤٧٣ ـ ما معنى ما يستمعون به؟

ج ـ كأنه يشير الى الغاية والهدف من استماعهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الوقيعة والمؤامرة يعني نحن نعلم هدفهم الذي يستمعون بسببه أي من أجله.

﴿... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ...﴾(٦٠).

س ٤٧٤ ـ ما هي الرؤيا وما هي الشجرة الملعونة في القرآن؟

ج ـ قيل: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى شجرة الزقّوم التي أشار إليها القرآن بقوله تعالى: **﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾**(١)، وقوله تعالى: **﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾**(٢)، حيث تضمن القرآن ذمّها وذمّ آكليها.

وتضمنت بعض النصوص من الفريقين أن الشجرة الملعونة كناية عن بني أمية وحكمهم الظالم، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى ولد مروان بن

(١) سورة الدخان: ٤٣ - ٤٦.

(٢) سورة الصافات: ٦٢ - ٦٣.

الحكم ينزون على منبره كالقرود، فاغتمّ لذلك وما رؤي ضاحكاً إلى أن مات، وانّ الآية نزلت في هذه المناسبة(١).

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾(٦٥).

س ٤٧٥ ـ كيف نفى سلطان الشيطان على عباده مع أن الغاوين عباده أيضاً ولذلك استثناهم في سورة الحجر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾(٢) ؟

ج ـ لعلّ الفارق بين الموردين أنه اعتمد هنا على قرينة ما سبق قبل ثلاث آيات حيث استثنى من عباده مَن تبع الشيطان: **﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا﴾**(٣) بينما في سورة الحجر لم يتقدّم على الآية المذكورة ما يوضّح طبيعة المستثنى بالضبط، إذ الذي تقدّم على تلك الآية حكاية قول ابليس: **﴿... وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾**(٤)، فلو لم ينصّ على المستثنى لتوُهّم أن الناجين خصوص العباد المخلَصين، ولا يشمل غيرَهم كالمستضعفين الذين قد تشملهم رحمة الله تعالى لعدم اتباعهم لإبليس. والله العالم. وننوّه هنا أن السلطان بمعنى السيطرة التكوينية لابليس منتفية بالنسبة للصالحين والطالحين على السواء، إلاّ أن الطالحين يطيعونه بسوء إختيارهم.

---

(١) يراجع الكشاف: ٢/ ٦٧٦. والتفسير الكبير: ٢٠/ ٢٣٧.

(٢) سورة الحجر: ٤٢.

(٣) سورة الإسراء: ٦٣.

(٤) سورة الحجر: ٣٩، ٤٠.

﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾(٦٩).

س ٤٧٦ ـ ما هو التبيع؟

ج ـ الـذي يتابع ويطالب بهم. قال الزمخشري: (التبيع: المطالِب، من قولـه: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي مطالبة، يقال: فـلان على فلان تبيع بحقّه أي مصيطِر عليه مطالِب له بحقه. والمعنى: انّا نفعل ما نفعل بهم، ثمّ لا تجد أحـداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منّا ودركاً للثأر من جهتنا. وهذا نحو قولـه: ﴿وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾)[1].

﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾(٧٢).

س ٤٧٧ ـ كيف يكون في الآخرة أعمى والحقائق هنـاك تتضـح للجميـع وتـزول الحُجب كـما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2]؟

ج ـ لا شـك أنـه ليس المراد مـن الأعمى في الدنيا فاقـد البصر، وإنما يراد منه فاقد البصيرة والمنحرف، باعتبار اشتراكه مع فاقد البصر في إضاعة الطريـق وحرمانه من بلوغ سـعادته. وبهـذا الاعتبار اُطلـق على المنحرفين والكافرين في الآخرة الذين أضاعوا حظّهم وسعادتهم وخسروا أنفسهم.

بل إطلاقه على هؤلاء أولى لأن الإيمان والاسـتقامة في الدنيا وسـيلة للسـعادة الأخروية، وليسا هدفاً، بينما سعادة الآخرة هي الهدف، فضياعها

(١) الكشاف: ٢/ ٦٨٠.

(٢) سورة ق: ٢٢.

ـ من جانب الفاسقين ـ أولى باطلاق العمى، وبتعبير آخر أنه إذا كان من أضاع ـ في الدنيا ـ الوسيلة إلى السعادة والرضوان أعمى فاطلاق العمى على من أضاع ـ في الآخرة ـ نفس السعادة والرضوان الإلهي أولى، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾(٧٣-٧٤).

س ٤٧٨ ـ ألا يعني ذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد عزم على الافتراء على الله تعالى؟

ج ـ ليس في الآيتين ما يشير إلى العزم المزعوم، وإنّما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ لفرط شفقته على الناس ورغبته في هديتهم وإيمانهم ـ يلين معهم، وعندما طلب منه بعضهم إمهال أصنامهم أو الكف عن تسفيهها أو نحو ذلك ـ على اختلاف الروايات ـ ربما خطر في نفسه أن يستجيب لهم رغبةً في جذبهم للإسلام من دون أن يعزم عليه، ولما وجد عدم انسجام طلبهم مع مسؤوليته التي يتحمّلها أعرض عنه، وذلك كما تلوح في نفس الإنسان عدّة خيارات قبل أن يصممّ على أحدها.

والتثبيت والتسديد الإلهي لا يعني تصميم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعزمه على المخالفة، وإنّما هو اللطف الإلهي الذي يشمل عباده المخلصين ـ كلاً حسب مقامه ومرتبته ـ كما قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[1].

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(٧٨).

س ٤٧٩ ـ لماذا خصّ قرآن الفجر أي صلاة الفجر بذلـك، مع أن باقي الصلوات اليومية الأربع التي تحدثت عنها الآية مشهودة أيضاً؟

ج ـ تضمنّت النصوص الـواردة عـن النبـي صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيتـه أن صلاة الفجر تشـهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، ولذلك وُصفت بأنها مشهودة[1]. وفي بعض النصوص أن ذلك يختص بأول طلوع الفجر، ففي الحديث عن اسحاق بن عمّار، قال: قلت لأبي عبد الله ـ الصادق ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «أخـبرني عن أفضل المواقيت في صلاح الفجـر. قال: مع طلوع الفجر، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يعني صلاة الفجر تشهده ملائكـة الليـل وملائكة النهـار، فإذا صـلّى العبد صلاة الصبـح مع طلوع الفجر أُثبت له مرتين، تثبته ملائكة الليل وملائكة النهار[2].

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً﴾(٩٢).

س ٤٨٠ ـ إذا كان النبـي صلى الله عليه وآله وسلم قـد وعدهـم بإسقاط السماء كسفاً فكيف يُخلف وعده؟

ج ـ إنـما أخبر عن حدوثها ضمن أشراط السـاعة ويـوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّـمَاء انفَطَرَتْ﴾[3] و﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا

(١) الجامع الصحيح: ٣/ ٢٥٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٣/ ١٥٤، حديث: ١.

(٣) سورة الانفطار: ١.

وَحُقَّتْ﴾[١] وهؤلاء استعجلوا بها على خلاف ما وعدهم.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً﴾(٩٥).

س ٤٨١ ـ لماذا لا يصلح الملك رسولاً للبشر؟

ج ـ حيث كان الهدف من بعثة الأنبياء هداية البشرية وإصلاح شؤونهم وأن يكون مناراً لهم وقدوة، كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾**[٢]، فإذا كان الرسول مخالفاً لهم في طبيعته فلا تقوم به الحجة عليهم، ولا يهتدون به، بل يرتابون في أمره ولا يقتدون به، خاصّة إذا كان ملَكاً فاقداً للهوى والشهوة بطبيعته ـ كما هو المعروف ـ بعكس ما إذا كان مشاركاً لهم في طبيعتهم ويعيش بينهم ويصيبه ما يصيبهم.

نعم، من الموارد التي لا يكون الملَك قدوة للمرسل إليه يمكن أن يحمل الرسالة الإلهية ولذلك يرسل الله تعالى الملَك رسولاً إلى أنبيائه، ولا يُرسلهم إلى المجتمع البشري لإصلاحه وإقامة الحجة عليه، لأنّ دور الملَك المرسَل إلى النبي مجرّد إبلاغ رسالته وتعاليمها بخلاف دور الأنبياء في أممهم، فأنهم قدوة لهم. والله العالم.

س ٤٨٢ ـ إذا كان يفترض في الرسول أن يكون من جنس من يُرسل إليه فكيف صحّ أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم هادياً للجنّ، كما أشارت إليه آيات من سورة الجن وبعض النصوص؟

---

(١) سورة الانشقاق: ١ ـ ٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

ج ـ انّ الجنّ يشاركون الإنس في الهوى والشهوة والطاعة والمعصية، ومع ذلك قد يكون دور النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين الإنس أقوى من دوره بينهم ـ كما يبدو ـ حيث لا تشير الآيات والنصوص إلى الارتباط الوثيق والدور الفاعل له صلى الله عليه وآله وسلم بين الجن، كما هو بين الإنس، حيث الجهاد والتضحيات والتعاليم الإسلامية المفصّلة، ولعلّ شمول رسالته صلى الله عليه وآله وسلم للجن، لعدم وجود من هو مؤهل منهم لحمل الرسالة الإلهية الخاتمة لأبناء نوعه. والله العالم.

س ٤٨٣ ـ لماذا قال: ﴿يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ وهل الملائكة وَجلون في الأرض؟

ج ـ الطمأنينة هنا بمعنى السكون والاستقرار. قال الزجاج: معناه مستوطنين في الأرض[1]، وليست هي بمعنى الأمن، في مقابل الوجل والخوف.

﴿... وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا...﴾(٩٧).

س ٤٨٤ ـ كيف يكونون كذلك وقد تحدث القرآن أنهم يبصرون ما حولهم ويتكلّمون ويسمعون الكلام؟

ج ـ أشرنا قبل قليل إلى إضاعتهم حظّهم وخسرانهم سعادتهم وعدم انتفاعهم بأعضائهم وملكاتهم مثل الصمّ والبكم والعمي.

وربّما يكون ذلك أيضاً إشارة إلى مدى الهلع والارتباك الذي ينتابهم بسبب شدّة عذابهم.

---

(١) لسان العرب: ١٣/ ٢٦٨.

سورة الكهف

﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾(٣).

س ٤٨٥ ـ ما هو مرجع الضمير في قولـه: ﴿فِيهِ﴾.

ج ـ هو الأجر المتقدم، أي يتنعّمون في ذلك الأجر أبداً.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾(٩).

س٤٨٦ ـ ألا توحي هذه الآية نفي العجب من قضية أصحاب الكهف مع أنّهـا مدعاة للتّعجب فعلاً؟

ج ـ قال الطبرسي: فلخلق السموات والأرض أعجب من هذا ـ عن مجاهد وقتادة ـ، ويحتمل أنه لما استبطأ الجواب حين سألوه عن القصة قيل له: أحسبتَ أنّ هذا الشيء عجيب، حرصاً على إيمانهم حتى قوي طمعك أنك إذا أخبرتهم به آمنوا[1].

﴿...لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ...﴾(٢٦).

س ٤٨٧ ـ ما معنى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِع﴾؟

(١) مجمع البيان: ٦/ ٦٩٧.

ج ـ هذه من الصيغ العربية للتعجب، والمعنى ما أبصرَه وأسمعَه!

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا...﴾(٣٣).

س ٤٨٨ ـ كيف يتصوّر الظلم هنا حتى ينفيه؟

ج ـ الظلم هنا بمعنى النقصان، أي لم تنقص منه شيئاً.

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾(٤٨).

س ٤٨٩ ـ كيف يكون مجيئهم كما خُلقوا في الدنيا؟

ج ـ يُحشر كلّ إنسان وحده مجرّداً من الأعوان والأموال وغيرها. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاةً عراةً غُرلاً[١]»[٢].

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾(٨٢).

س ٤٩٠ ـ كيف لم يلتزم موسى بوعده واعترض على العالم ـ الذي يقال إنه الخضر ـ ولم يصبر؟

ج ـ إن اعتراض موسى صلى الله عليه وآله وسلم كان ضمن الإدراك العام للحكمة والصواب، بينما كان سلوك الرجل العالم منسجماً مع ما اختصّ به من العلم، ولذلك قال: **﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾**.

---

(١) جمع أغرل وهو الأقلف غير المختون.

(٢) مجمع البيان: ٦/ ٧٣٢.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾(١٠١).

س ٤٩١ ـ الذِّكر ليس من شؤون العين حتى تكون في غطاءٍ عنه.

ج ـ هذا التعبير كناية عن العمه وانعدام الوعي والبصيرة، ولذلك امتدّ أثره إلى السمع، فلم يستوعبوا ما يسمعون. فليس الخلل في عضوي البصر والسمع، بل في البصيرة والاستيعاب.

سورة مريم

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾(١٠).

س ٤٩٢ ـ كيف يكون سكوته آية؟

ج ـ باعتبار أن لسانه اعتُقل عن الكلام العادي، ولذلك نُصب الفعل بأن المصدرية بعد (لا) النافية، وقد تقدم توضيحه.[1]

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾(١٣).

س٤٩٣ ـ ما معنى الزكاة هنا؟

ج ـ لعلّ المراد به الطهر ـ كما ان تزكية المال تطهيره ـ أي انّ الله تعالى حباه بالحنان عليه والطهر.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾(١٨).

س ٤٩٤ ـ كيف تقول ذلك مع أن الفاسق هو الذي يتعوَّذ منه؟

ج ـ كلاّ، لأن هذا الخطاب وإظهار التعوّذ بالرحمن إنما يجدي بالنسبة لمن

---

(١) يراجع ص ٩١ ـ ٩٢.

يتقي الله ويخشاه إذا خيف منه، كما حصل بالنسبة لمريم حيث كان هدفها ردع المخاطب عمّا تخشاه منه، أما الذي لا يتقي الله فلا يرتدع بالتعوّذ بالله تعالى.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾(٢٦).

س ٤٩٥ ـ لماذا دعاها إلى صوم الصمت؟

ج ـ لعلّ الحكمة في ذلك أن تتجنب الجدال مع الناس ويتكفّل عيسى عليه السلام محاورتهم والردّ عليهم، فيظهر الاعجاز الإلهي وتثبت براءتها ـ كما حصل ذلك بالفعل ـ.

س ٤٩٦ ـ إذا كانت صائمة بصوم الصمت فكيف تحدثهم بذلك؟

ج ـ لعلّ المقصود من القول (فقولي) هو البيان والإفهام بأية وسيلة اخرى دون الكلام اللفظي، كما تقول عندما تكتب أمراً لصديقك: قلتُ له كذا، مع أنّك كتبتَ إليه ولم تتلفظ بذلك. ويؤيّد هذا الذي ذكرناه قوله تعالى ـ فيما بعد ـ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [1] فكانت إشارتها قرينة على صومها المذكور، ولذلك لم تقل لهم ذلك لفظاً.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾(٣٤).

س ٤٩٧ ـ ما معنى أن يكون عيسى قول الحق؟

ج ـ المقصود ـ والله العالم ـ أنّ القول الحقّ في عيسى هو ما ذكرناه، كما تقول: إن قصة عيسى وأمره كذا حقاً.

---

(١) سورة مريم: ٢٩.

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا...﴾(٦٢).

س ٤٩٨ ـ كيف يستثني السلام من اللغو مع أنّه ليس من اللغو بل مباين له؟

ج ـ هذا الاستثناء منقطع ـ كما يسميه النحاة ـ حيث لا يندرج المستثنى ضمن المستثنى منه، بل لمّا نفى سماعهم للغّو، فقد يتوهم أن ذلك يكشف عن صمت الملائكة بحيث لا يسمع منهم أهل الجنة أي كلام، لأنّ سماع اللغو مألوف في الحياة الدنيا التي عاشوا فيها من قبل، فنفى هذا التوهّم بأنهم يسمعون السلام الذي هو مباين للّغو، ويكون بشرى لهم حيث تستقبلهم الملائكة بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[1].

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(٧١-٧٢).

س ٤٩٩ ـ هل يعني ذلك ورود المؤمنين والأئمة والأنبياء إلى النار؟

ج ـ هناك اختلاف بين المفسّرين في معنى الورود وكيفيته، ففسّره بعضهم بالإشراف على النار، بينما حمله آخرون على الجواز على الصراط، وأن الناس يتفاوتون في العبور وفي سرعته. وقد يستثني البعضُ المعصومين عليهم السلام من ذلك.

---

(١) سورة الزمر: ٧٣.

سورة طه

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(٥).

س ٥٠٠ـ بما أن الرحمن منزّه عن أن يكون جسماً فكيف يستوي على العرش؟

ج ـ لقد تقدم في الآية (٢٩) من سورة الأعراف أنّ العرش عالم الإيجاد، والاستواء هو السيطرة والاستيلاء.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾(١٥).

س ٥٠١ـ لماذا قال: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ مع أنه قد أخفاها بالفعل كما قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾[1] ؟

ج ـ قيل أي اريد أن اخفيها. ولعلّ التعبير بـ(أكاد) إنما صحّ باعتبار أن هناك أشراطاً وعلامات على قرب حلول الساعة تظهر لمصالح خاصة في اظهارها. فقوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ للإشارة إلى ذلك، وأنه لولا المصالح المذكورة لكانت الساعة مخفية تماماً، مفاجئة من دون تلك العلامات والأشراط.

(١) سورة الأعراف: ١٨٧.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾(٢٢).

س ٥٠٢ ـ لماذا قال: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ ؟

ج ـ حيث كان المألوف أن يكون البياض غير المتعارف بسبب مرض معيّن كالبهق والبرص، فأراد أن يطمئنه أن البياض ناصع وليس من ذلك النوع المَرَضي.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(٢٧ ـ ٢٨).

س ٥٠٣ ـ لماذا طلب ذلك؟ وما هي العقدة في لسانه؟

ج ـ قيل: انه كان في لسانه رُتّة لا يفصح بسببها بالحروف، وروي أن سبب ذلك جمرة طرحها في لسانه عندما كان صغيراً في بيت فرعون، وذلك لّما أراد فرعون قتله، لأنّه أخذ بلحية فرعون ونتفها وهو طفل. فقالت آسية بنت مزاحم لفرعون: لا تفعل فانه صبي لا يعقل، ولا يميّز بين الدُّرة والجمرة، فأمر فرعون فأُحضرت دُرّة وجمرة بين يديه، فأراد موسى أن يأخذ الدّرة، فصرف جبرئيل يده إلى الجمرة فأخذها ووضعها في فيه، فاكتوى لسانه بها، فأصابته الرُتّة، وقد رفعها الله تعالى بعد دعائه هذا[1].

﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾(٣٢).

س ٥٠٤ ـ هل شارك هارون موسى في النبوة بمعنى أنه صار نبياً مثله؟

ج ـ نعم، فقد جعله الله تعالى نبيّاً إلى جنب موسى عليه السلام وفي حياته،

---

(١) يراجع مجمع البيان: ٧/ ١٥.

كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّك...﴾[1]، ولذلك استثنى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم النبوة في حديث المنزلة الوارد في حق الإمام علي عليه السلام حيث قال له: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه ليس نبيّ بعدي»[2].

﴿قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾(٤٥).

س ٥٠٥ ـ كيف لا ينفّذان الأمر الإلهي أو يتردّدان فيه خوفاً من القتل أو طغيان فرعون؟

ج ـ كلاّ، ليس هو من باب الامتناع عن التنفيذ ولا التردّد فيه، والمقصود هو توقّع عدم إمكانية تحقيق وتنفيذ المهمة الموكلة إليهما بإصلاح فرعون، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾لما يعرفان من طغيانه وكبريائه، ولذلك لم يردّ الباري عليهما ولم يعنّفهما، بل أشار إلى أنّ هناك مهمّة أخرى وراء ذلك، وهي تخليص بني اسرائيل من فرعون: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ...﴾.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(٥٠).

س ٥٠٦ ـ ما معنى إعطاء الأشياء خلقها؟

ج ـ المقصود ايجادها وتكوينها، وأنه تعالى قد وفّر لها الطبيعة أو الغريزة وحدها ـ بالنسبة لغير العقلاء أو مع العقل لنموّها وصلاح شأنها.

---

(١) سورة طه: ٤٧.

(٢) الجامع الصحيح للبخاري: ٣/ ١٧٦. حديث: ٤٤١٦.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾(٥١ - ٥٢).

س ٥٠٧ ـ لماذا سأل فرعون عن الأمم الماضية؟

ج ـ يبدو أن فرعون بعد أن فوجئ بالدعوة إلى عبادة الله تعالى، أراد أن يعرف مصير الذي لا يستجيب لذلك، وأنه هل يُترك وشأنَه أو يحاسبُه الله ويعاقبُه عليه فسأل عن الأمم الماضية التي ماتت على كفرها. فأجابه موسى بأنّ الله لم يهمل شأنهم، بل ثبّت مواقفهم في اللوح المحفوظ، وفي ذلك إشارة إلى حسابهم، لأن تثبيت المواقف السيئة وحفظَها ليس عبثاً، وإنما ليترتب الثواب والعقاب على ضوء ذلك.

﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾(٦٣).

س ٥٠٨ ـ لماذا لم ينصب اسم (إنْ) فيقول: إنّ هذين لساحران، وليس: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ الذي قد يبدو غلطاً؟

ج ـ أولاً: ان هذا ليس غلطاً، بل قد يكون جرياً على لغة (كنانة) الذين يثبتون ألف المثنى في كل الأحوال فيقولون إنّ الرجلان نائمان قال بعض شعرائهم:

واهاً لريّا ثم واهاً واها   يا ليت عيناها لنا وفاها

وموضع الخال من رجلاها   بثمن نعطي به أباها

إنّ أباها وأبا أباها   قد بلغا في المجد غايتاها

فلم يقل: عينيها، فيها، رجليها، أبيها، وغايتيها.

وقال آخر:

تزوّد منّا بين اذناه طعنةً دعته الى هابي التراب عقيم

فلم يقل: أذنيه.

وقال آخر:

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لناباه الشجاعُ لصمّا

فلم يقل: لنابيه. علماً أن الآيات القرآنية لم يقتصر تنزيلها على لغة قريش.

وثانياً: ان هناك قراءات اخرى للآية، فقد قرأ ابو عمرو «انّ هذين» وقرأ ابن كثير وحفص «أنْ هذان» فالاشكال المزعوم إنما هو على القراءة المعيّنة لا على القرآن نفسه.

﴿... فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ...﴾(٧١).

س ٥٠٩ ـ ما معنى: ﴿مِنْ خِلَافٍ...﴾؟

ج ـ هو أن تكون اليد المقطوعة مخالفة للرجل المقطوعة، كأن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، وهو أبلغ في التنكيل، لما فيه من المثلة والتشويه.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾(٨٣ - ٨٤).

س ٥١٠ ـ كيف استعجل موسى؟

ج ـ قيل: انّ الله جعل ميعاد موسى وقومه أو الصفوة من قومه جانب الطور الأيمن ليُنزّل عليه الألواح والشريعة، فسبق موسى قومه للميعاد ليناجي ربه، ولعلّه للتمهيد إلى جلبهم للميقات، فأخبره الله تعالى بالفتنة التي عصفت بهم في غيابه.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾(٨٧).

س ٥١١ ـ كيف وجّهوا عذرهم بذلك، وتغيير العقيدة أمر تابع لاختيار الإنسان ولا يجبر عليه؟

ج ـ كأنّ عذرهم أن هذا الانحراف والكفر لم يكن مقصوداً لهم من أول الأمر، وإنما كان بسبب الفتنة التي داهمتهم فأفقدتهم صوابهم وسيطرت على عقولهم.

ويلاحظ التعبير الرائع عن حلّي القوم بالأوزار ـ بمعنى الأثقال ـ، باعتبار ما آلت إليه، حيث صارت سبباً لضلالة بني اسرائيل وإثقال كاهلهم بالمعاصي، وبالعقوبات الإلهية لهم في الدنيا من التيه في الصحراء وأمرهم بقتال بعضهم بعضاً. كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١]، بالإضافة إلى ما يوحيه لفظ «الأوزار» من كثرتها وثقلها المادي أيضاً.

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ...﴾(٩٧).

س ٥١٢ ـ ما معنى: ﴿لا مِسَاسَ﴾؟

ج ـ قيل انّ الله تعالى ابتلاه بالتحسّس الجسدي ـ فيثيره أي تماس مع غيره ـ أو النفسي من الناس ممّا أدى إلى عزلته عنهم حتى هام في البراري وتوحّش.

﴿... وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾(١٠٢).

س ٥١٣ ـ ما معنى حشرهم زُرقاً؟

---

(١) سورة البقرة: ٥٤.

ج ـ لعلّه بسبب هول العذاب وشدّته تتوتّر أعصابهم فينحبس الدم في عروقهم فتميل وجوههم أو أجسادهم للزرقة، أو انّ وجوههم تتحوّل ـ بسبب هلعهم ـ شاحبةً بيضاء، ومن معاني الزرقة بياض خاص، قال ابن منظور: «وقيل: الزرَق: بياض لا يُطيف بالعظم كلّه، ولكنّه وضحٌ في بعضه» [(١)].

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا﴾(١٠٣ - ١٠٤).

س ٥١٤ ـ كيف يكون من قدّر مدّة المكث الطويلة بيوم أوفرهم عقلاً مع أنّ تقديره أبعد عن الصواب؟

ج ـ لعلّه باعتبار أن المقدَّر هو فترة مكثهم في القبر، وهناك لا يتوارد عليهم الليل والنهار، فهو ـ من هذه الجهة ـ أقرب إلى اليوم من حيث الكيفية لا الكميّة.

ولعلّه إشارة إلى مدى التخبط والارتباك الذي يشمل العامل منهم في ذلك.

﴿... وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾(١١٣).

س ٥١٥ ـ كيف يُحدث لهم ذكراً؟

ج ـ لأن الوعيد يوجب الخشية والخوف لدى المخاطبين والمستمعين فيدعوهم ذلك للتقوى وذكر الله والتوجه والتضرع اليه، فهو نظير قوله تعالى: **﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾** [(٢)].

---

(١) لسان العرب: ١٠/ ١٣٩.

(٢) سورة عبس: ٤.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(١٢٤).

س ٥١٦ ـ كيف! وهناك الكثير من المنحرفين والكافرين يعيشون حياةً مترفة؟

ج ـ لعلّه باعتبار أن هؤلاء ـ رغم ترفهم المادي ـ يعيشون حالة الاضطراب والتوجس بالنسبة لما يواجهونه بعد الموت من المصير المجهول، لعدم إيمانهم بالله تعالى والتزامهم بنهجه القويم. فيفقدون سكينة الإيمان واطمئنان وأمل المؤمنين.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾(١٣٠).

س ٥١٧ ـ ماهي خصوصية هذه الأوقات للتسبيح؟

ج ـ هناك رأيان للمفسرين: الأول أن الآية بصدد الحث على مداومة ذكر الله وتسبيحه، وهذه الأوقات تستوعب وقت يقظة الإنسان في اليوم والليلة.

الثاني: ان الآية تشير إلى أوقات الصلاة، فصلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وصلاتا الظهرين الممتد وقتها إلى ما قبل الغروب، وصلاتا العشائين في الليل وربما صلاة الليل أيضاً. قيل: واطراف النهار اشارة إلى الصلوات المستحبة التي يؤتى بها نهاراً كما يؤتى بصلاة الليل المستحبة ليلاً[1].

---

(١) يراجع التفسير الأمثل: ١٠/ ١٠٨.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾(١٣٣).

س ٥١٨ ـ ما هي البيّنة التي وصلتهم؟

ج ـ هي ما تحدّث به القرآن من مصير الأمم السابقة الذين طلبوا آيات من ربّهم، ثم لم يلتزموا بعهدهم، فلم يحفظوها مثل قوم نبي الله صالح الذين طلبوا الناقة لتكون آية لهم ثم لم يحفظوها، فأنزل الله تعالى عليهم العذاب الماحق. فالآية الكريمة تحذّر هؤلاء من اقتراح آيات معيّنة قد يكفرون بها ـ كما كفرت الأمم السابقة ـ فينزل عليهم الغضب الإلهي والمحق في الحياة الدنيا.

سورة الأنبياء

﴿... وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾(٣).

س ٥١٩ ـ ماذا يقصدون من ذلك؟

ج ـ كان الظالمون يحذّرون الناس من اتبّاع الرسول ويتّهمونه بالسحر، ويقولون لهم: «كيف ينطلي عليكم سحر الساحر وتؤمنون به؟!».

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(١٧).

س ٥٢٠ ـ ما معنى اتخاذ اللهو من لدنه؟

ج ـ كأنه بصدد بيان استغنائه تعالى عن التلهي بما يلهو به البشر، وأنه لو أراد التلهي لاتخذ لهواً يناسب شأنه، تعالى الله سبحانه عن ذلك علوّاً كبيراً.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا...﴾(٢٢).

س ٥٢١ـ لماذا يوجب تعدّد الآلهة الفساد؟

ج ـ هناك بحوث مفصّلة حول الموضوع ذكرت في الفلسفة وعلم الكلام، ونشير هنا إلى جانب منها، وهو أن مقتضى الألوهية الكمال المطلق، ومنه عدم محدودية قدرة الله، وحينئذٍ فكلّ إله سوف يوظّف قدرته لتثبيت

سلطانه، إذ لا يعقل إرادة ما لا ينسجم مع بسط سلطانه، ويلزم من ذلك اصطدام الارادات وفساد عالم التكوين.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾(٣٠).

س ٥٢٢ ـ كيف كانت السموات والأرض رتقاً وكيف فتقتا؟

ج ـ روي أن السموات كانت رتقاً لا تمطر، والأرض كانت رتقاً لا تُنبت الزرع، ففُتقت الأولى بأن مطرت والثانية بأن أنبتت الأشجار واثمرت الثمار وامتلأت بالأنهار[1].

س ٥٢٣ ـ كيف يكون كلّ حيٍّ من الماء مع ان الملائكة والجن ليسوا من الماء بل من النور والنار ـ كما قيل ـ؟

ج ـ الظاهر أن المنظور الأحياء الظاهرة في الأرض، والتي هي منظورة للإنسان، لأنّ الآية بصدد دعوة الكافرين للنظر والاعتبار. وليست بصدد بيان حقيقة علمية مجرّدة من حقائق علم الإحياء.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(٣٣).

س ٥٢٤ ـ إن قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يشمل الليل والنهار مع أنهما لا يسبّحان لأنهما مجرد أثر حركة الأرض حول الشمس واذا كان المقصود

---

(١) يراجع تفسير القرآن الكريم لأبي حمزة الثمالي: ٢٤٤.

خصوص الشمس والقمر فكان يفترض الإتيان بضمير التثنية فيقول «يسبحان»؟

ج ـ حيث كان حدوث الليل والنهار تابعاً لسباحة الجرم، فنسبت إليهما السباحة أيضاً من باب التغليب.

ويحتمل رجوع ضمير الجمع إلى الشمس والقمر فقط، وفي ذلك إشارة إلى تعدّد أفراد الشمس والقمر، كما أثبته العلم الحديث. فصحّ استعمال ضمير الجمع.

س ٥٢٥ ـ كيف استعمل ضمير الجمع للعقلاء مع ان هذه الأمور غير عاقلة؟

ج ـ لعلّ الذي سوّغ ذلك كون هذه السباحة مقتضى الحكمة والتدبير، فيكون السابح بمنزلة العاقل. ورعاية مثل هذه المناسبات شائع في اللغة العربية المبتنية على المناسبات المجازية اللطيفة.

﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾(٣٧).

س ٥٢٦ ـ ما معنى: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾؟

ج ـ باعتبار حبّ الإنسان ودأبه على الاستعجال نُسب إليه مجازاً واعتُبر كأنه أصله. بينما يفترض بالعاقل تحكيم العقل والحكمة وتجنّب الاستعجال عندما لا ينبغي له ذلك.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾(٥٧).

س ٥٢٧ ـ كيف هدّدهم ابراهيم بتدمير أصنامهم فأوجب شكّهم فيه عندما رأوها مدمّرة، وكان يفترض أن لا يهدّدهم بذلك؟

ج ـ لم يكن هدف ابراهيم مجّرد تدميرها إذ لا أهمية لذلك، لأنهم سرعان ما يعيدونها، بل قصَد من ذلك أن يثير الشبهة نحوه، ليكون ذلك منطلَقاً مناسباً للحوار معهم، بعد أن يهزّهم حدوث التدمير، وأبقى الصنم الكبير، ليعطيهم فسحة للتفكير والمقارنة.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾(٦٣).

س ٥٢٨ ـ كيف نسب تدمير الأصنام إلى الصنم الكبير، وهو خلاف الحقيقة، والأنبياء منزّهون عن الكذب؟

ج ـ الكذب هو الإخبار الجاد بهدف تمويه الحقيقة، وابراهيم عليه السلام قال ذلك على سبيل السخرية والتهكم، فلا يكون كذباً، ولذلك لم يقبلوا ذلك منه، لعلمهم بتهكّمه وامتناع صدور ذلك من الصنم الكبير، ولذلك قال: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ﴾ [(١)].

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(٧٩).

س ٥٢٩ ـ كيف يخطأ داوود الحكم الشرعي مع أنه كان نبيّاً ورسولاً، وقد قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾ [(٢)]؟

ج ـ ذكر بعض المفسّرين أن اختلافهما كان في كيفية تطبيق الحكم،

(١) سورة الأنبياء: ٦٤ و ٦٥.

(٢) سورة ص: ٢٦.

لا في أصلـه، إذ تضمنت النصوص أنّ داوود حكم باعطاء الغنم لصاحب الكـرْم، وأن سـليمان حكم له باللبـن والصوف ذلك العـام، وهما تطبيقان مختلفان للحكم الشرعي بضمان قيمة ما أتلفته الأغنام، إلاّ أنّ سليمان اختار الصيغة الأرفق لصاحب الغنم بالضمان.

وقـد تضمنّـت بعـض النصـوص المعتـبرة أنّهما تحـاورا قبـل إصدار الحكم، ولم يختلفا في الحكم نفسـه، فقد روى جميل بن درّاج عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قولـه عزَّ وجلّ: ﴿**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ**﴾ قال: لم يحكما،إنـما كانا يتناظـران، ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ**﴾[1] . ويبـدو أنّ الهـدف كان تكريـم سـليمان عليه السلام وبيـان فضله، تمهيداً لنبوّته بعد أبيه داود عليه السلام.

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾(٨٧).

س ٥٣٠ ـ كيـف يظنّ نبيّ من الأنبياء بعدم قدرة الله عليـه مـع أنّ مقتـضى الإيمان الإذعـان بعموم قدرة الله تعالى؟

ج ـ إن ﴿**نَّقْدِرَ**﴾ هنـا ليـس فعـلاً مـن القُـدرة ، بـل يراد منهـا معنى التقديـر أو التضييـق: «قـال الفـراء: المعنـى: فَظَـنَّ أَن لَّـن نَّقْـدِرَ عَلَيْهِ من العقوبـة مـا قدّرنا. وقال أبو الهيثـم ـ بعد أن ذكر معنـى التقدير ـ: ويحتمل أن يكـون تفسـيره: فظنّ أن لن نضيّق عليـه، من قولـه تعـالى: ﴿**وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ**﴾[2] أي ضُيِّـق عليه، قال: وكذلـك قولـه: ﴿**وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ**

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٣/ ١٠١.

(٢) سورة الطلاق: ٧.

﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾[(١)] معنى فَقَدرَ عليه: فضيّق عليه. وقد ضيّق الله على يونس عليه السلام أشدّ التضييق ضيّقه على معذَّب في الدنيا، لأنه سجنه في بطن حوت، فصار مكظوماً أُخِذ في بطنه يكظمه»[(٢)] .

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾(٩٥).

س ٥٣١ـ ما معنى أن يكون عدم رجوعهم حراماً؟

ج ـ فسّر الكسائي ـ تبعاً لابن عباس ـ الحرام بالواجب، كما في قول عبد الرحمن بن جمانة المحاربي:

فانّ حراماً لا أرى الدهرَ باكياً   على شجوه إلاّ بكيتُ على عمرو[(٣)]

ويمكن أن تكون (لا) هي التي تسمى في العربية بالزائدة، وأن المعنى: حرام على القرية التي نزل عليها العذاب رجوعُهم.

وهناك وجه ثالث في تفسير الآية، وذلك أن قوله في الآية السابقة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ يتضمّن الفسحة لكل إنسان لعمل الصالحات وتثبيتها وكتابتها في سجلّ أعماله، فاستدرك على ذلك بقوله ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ لتأكيد أن القرية التي ينزل عليها العذاب لا تبقى لأهلها فسحة لذلك، لأنّهم لا يرجعون للدنيا حتى يعتبروا بما حدث لهم، فيؤمنوا ويعملوا الصالحات. وعلى هذا الوجه يكون قوله: ﴿لاَ يَرْجِعُونَ﴾ علّة لما سبق.

ومن الواضح أنّ الحرمة على الوجهين الثاني والثالث هي الحرمة التكوينية أي الامتناع لا الحرمة التشريعية.

---

(١) سورة الفجر: ١٦.

(٢) لسان العرب: ٥/ ٧٧.

(٣) يراجع لسان العرب: ١٢/ ١٢٧.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(١٠٥).

س ٥٣٢ ـ ما هي الأرض التي يرثها العباد الصالحون؟

ج ـ أشارت بعض النصوص التفسيرية للآية إلى أن الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه حيث ينتصرون على قوى الشر والكفر، فتمتلئ هذه الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً[1].

وذكر بعض المفسّرين أن المقصود من الأرض أرض الجنّة حيث يرثها الصالحون بعد يوم القيامة[2]، حيث تفنى الدنيا وما فيها قبل ذلك، كما جاء في قوله تعالى ـ حكاية عن أهل الجنة ـ: **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء﴾**.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾(١٠٩).

س ٥٣٣ ـ ما معنى: ﴿آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء﴾؟

ج ـ الظاهر أنّ المقصود أنّ رسالته وإنذاره للجميع ولا يقتصر على فئة دون أخرى، فالكل سواء في ذلك.

---

(١) الدر المنثور: ٤/ ٣٤١.

(٢) يراجع مجمع البيان: ٧/ ١١٩.

سورة الحج

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ...﴾(٢).

س ٥٣٤ ـ لماذا قال: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ولم يقل (مرضع) مع أن الرضاعة من مختصات النساء، فلا حاجة لتاء التأنيث، فهو نظير (حامل)؟

ج ـ المرضع ـ كما ذكر علماء اللغة ـ هي المرأة التي لها صبّي في دور الرضاعة ويرتضع منها عادةً، وإن لم تكن مشغولة برضاعته. و(المرضعة) تطلق على المرأة المشغولة برضاعة الصبي، حيث تتأجّج لديها عاطفة الاُمومة أكثر حين رضاعتها. فكأن الآية بصدد بيان أنّ أهوال يوم القيامة بحدّ تُذهل المرضعة حين رضاعتها عن طفلها رغم شدّة تعلّقها به آنذاك.

﴿... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ .... وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾(٥).

س ٥٣٥ ـ ما معنى المضغة المخلّقة وغير المخلّقة؟

ج ـ قال الزمخشري: المخلَّقة: المسواة الملساء من النقصان والعيب، يقال: خلَق السواك والعود، إذا سوّاه وملسه، من قوله: صخرة خلقاء، وإذا كانت ملساء، كأن الله تعالى يخلق المُضَغ متفاوتة: منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم، وتمامهم ونقصانهم[1].

ولعلّ المخلّقة وغير المخلقة وصفان للمضغة من دون أن يعني أن البشر ـ الذين اكتمل خلقهم ـ مخلوقون من كليهما، بل هم مخلوقون من المخلَّقة، وهي المصوَّرة التي ينفخ فيها الروح فيما بعد بينما غير المخلّقة هي التي لا تكتمل وتصير سقطاً. وفي الحديث عن سلام بن المستنير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾.. قال: وأما قوله: ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ فهم كلّ نسمة لم يخلقهم الله عزّ وجلّ في صلب آدم حين خلق الذر وأخذ عليهم الميثاق، وهم النطف من العَزْل، والسِّقط قبل أن ينفخ فيه الروح والحياة والبقاء[2].

س ٥٣٦ ـ ما هو الهدف من ذكر كبار السنّ ونسيانهم معلوماتهم؟

ج ـ كأنّه تذكير بقدرة الله تعالى حيث إنّ كبير السن رغم امتداد عمره ووفرة معلوماته قد يفقدها بسبب النسيان وفقدان الذاكرة الذي يصاب به.

س ٥٣٧ ـ كيف تهتزّ الأرض وتربو؟

ج ـ بينما الأرض يابسة صلبة فإذا أصابها الماء والمطر تصير طيناً ليّناً منتفخاً صالحاً لنمو النبات. والربو هو الارتفاع.

---

(١) الكشاف: ٣/ ١٤٤.

(٢) الكافي: ٦/ ١٢.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ...﴾(٩).

س ٥٣٨ ـ ما معنى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾؟

ج ـ العِطف منكب الإنسان، وهو الموضع الذي يميله الإنسان عندما يُعرض عن الشيء. وكأنه في الآية إشارة إلى إعراضه عن الحق وانحرافه، وقال البعض إنه إشارة إلى تكبرّه، يقول العرب: ثنى فلان عطفه إذا تكبّر وتجبّر[1].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾(١١ ـ ١٢).

س ٥٣٩ ـ ما معنى عبادة الله على حرف؟

ج ـ الحرف هو الطرف، وهو إشارة إلى الذين لا يعتمدون في إيمانهم على برهان وحجة قوية، بل يعلّق إيمانه على السلامة والرخاء، ومن دون ذلك يتزلزل إيمانه وتجرفه الفتنة فيكون نظير الواقف على الحافة، إذا هبّت العاصفة تطيح به في الهاوية بعكس أصحاب البصائر الذين لا تهزّهم ولا تحرفهم الفتن والمصاعب. اللهم ثبّتنا على دينك وزدنا هدىً وبصيرة.

س ٥٤٠ ـ كيف يقول: ﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ﴾. مع أن الفتنة إنما تؤثر على صمود الشخص وصبره لا على إيمانه وعقيدته؟

ج ـ كلاّ، لأن بعض الفتن تزيح الناس عن عقائدهم فيلتبس عليهم الحق والباطل. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، لأنه ليس أحد إلاّ وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن»[1] نعوذ بالله تعالى من مضلاّت الفتن.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرض وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء﴾(١٨).

س ٥٤١ـ كيف يكون سجود من لا يعقل؟

ج ـ كأنه من خلال الخضوع التكويني والانقياد الذاتي لله تعالى فيما يريد، بينما سجود الطاعة للعقلاء اختياري وإرادي. والآية الكريمة تذكّر المؤمنين بخضوع ما في نظام التكوين لقدرة الله تعالى ومشيئته.

س ٥٤٢ ـ لماذا قال: ﴿كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾مع انهم داخلون في قوله: ﴿وَمَن فِي الأَرض﴾؟

ج ـ يبدو أنّ التنصيص عليهم من باب الاهتمام بهم، لأن سجودهم اختياري وعن عقيدة في مقابل الذين حقّ عليهم العذاب الذين يقتصر خضوعهم على الانقياد التكويني.

س ٥٤٣ ـ هل الذين حقّ عليهم العذاب يسجدون لله تعالى أو لا؟

---

(١) تصنيف نهج البلاغة: ٩٦٦.

ج ـ الظاهـر أنّهم في مقابل: ﴿كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ وأنّ الواو اسـتئنافية وليسـت عاطفة، وقد أخبر باستحقاقهم العذاب الذي هو متفرع على عدم إيمانهـم وخضوعهم الاختياري الإرادي لله تعـالى، رغم خضوعهم الذاتي التكويني لله تعالى وكذلك سـجود بعضهم ـ كالمنافقين ـ خوفاً وطمعاً، إلاّ أن ذلك لكه غير كافٍ منهم، لكونهم عقلاء مكلَّفين بالسـجود الاختياري عن إرادة وقناعة.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(٢٦).

س ٥٤٤ ـ كيف يطهّر إبراهيم البيت؟

ج ـ بأن يجنّبه من مظاهر الشرك والرجس.

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ...﴾(٣٠).

س ٥٤٥ ـ ما هي: ﴿حُرُمَاتِ اللهِ﴾.

ج ـ قيـل: هـي حدود الله من أوامره ونواهيه. وقيل: هي ما عظّم الله شـأنه كالبيت الحرام والشـهر الحرام وغيرهما، وقد أخرج الطبراني عن أبي سـعيد الخـدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «انّ لله عـزّ وجلّ حرمات ثلاث، من حفظهنّ حفظ الله له أمر دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شـيئاً، حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي»[1].

(١) المعجم الكبير: ٣/ ١٢٦.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(٣٣).

س ٥٤٦ ـ ما هو ذلك الأجل الذي تنتهي إليه منافعها؟

ج ـ هو نحرها أو ذبحها، حيث يجوز الانتفاع منها قبل ذلك، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال: «إن احتاج إلى ظهرها ركبها من غير أن يعنّف عليها. وإن كان لها لبن حلبها حلاباً لا ينهكها»[١].

﴿... فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ...﴾(٣٦).

س ٥٤٧ ـ ما معنى وجوب جنوبها؟

ج ـ قال ابن منظور: وأصل الوجوب: السقوط والوقوع، ووجب الميت إذا سقط ومات... وفي حديث الضحية: «فلما وجبت جنوبها أي سقطت إلى الأرض، لأن المستحبّ أن تُنحر الإبل قياماً معقّلة...»[٢].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٤٠).

س ٥٤٨ ـ كيف يكون اختلاف الناس وصراعهم

---

(١) لسان العرب: ١/ ٧٩٤.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠/ ٣٣.

حافظاً لأماكن العبادة من الخراب مع أنّ خرابها إنما هو بسبب اختلافهم؟

ج ـ الآية تشير إلى ثبات المؤمنين في كلّ عصر وجهادهم وصمودهم، وأنّه لولاه لم تُحفظ هذه الأماكن من سطوة الطغاة الكافرين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ﴾. إذن فهي لا تتحدث عن اختلاف الآراء والقناعات، وإنما عن صمود المؤمنين ودفاعهم في مقابل الكثرة المنحرفة والكافرة.

هذا «والصوامع جمع صومعة، وهي بناء في أعلاه حدّة، كان يُتخذ في الجبال والبراري، ويسكنه الزهاد والمعتزلون من الناس للعبادة، والبِيَع جمع بِيعة ـ بكسر الباء ـ معبد اليهود والنصارى، والصلوات جمع صلاة، وهي مصلى اليهود، سمّي بها تسميةً للمحلّ باسم الحال... وقيل: هي معرَّب «صلوثا» ـ بالثاء المثلثة والقصر ـ وهي بالعبرانية المصلّى، والمساجد جمع مسجد، وهو معبد المسلمين» (١).

﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى...﴾(٤٣ ـ ٤٤).

س ٥٤٩ ـ لماذا لم يقل: «وقوم موسى» كما ذكر سائر الأقوام؟

ج ـ لأنّ أهم ما واجه موسى عليه السلام تكذيب الأقباط له، لا تكذيب قومه، وهم بنو إسرائيل.

---

(١) الميزان: ١٤/ ٣٨٥.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢ ـ ٥٣).

س ٥٥٠ ـ ما معنى الأمنية وكيف يلقى الشيطان في اُمنية النبي والرسول؟

ج ـ ذكر بعض المفسرين أن المقصود من التمني التقدير، وهو إشارة إلى خطط الأنبياء ومناهجهم في سبيل تبليغ رسالة الله لهداية الأُمم، فانّ الشيطان يضع المعوِّقات، ويثير الفتن لإعاقتهم في ذلك، مما يوجب افتتان البعض كما قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [1] وصلابة إيمان أهل البصيرة ورفعة مقامهم.

س ٥٥١ ـ ما هو الفرق بين الرسول والنبي؟

ج ـ الظاهر أن النبي هو الذي يُنبّأ من الله تعالى ويوحى إليه، وإن لم يتحمل رسالةً إلهية لإبلاغها، أما الرسول فهو المبعوث من جانب الله تعالى لقوم أو أمة، ويحمل رسالته إليهم. وهناك آراء أخرى للباحثين والمفسِّرين.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٦٧).

س ٥٥٢ ـ إذا كان الله قد جعل لكل اُمة طقوساً وتشريعاً خاصاً بها فكيف يكون الإسلام اُممياً وديناً لكل الشعوب في جميع العصور؟

ج ـ ليس المقصود من الأمة معنى الشعب بالمصطلح المعاصر، بل كلّ الذين يجمعهم دين أو منهج واحد، فالمؤمنون أُمة واحدة وإن كانوا من شعوب متنوعة وفي عصور مختلفة وكذلك أبناء كل عقيدة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾[1] ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ...﴾[2]. وعلى كلّ حال، فكأنّ الآية الكريمة تردّ على الذين كانوا يخاصمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويسألونه عن سبب الاختلاف بين تشريعات الإسلام وطقوسه وتشريعات وطقوس الأديان السماوية السابقة مع أنها جميعاً من الله تعالى، فأشارت الآية الكريمة إلى أن مشيئة الله اقتضت ـ رعاية لمصالح الأمم ـ اختلاف مناسك الأمم وأديانهم وتشريعاتهم، وأن الإسلام يمثل الهدى المستقيم بعدها باعتباره خاتم الأديان وناسخها.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٧٢).

س ٥٥٣ ـ كيف يعتبر النار أكثر شرّاً من آيات الله مع أنّ الآيات خير وليست شرّاً؟

ج ـ حيث كانوا يكرهون آيات الله ويُعرضون عنها باعتبار ثقلها على نفوسهم فحذّرهم بأنّ النار أشدّ وقعاً عليهم من تلك الآيات. فشرّها في حقهم باعتبار ما تسبّبه لهم من الضيق، والفضيحة أحياناً. وإن لم تكن هي شرّاً في نفسها، لأنها الخير بل كل الخير.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) سورة الزخرف: ٣٣.

سورة المؤمنون

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾(١٧).

س ٥٥٤ ـ ما هي الطرائق السبع؟

ج ـ إنها السموات السبع، وسمّيت بالطرائق باعتبارها ممرّات وطرقاً يخترقها أمر الله تعالى وملائكته.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾(٢٠).

س ٥٥٥ ـ ما هذه الشجرة، ولماذا خصّها بالذكر؟

ج ـ إنها شجرة الزيتون التي تتميّز بالزيت النقي الذي يستخدم أيضاً كإدام في الطعام، فانّ الصَّبغ هو الإدام. و«طور سَـيناء» إما المنطقة المحددَّة التي ينتشر فيها شجر الزيتون، أو الجبل كثير الشجر.

﴿إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾(٣٧).

س ٥٥٦ ـ إذا اعترفوا بالموت والحياة فكيف ينكرون البعث؟

ج ـ مقصود هؤلاء موت أجيال وحياة أجيال أُخرى في هذه الحياة الدنيا، من دون حياة وبعث بعدها.

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾(٤٧).

س ٥٥٧ ـ كيف يقول: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ مع أَنّ بني اسرائيل كانوا يعبدون الله تعالى؟

ج ـ إما المقصود من العبادة الخضوع والطاعة، أو باعتبار أَنهم كانوا يُظهرون عبادة فرعون تقيةً وخوفاً.

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٩١).

س ٥٥٨ ـ ما المانع من اتفاق الآلهة المزعومة فيما بينها على حدود معيّنة لصلاحيات كلّ منها بحيث لا يلزم محذور الصراع والفساد الذي أشارت إليه الآية؟

ج ـ إن الاحتياج للغير في نظم الخلق ينافي الإلوهية التي لازمها الحكمة والقدرة والغَناء المطلق. وقد تقدم توضيح ذلك.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾(١٠٩ ـ ١١٠).

س٥٥٩ ـ كيف يقول: ﴿أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ مع أنّ المؤمنين يذكّرون غيرهم بالله؟

ج ـ حيث إن سخرية الكافرين من المؤمنين أشغلتهم عن التمعّن والتدبّر في آيات الله حتى نسوه تعالى، فنسب الإنساء للمؤمنين باعتبارهم السبب في نسيان الكافرين لربّهم. وهكذا صار المؤمنون فتنةً للكافرين.

سورة النور

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾(٢٤ ـ ٢٥).

س ٥٦٠ ـ ما معنى أن يوفيهم الله دينهم يوم القيامة مع أنهم كانوا مسلمين في الدنيا؟

ج ـ من معاني الدين الجزاء، قال ابن منظور: «والدِّين: الجزاء والمكافأة»[١]. وهو أحد الوجوه في تفسير قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢]، فيكون المعنى ـ على هذا ـ أن الله يوفيّهم جزاءهم العادل يوم القيامة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(٢٧ ـ ٢٨).

س ٥٦١ ـ ما معنى الاستئناس الممهِّد لدخول بيوت الآخرين؟

---

(١) لسان العرب: ١٣/ ١٦٩.

(٢) سورة الفاتحة: ٤.

ج - من معاني الاستئناس: النظر والاستعلام، قال الفراء.. «والاستئناس في كلام العرب النظر. يقال: اذهب فاستأنِس هل ترى أحداً؟ فيكون معناه انظُر مَن ترى في الدار» وفي حديث ابن مسعود: كان إذا دخل داره استأنسَ وتكلّم أي استعلَم وتبصّر قبل الدخول [1]. وعلى هذا فالآية الكريمة تشير أنّ من آداب دخول بيوت الآخرين عدم المبادرة والتسرّع بل يتأكد الداخل من وجود أهل الدار وإذنهم له ويسلّم عليهم، ولذلك قال بعد ذلك: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾(٢٩).

س ٥٦٢ ـ هل مجرّد وجود المتاع يسوّغ دخول البيت من دون إذن صاحب البيت؟

ج ـ لابدّ من إحراز إذن صاحب البيت ـ في غير حالات غصب المتاع ونحوه ـ ولو بقرينة خارجية، وليست الآية بصدد إسقاط اعتبار إذنه، وإنما بيان أن عدم وجود أهل البيت لا يمنع من دخول صاحب المتاع لجلب متاعه الذي يوضع عادة في بيوت الأقارب أوالأصدقاء.

﴿...وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا...﴾(٣٣).

س ٥٦٣ ـ لماذا قيّد النهي عن الإكراه على البغاء بإرادة التحصّن؟

ج ـ لأن من لا تريد التحصّن وتندفع للبغاء لا يتصور في حقها

(١) لسان العرب: ٦/ ١٥ ـ ١٦.

الإكـراه عليـه، فلا معنى للنهي عنه. وإنما تُنهى هي عن البغاء نفسـه، وهو خارج عن موضوع الآية.

﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣٥).

س ٥٦٤ ـ لماذا خصّ شجرة الزيتون بالذكر واعتبرها مباركة؟

ج ـ كأنّها باعتبار صفاء زيتها، واعتبرها مباركة باعتبار تعدّد فوائدها، حيث يسرج بزيتها ويستعمل إداماً في الطعام ويُدهن به، ويوقد بحطبها وثفلها، وغير ذلك من الفوائد.

س ٥٦٥ ـ لماذا قال: ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ؟

ج ـ كأنه للتعبير عن جودة ثمرها وزيتها حيث تسطع عليها الشمس، ولا تغرب عنها بحال. بخلاف الشجرة التي تشرق الشمس عليها حيناً وتغرب عنها أخرى، فلا تكون ثمرتها بتلك الجودة.

ولعلّ تشبيه النور الإلهي بالشجرة التي لا يتوارد ولا يغيب عنها النور للإشارة إلى أن نوره تعالى ذاتي وليس مكتسباً من غيره.

﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٦٣).

س ٥٦٦ ـ لماذا قال: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ مع أنّ فعل المخالفة يتعدّى من دون حرف الجر؟

ج ـ كأنّه باعتبار أنّه متضمّن معنى الإعراض الذي يناسب التعدية بـ «عن».

سورة الفرقان

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾(١٧ ـ ١٨).

س ٥٦٧ ـ إذا كان المعبودون الأصنام فكيف يقولون: ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء﴾ مع أنها لا تعقل ولا تتخذ أولياء؟

ج ـ يبدو أن الخطاب للعقلاء من المعبودين ونحوهم ممن يتأثر بهم الناس، ولذلك خاطبهم بقوله: ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء﴾، ومن الواضح أن الذين يتصوّر في حقهم الإضلال هم رؤوس الضلالة من العقلاء دون مثل الأصنام.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾(٣٢).

س ٥٦٨ ـ كيف يكون الترتيل مثبِّتاً لفؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

ج ـ ليس المقصود منه الترتيل في القراءة، وإنما التدرّج في تنزيل القرآن ووحيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويسمى «الترتيل في المعنى». ومن الواضح أنّ التدرّج في تنزيل القرآن يعني مواصلة الارتباط والوحي السماوي، وهو يقوي عزيمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أكثر ممّا لو نَزل دفعةً واحدة.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ (٤٣).

س ٥٦٩ ـ إذا كان المقصود أنه اتبع هواه وجعله إلاهاً، فالمفروض أن يقال: (مَن اتخذ هواه إلهه).

ج ـ كلاّ، بل المقصود أنه صيّر الإله هوىً، فأن الفعل «اتخذ» متعدٍّ إلى مفعولين وهو من أفعال التحويل، بمعنى الصيرورة[1] فالإله الذي يعبده ويطيعه هذا الكافر هو هواه.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٦٢).

س ٥٧٠ ـ ما معنى الخلفة وما ارتباطه بالتذكر والشكر؟

ج ـ الخِلفة إما بمعنى التعاقب حيث يخلف أحدهما الآخر، أو بمعنى الاختلاف، حيث انّ النهار مضيء والليل مظلم، وعلى كلّ حال، فانّ اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما دليل عموم قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته لعباده حيث يسعون ويكتسبون في النهار ويسكنون ليلاً.

(١) قال ابن عقيل: واما أفعال التحويل.... وعدَّها بعضهم سبعة: «صيّر»... و«جَعَل» ... و«اتخذ» ...: (شرح ألفية ابن مالك: ٢/ ٤٢٨).

﴿إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٧٠).

س ٥٧١ ـ إذا كانت السيئات تتبدّل حسنات، فمن كثرت سيئاته هل يكون أفضل حالاً من غيره؟

ج ـ كلاّ، ليس المقصود ان كلّ سيّئة تتحول إلى حسنة حتى تزداد الحسنات كلما زادت السيئات، وإنما بالتوبة والإيمان والعمل الصالح تحذف السيئات من سجل أعمالهم وتحل محلها حسنات بسبب التوبة والإيمان والعمل الصالح.

﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾(٧٥).

س ٥٧٢ ـ ما هي ﴿الْغُرْفَةَ﴾؟

ج ـ الغُرفة اسم جنس بمعنى العالي، والمقصود أن هؤلاء الصالحين يُعطون الأماكن العالية في الجنان.

س ٥٧٣ ـ ما الفرق بين التحية والسلام؟

ج ـ لعلّ المقصود من التحية الترحيب، ومن السلام الطمأنينة والأمان.

سورة الشعراء

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾(١٤).

س ٥٧٤ ـ ما هو الذنب الذي كان للأقباط على موسى عليه‌السلام؟

ج ـ هو قتله للقبطي الذي كان يقاتل أحد بني اسرائيل، الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿... فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ... ﴾[١].

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾(١٩ ـ ٢٠).

س ٥٧٥ ـ هل كان موسى ضالاً عند قتل القبطي قبل نبّوته؟

ج ـ كأنّ المقصود من الضلال هنا ما يقابل بصيرة النبّوة والمعارف التي حصلت لموسى عليه‌السلام بسبب الارتباط بالوحي، حيث لم يكن نبيّاً آنذاك، لا الضلال بمعنى الانحراف عن الحق.

وربما يكون المقصود من الضلال مخالفة الحكمة والصواب، حيث

---

(١) سورة القصص: ١٥.

تسرّع موسى عليه السلام بقتل ذلك القبطي فقتله أمام ذلك الإسرائيلي الذي كان ضعيف النفس فهدّد موسى عليه السلام بالوشاية عليه.

﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾(٢٢٤).

س ٥٧٦ ـ لماذا خصّ الشعراء بذلك؟

ج ـ لأن الشعراء ـ غير المتقين طبعاً ـ يوظفون موهبتهم لتلبية مصالحهم الشخصية، ولا يردعهم ذلك عن قول الباطل من المديح والهجاء وغيرهما، وبسبب قوة تأثير الشعر على مخيّلة الناس يتأثر به المنحرفون والسذّج من غير ذوي البصيرة والوعي منهم.

والآيات الكريمة تردّ على اتهام بعض المشركين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه شاعر يستثمر موهبته لمصالحه الشخصية، وأن له شيطاناً يعلّمه الشعر ـ كما كان يزعمه العرب آنذاك بالنسبة للشعراء ـ فأشارت الى عدة فوارق بين النبي وهؤلاء الشعراء ـ بالإضافة الى الفارق المضموني والابداعي بين القرآن والشعر ـ منها..

١ ــ أن اتباع هؤلاء الشعراء المصلحيين هم المنحرفون والسذّج الذين لا إيمان ولا بصيرة لهم، بينما اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم الثلّة المؤمنة ذوو البصائر.

٢ ــ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتحمل مسؤولية تبليغ رسالته بمعالمها الإلهية المحدّدة بدون أن يزيغ عنها طرفة عين بينما هؤلاء الشعراء ليس لهم موقف ثابت بل تتغير ولاءاتهم تبعاً لمصالحهم **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾**.

٣ـ أن سلوك النبي ينسجم مع مضمون رسالته وأقواله بينما سلوك هؤلاء الشعراء لا ينطبق مع أقوالهم وشعرهم **﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾**.

سورة القصص

﴿... فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾(١٥).

س ٢٧٧ ـ ألا يعني ذلك صدور المعصية من موسى عليه السلام بسبب تسرّعه في القتل؟

ج ـ كلاّ، فان المقتول كان قبطياً لا يهودياً. ومجرّد نسبته للشيطان لا يعني كونه معصية، إذ كما يغري الشيطانُ الإنسان بالمعصية يغريه بأفعال أخرى تضرّ به من دون أن تكون معاصي، على الذي يبدو عند التمعن في الآية الكريمة أنّ موسى عليه السلام لم يأسف لنجدة اليهودي وتخليصه من يد القبطي، بل من كيفية الوكزة وشدّتها ـ التي قد تكون بسبب انفعاله النفسي ـ بحيث أودت بحياة القبطي فهي التي كانت من عمل الشيطان وإغرائه فندم عليها موسى عليه السلام.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا...﴾(١٩).

س ٥٧٨ ـ إذا كان قتل القبطي الأول من عمل الشيطان ـ كما قال موسى عليه السلام ـ فكيف يقدم على قتل القبطي الثاني؟

ج ـ أشرنا قبل قليل أنّ الذي أحزن موسى هو قتل القبطي الأول لا

مجرّد نجدة اليهودي، وفي الحادثة الثانية يبدو أن هدف موسى كان المبادرة بتخليص اليهودي - كما يوحي به التعبير بالاستصراخ - من خلال تأديب القبطي من دون قتله، لأنّ البطش ليس بمعنى القتل، بل هو الأخذ القوي الشديد[1]. ومن الطبيعي أنه يكون حذراً من قتله هذه المرة، فلم يقتله، وإنما تخيّل الإسرائيلي - الذي كان يخاصم القبطي - أنه بصدد قتله، على خلفية مشاهدته لقتل موسى عليه السلام للقبطي الأوّل.

﴿...قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾(٤٨).

س ٥٧٩ - ما هما السحران؟

ج - إما أن يكون مقصودهم منهما التوراة والأنجيل، أو نفس موسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، كما يقال جاء العدلان أي العادلان، من باب إقامة المصدر مقام اسم الفاعل.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(٧٥).

س ٥٨٠ - لماذا ينزع الشهداء من الأمم؟

ج - يبدو أن الآية تعكس وقائع محاكمة الأمم، حيث يخرج الشهداء من بين الأمم ويؤدي كلّ شهيد شهادته على اُمته، وكيف أقام الحجة عليهم وأبلغهم رسالات الله في الدنيا، وحينئذٍ تُطالَب كلّ اُمة بتقديم عذرها في عدم اتبّاع الحجة، وحيث أنه لا حجة لهم وانّ الحجة البالغة لله تعالى، فتتضح لهم الحقيقة ناصعة **﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾**[2].

---

(١) يراجع لسان العرب: ٦/ ٢٦٧.

(٢) سورة القصص: ٧٥.

سورة العنكبوت

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(١٢).

س ٥٨١ ـ كيف لا يحملون شيئاً من خطاياهم إذا أضلوهم، وقد قال بعد ذلك: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ...﴾[1]؟

ج ـ الكافرون وعدوهم بأن يتحملوا خطيئاتهم بحيث لا يبقى ثقلها ومسؤوليتها على فاعلها، فردّ الله عليهم بأن صاحب الخطيئة لا يتخلّص من مسؤوليتها رغم أنّ مَن يُضلّه يزداد ثقله بسبب إضلاله.

---

(١) سورة العنكبوت: ١٣.

سورة الروم

﴿...وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾(٤ ـ ٥).

س ٥٨٢ ـ ما هو نصر الله الذي يفرح به المؤمنون؟

ج ـ الظاهر أنه نصر المسلمين على المشركين في بدر، الذي اقترن بنصر الروم على فارس، فيكون هذا إخباراً غيبياً آخر تضمنته هذه الآيات، ويلاحظ أنها عبّرت عن نصر المسلمين ـ الذين يمثّلون الحق ـ بنصر الله، بينما عبّرت عن النصر في معركة الروم والفرس بغلبة الروم، لأنّ كلاًّ منهما على باطل، وإن كان الروم ـ باعتبارهم نصارى ـ أقرب للمسلمين وعقيدتهم.

﴿...ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾(٢٥).

س ٥٨٣ ـ كيف تكون الدعوة من الأرض؟

ج ـ ليست نفس الدعوة من الأرض، بل المدعوون ـ وهم البشر ـ مدفونون في الأرض، فيدعوهم ويخرجهم منها.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾(٢٧).

س ٥٨٤ ـ كيف يقول: ان إعادة الخلق أهون

عليـه، مع أنّا نعلم أن ابتداء الخلق وإعادته سـواء بالنسبة إليه تعالى؟

ج ـ الظاهـر أن المنظور في ذلك المقاييـس والاعتبارات المألوفة لدى الإنسـان، باعتبـار أنه في مقـام المحاججة، وإعادة إيجـاد شيء أهون ـ لدى الإنسان ـ من إبداع شيء.

س ٥٨٥ ـ ما معنى أن يكون له المثل الأعلى؟

ج ـ أي كلّ ما يكون من صفات الكمال فله تعالى المثل الأعلى، لأن له الكمال المطلق، وهو واهب كل كمال.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٢٨).

س ٥٨٦ ـ ما معنى هذا المثل؟

ج ـ هـذا المثل لبيان أن الله تعـالى لا يجعل شريكاً له من مخلوقاته، كما انكم أيها البشر لا تسـمحون أن تجعلوا عبيدكم شركاءكم في أموالكم، ولا نـدّاً لكـم، فتخافوهم كما يخاف أحدكم الآخر، فكيـف يجعل الله شريكاً له مـن مخلوقاته؟! وهذا دليـل على نفي خلق الشريك. وهو غير الأدلة النافية لوجود الشريك ـ غير المخلوق ـ لله تعالى.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣٠).

س ٥٨٧ ـ كيف يكون الدين الحق فطرياً مع أن تعاليمه تعبديّة لا يدركها الإنسان بفطرته؟

ج ـ الظاهر أنّ الملحوظ عقيدة التوحيد وإثبات الكمال لله تعالى التعاليم الداعية إلى التزام المعايير الأخلاقية المنسجمة مع الفطرة السليمة التي يشتمل عليها الدين الحق، دون خصوصيات الأوامر والنواهي التعبدية الأخرى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤٧).

س ٥٨٨ ـ إذا كان حقاً على الله نصر المؤمنين فلماذا يُضطهد المؤمنون ولا ينصرهم ربّهم في كثير من العصور والبلدان؟

ج ـ نصر الله للمؤمنين مرهون بالظروف والمصالح العامة، حيث ابتنت الحياة الدنيا على نظام السببية المادية إلاّ مع وجود مصالح معيّنة تقتضي تدخّل العوامل الغيبية، فينصر الله عباده المؤمنين عند توفّرها. ومنها تحمل المجتمع الإيماني لمسؤوليته التي يتحملها. وليس مقتضى هذا الحق على الله أن ينصر عباده المؤمنين دائماً من دون رعاية المصالح العامة، كما تقول حقّاً على الحكومة دعم المواطن، من دون أن يعني ذلك تجاوز القوانين التي يتضرّر منها المجتمع لسبب وآخر.

سورة لقمان

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ...﴾(١٠).

س ٥٨٩ ـ ما هي هذه الرواسي؟

ج ـ الظاهـر أنّها الجبال، كما أكّـد ذلك العلم الحديث، وجاء أيضاً في بعض التفاسير القديمة.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢٧).

س ٥٩٠ ـ لماذا حـدّد بـ ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مع أن كلمات الله غير محدودة بأي عدد؟

ج ـ ليس المقصود هو التحديد بالسبعة، وإنما هو رمز للكثرة، وذلك أن العرب تبالغ بالسبعة، وتضعها موضع التضعيف والتكثير. قال ابن منظور: في قولهم «لأعملنّ بفلان عمل سبعة»: أرادوا المبالغة وبلوغ الغاية[1]، ولهذا قيل للأسـد: السبع، لأنّهم تأوّلوا فيه لقوّته أنه ضوعفت له سبع مرات[2].

---

(١) يراجع لسان العرب: ٨/ ١٤٦.

(٢) يراجع مجمع البيان: ٥/ ٨٤.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٢٨).

س ٥٩١ ـ كيف نوفق بين هذه الآية وقوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾؟

ج ـ لا شك أنّ ابتداء الخلق وإعادته سواء لدى الله تعالى، لأنّ قدرته على كلّ الممكنات على نحوٍ سواء، لكن سياق آية سورة الروم حيث كان في مقام محاججة الكافرين الذين ينكرون البعث وإعادة الإحياء، فجاءت وفق ما يعهدونه في أفعالهم وقُدراتهم، حيث تكون الاعادة أهون من ابتداء الصنع. بينما هذه الآية بيّنت الحقيقة كما هي.

﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٣٤).

س ٥٩٢ ـ ما الفرق بين علم الله بما في الأرحام وعلم الأطباء بذلك في العصر الحديث؟

ج ـ الفرق بينهما أنّ علم الله تعالى ذاتي باعتبار كماله الذاتي، بينما علم الأطباء مكتسب من خلال ما وفّره الله تعالى لهم من موهبة العلم ووسائله، فهو راجع إلى علمه، كما إذا أخبر الله تعالى نبيّه بما في أرحام بعض النساء، فانّ علمه متفرع عن علم الله وليس مستقلاً.

س ٥٩٣ ـ كيف يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ مع أن بعض الناس كبعض المرضى ومن يقدم على الانتحار يعلم بمكان موته؟

ج ـ كلاّ، إنه ليس علماً حقيقياً، وإنما هو مجرّد توقّع ـ مهما كان قوياً ـ قد يصيب وقد يخطئ، فكم من مسجّىً ينتظر موته بين لحظة وأخرى يقوم سالماً ويموت في أرض أخرى؟!

سورة السجدة

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾(٨).

س ٥٩٤ ـ كيف اعتبره هنا من ماء مهين، بينما قال في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[1]؟

ج ـ الآية في سورة «المؤمنون» تشمل آدم الذي خُلق من الطين، بينما هـذه الآية تتحدث عن نسل آدم وذرّيته، وهم من ماء مهين أي النطفة لا من الطين مباشرةً. وسلالة الشيء: ما استُلّ منه[2].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(١٣).

س ٥٩٥ ـ ألا ينافي هذا القول منه رحمته تعالى؟

ج ـ كلاّ، لأنه لم يسلب اختيارهم، وإنّما وقع بعد علمه بكفر وعصيان هـؤلاء بإرادتهم واختيارهم فكانوا مستحقّين لجهنّم، رغم أن الله تعالى قد حثّهم على الطاعة وأرسل رسله وكتبه لهدايتهم وتقريبهم إلى الطاعة والرشاد.

---

(١) سورة المؤمنون: ١٢.

(٢) لسان العرب: ١١/ ٣٣٩.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٢١).

س ٥٩٦ ـ ما هو العذاب الأدنى؟

ج ـ إنه ما قبل العذاب الأكبر في يوم القيامة، وقد اختلفت النصوص في تحديده أو مصاديقه. والظاهر أنه إشارة الى العقاب الدنيوي، ولذلك قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

هذا وقد روي في سبب نزول هذه الآيات أنه حدث بين الإمام علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن عقبة بن أبي معيط شجار. فقال له الوليد: اسكت فإنك صبي، أنا أشبّ منك شباباً، وأجلد منك جلداً، وأذرب منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأشجع منك جناناً. وأملأ منك حشواً في الكتيبة. فقال له الإمام علي عليه السلام: اسكت، فانك فاسق، فنزلت الآية.

وروي عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال للوليد ـ وكان يشتم علياً عليه السلام ـ : كيف تشتم علياً، وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات، وسماك فاسقا[1]؟

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(٢٣).

س ٥٩٧ ـ أي لقاء تشير إليه الآية؟

ج ـ كأنه إشارة إلى الميقات الذي كلّم الله تعالى موسى خلاله، وأوحى إليه التوراة، باعتبار أن التوراة نزلت عليه آنذاك.

---

(١) يراجع الكشاف: ٣/ ٥١٤. وغيره.

سورة الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾(١).

س ٥٩٨ ـ هل كان يحتمل في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يطيع الكافرين والمنافقين ولا يتقي الله حتى يخاطب بذلك؟

ج ـ كلاّ، وإنما هو أسلوب بليغ لتأكيد الموقف الإلهي من طاعة الكافرين والمنافقين ومداراتهم على حساب العقيدة وتعاليم الرسالة، لأنه مع ورود هذا الخطاب الحاسم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يبقى مجال لتوهّم الكافرين والمنافقين بإمكانية مداراته لهم وزيغه عن طاعة الله. كما يكون تحذيراً لغيره من المسلمين أن لا يفكروا بمداراة هؤلاء على حساب دينهم.

﴿مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾(٤).

س ٥٩٩ ـ ما هي الفائدة من بيان ذلك مع وضوحه لجميع الناس؟

ج ـ كأنّه إشارة إلى انّ لكل إنسان موقفاً وعقيدة واحدة محدّدة، لأنّ له عقلاً واحداً، ولا يمكن الجمع بين الاتجاهات والأفكار المتضادة كالإيمان والكفر.

وقيل: إن الآية نزلت في أبي معمّر ـ وهو من أحفظ العرب وأرواهم ـ وكان يقول: إنّ لي قلبين، أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمّد. فرُوي أنه انهزم يوم بدر، فمرّ بأبي سفيان، وهو معلّق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: ما فعل الناس؟ فقال: هم ما بين مقتول وهارب. فقال له: ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك؟ فقال: ما ظننتُ إلاّ أنهما في رجلي. فأكذب الله قوله وقولهم[1].

﴿...وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا...﴾(٦).

س ٦٠٠ ـ ما معنى هذا الاستثناء؟

ج ـ ذكر المفسّرون أن الآية بصدد بيان حكم إرث الأموال، وأنها نسخت حكم التوارث بالهجرة والمواخاة، وأثبتت أن الميراث بالقرابة، ومن كان أقرب إلى الميت فهو أحق بميراثه ـ وفق نظام الإرث المعروف ـ ثمّ استثنت ما يوصيه الشخص إلى غير قرابته، إذ من حقه الوصية لمن يشاء بثلثه على ما بيّنته النصوص.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٧ ـ ٨).

س ٦٠١ ـ ما هو الارتباط بين أخذ الميثاق من النبيين وبين محاسبة غيرهم؟

---

(١) الكشاف: ٣/ ٥٢٠.

ج ـ بعد أخذِ الميثاق من النبيين بتبليغ رسالاتهم لأممهم وقيام الحجة بذلك تُحاسَب الأمم، فيثاب المطيع ويعاقب العاصي، ومن دون إقامة الحجة لا يحاسبهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1].

﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ...﴾(١٠).

س ٦٠٢ـ كيف جاؤوا من فوقهم ومن أسفل؟

ج ـ قال الزمخشري: «﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قِبَل المشرق، بنو غطفان. ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أسفل الوادي من قِبَل المغرب، قريش..»[2].

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢٩).

س ٦٠٣ـ لماذا خصّ الوعد بالأجر العظيم ببعضهن فقط؟

ج ـ لأنّ البعض الآخر منهن لا يستحقّ ذلك الأجر العظيم رغم إسلامهن، وهذا بخلاف آية التطهير التي تحدثت عن أهل البيت عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3] فانها لم تقتصر على بعضهم، وذلك يؤيّد الرأي القائل أن المقصود من أهل البيت أصحاب الكساء دون أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) سورة الاسراء: ١٥.

(٢) الكشاف: ٣/ ٥٢٦.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(٤٥).

س ٦٠٤ـ ما معنى كون النبي شاهداً؟

ج ـ يشهد على الأمة بأنه قد أبلغهم الرسالة وأقام الحجة عليهم، لأن الله تعالى لا يعذّب الأمم إلاّ بعد إرسال الرسل وإقامة الحجة عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1]. فيشهد هؤلاء على أممهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ...﴾[2].

﴿... فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا...﴾(٤٩).

س ٦٠٥ ـ كيف قال: ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾والمرأة هي التي تعتدّ؟

ج ـ المقصود حساب العدّة، وهو يصح نسبته للرجل والمرأة، فالمطلّقة تحسب وتحصي عدّتها، والزوج يحسب عدّة مطلّقته ان كان لها عِدّة، وكذلك الأجنبي الذي يريد الزواج منها.

﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾(٥٢).

س ٦٠٦ ـ هل تقتضي الآية تحريم الزواج على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ من حين نزولها؟

---

(١) سورة الاسراء: ١٥.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

ج ـ النصوص وآراء المفسّرين في تفسير هذه الآية والجمع بينها وبين ما قبلها متفاوتة. والذي يبدو من ملاحظة نفس الآيات أنه بعد ذكر النساء المحلَّلات له صلى الله عليه وآله وسلم، بالمساواة بين أزواجه في «القَسَم» أي حق المبيت. جاءت هذه الآية لتحدّد زيجاته والنساء المحلّلات له، ولذلك جاء التعبير عنهن بالضمير «بهنّ» ليكون مرجعه المحلَّلات اللاتي ورد ذكرهن قبل آيتين. ولعلّ هذا التحديد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتخليصه من بعض الحرج الاجتماعي وغيره الذي كان يواجهه صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً لعقد زيجات جديدة، كما أشير إليه في بعض المصادر التأريخية[1]. والله العالِم. وقد تضمنت بعض النصوص وجهاً آخر للتفسير[2].

﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ...﴾(٥٥).

س٦٠٧ ـ ماهو الأمر الذي لا جناح عليهن مع هؤلاء؟

ج ـ بعد أن فرضت الآية السابقة أن يكون الحديث مع أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وراء الحجاب، استثنت هذه الآية حديثهن مع المحارم، فلا يجب أن يكون من وراء حجاب.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٧٢).

س ٦٠٨ ـ كيف تعرض الأمانة على هذه الأشياء وكيف تأباها وتشفق منها؟

(١) يراجع الميزان: ٢٣/ ٣٤٢. نقلاً عن الكافي.

(٢) يراجع الكافي: ٥/ ٣٨٧.

ج ـ الأمانة هي المسـؤولية، وتحميلُ المسـؤولية وحملُها لا يقبلان الرّد والرفض، فلا يراد أنه تعالى قد عرض الأمانة عليها، ورفضت هي تحمّلها، بل كأنّ المقصود بيان ثقل المسـؤولية الملقاة على كاهل الإنسـان، وأنها تنوء بحملهـا الجبال والسـموات والأرض ـ رغم عظمتهـا ـ من دون أن يكون هناك تحميل للمسؤولية ورفض منها بالفعل، فهو نظير قول العرب: «سألتُ الربْعَ وخاطبتُ الدارَ فامتنعتْ عن الجواب» بينما الإنسان رغم صغر حجم جسـمه أعظم من هذه الأشياء وقادر على تحمّل المسـؤولية الثقيلة، باعتبار إدراكـه وعقله القـادر على التمييز بين الحق والباطـل والخير والشر، إلاّ أنّه بالرغم من قدرته على تحمّل المسـؤولية لم يحسـن حملها جهلاَ وظلماً لنفسه.

ومـن خلال مـا ذكرناه يتضـح أن كونه جهولاً باعتبـار ظلمه وعدم التزامه بمقتضى المسؤولية لا بسبب تحمّله الأمانة. والله العالم.

اللهم اجعلنا ممن يتحمل المسؤولية ويحفظ الأمانة.

سورة سبأ

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً...﴾(١٨).

س ٦٠٩ ـ ما الفائدة لهم من جعل هذه القرى؟

ج ـ قيل: إن تجارة أهالي سبأ ـ وهم باليمن ـ مع الشام، فجعَل الله تعالى في طريقهم قرىً ليسهل عليهم السفر ويأمنوا فيه، لقرب المحطات والمنازل في الطريق.

﴿...حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾(٢٣).

س ٦١٠ ـ ما معنى: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾؟

ج ـ كشَف عنهم الفزع بحيث هدأت نفوسهم وأمكنهم جواب الملائكة الذين يسائلونهم.

﴿...وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(٢٤).

س ٦١١ ـ ما معنى التشكيك في تعيين المهتدي والضال؟

ج ـ إنـه ليـس تشـكيكاً، وإنما هـو من بـاب أدب المحـاورة، وطرح الاحتمالات المختلفة قبل الحوار، لتقريب الخصم من الموضوعية والوصول للحقيقة، واقناعه بأن هدف المتكلم بلوغ الحقيقة، لا الغلبة والخصام.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾(٥١ ـ ٥٣).

س ٦١٢ـ ما هو المكان القريب؟

ج ـ كأنّه إشارة إلى قبورهم التي يؤخذون منها للحساب، وأنها قريبة من الله تعالى وتحت سلطانه، ولذلك لا يفوت منهم أحد.

س ٦١٣ ـ ما معنى: ﴿التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾؟

ج ـ التناوش: بمعنى التناول. وكأنّ الآية تشـير إلى أن الإيمان النافع أصبـح بعيداً عنهم بعد المـوت، فهم لا يتناولونـه ولا يبلغونه، لأنّ إيمانهم بعـد المـوت لا ينفعهـم، بعدما كفـروا بالله تعـالى في الحيـاة الدنيا وخسروا حظهـم وفرصتهـم حيث كان الإيمان النافع في متنـاول أيديهم، لأنهم بدلاً من الإيمان آنذاك اختاروا التشكيك والمكابرة واعتماد الظنون والتخرّصات البعيدة عن الواقع.

سورة فاطر

﴿... جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ...﴾(١).

س ٦١٤ ـ لماذا لم يقل: «اولي اجنحة اثنين وثلاثة وأربعة» ما دام المقصود جناحين وثلاثة وأربعة؟

ج ـ قال بعض المفسِّرين ان مثنى بمعنى « اثنين اثنين،وثُلاث بمعنى ثلاثة ثلاثة، ورباع بمعنى أربعة أربعة، أي في كل جانب جناحان أو ثلاثة أو أربعة، حسب أصنافهم.

وهناك وجه آخر وهو ان الآية بصدد بيان أصناف الملائكة ـ بحسب عدد أجنحتهم ـ كما تقول: دخل القوم المدينة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة، فانّه تصنيف لمجاميع الداخلين للمدينة، بعكس ما إذا قال: اثنين وثلاثة وأربعة، فانه يوهم الجمع بين الأعداد بدل التصنيف.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٦).

س ٦١٥ ـ كيف يقول: ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ مع أن الشيطان يغري حزبه وأتباعه

بأنهم المفلحون والرابحون لا من أصحاب السعير، وإلاّ لم يتبعه أحد؟

ج ـ هذه اللام تسمّى لام العاقبة، وهي التي تدخل على نتيجة ومآل العمل من دون أن يكون مقصوداً، فدعوة الشيطان لهم انتجت كونهم من أصحاب السعير، من دون أن يقصدوا ذلك، نظير قوله تعالى: ﴿... فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا...﴾[1] حيث كانت نتيجة التقاط آل فرعون لموسى عليه السلام أن كان لهم عدوّاً وحزناً، من دون أن يريدوه كذلك، إذ التقطوه ليكون لهم ولداً وقرّة عين.

﴿... وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾(٢٢).

س ٦١٦ ـ كيف لا يَسمعه من في القبور مع أن المؤرخين ذكروا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاطَب قتلى المشركين في بدر بعد أن وُضعوا في القليب، وعندما «قال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً قد جيّفوا؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني»[2]؟

ج ـ هذه الواقعة قضية خاصة شاء الله تعالى أن يسمع أولئك المشركون خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بينما الآية تتحدث عن الحالة العامة في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطابه ودعوته للناس، فانه موجّه للأحياء ولا يسمعه الأموات. ولعلّ المقصود بـ ﴿مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ الكافرون الذين لم يستمعوا

---

(١) سورة القصص: ٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ١٥٦.

لنـداء الإيمان من الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم فهـم في ذلك كالأمـوات. والله العالم.

﴿... وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾(٢٧).

س ٦١٧ ـ ما هي الجُدَد والغرابيب؟

ج ـ الجُدَد جمـع جُدَّة، بمعنى الطُرق، والغرابيب جمع غربيب بمعنى شديد السواد الذي يشبه لون الغراب. «قال الفراء: هي الطرائق تكون في الجبال كالعروق، بيض وسود وحُمر»[1].

﴿... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا﴾(٤٣).

س ٦١٨ ـ ما الفرق بين تبديل سُنّة الله وتحويلها؟

ج ـ التبديـل هو التعويض، والتحويل هـو تغيير محلّها وموضوعها. وكأنّ المـراد أنه ليس هناك من يعوِّض ويسـتبدل سـنّة الله، ولا مَن يحوِّلها، وأن هؤلاء لا يمكنهم الإفلات منها.

---

(١) مجمع البيان: ٨/ ٦٣٥.

سورة يس

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ* لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾(٥ ـ ٦).

س ٦١٩ ـ رجّح بعض المفسرين أن تكون «ما» نافية، والمعنى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بُعث ينذر قوماً لم يُنذر آباؤهم من قبل. وعلى هذا فيطرح هذا السؤال: كيف تنسجم فرضية ترك أبائهم من دون نذير مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (١) وكيف يحاسَب أولئك الآباء على كفرهم ما دام لم يُبعث لهم رسول وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (٢)؟

ج ـ أولاً: ان أولئك الآباء يمثلون أحد أو بعض أجيال الأمة، فعدم ارسال رسولٍ لهم لا يعني عدم وجود رسول للأمة بمجموع أجيالها، ففي الجزيرة العربية كان هناك عدة رسل، وقد انتشرت بينهم الحنيفية التي جاء بها إبراهيم الخليل عليه السلام قبل تحريفها فيما بعد، وآية سورة فاطر التي تحدثت عن النذير لكل أمة لم تتضمن الإخبار عن وجود نذير في كل جيل منها،

---

(١) سورة فاطر: ٢٤.

(٢) سورة الإسراء: ١٥.

فلا ينافيها عدم وجود نذير في بعض الأجيال السابقة على عصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولعلّ التعبير في الآية ﴿خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ يؤكد كفاية تقدم النذير على بعض الأجيال.

وثانياً: إن الهدف من بعثة الرسل إقامة الحجة على الأمم، ويكفي في إقامة الحجة على الأجيال المتعاقبة وجود رسول في بعضها، ولا يتوقف إقامة الحجة على وجود رسول في كل أمّة، والآية الكريمة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ لم تتضمن بعثة الرسول لكل أمة، بل مجرد بعثة الرسول التي تتم به الحجة، وإن كانت حجته قائمة على عدة أمم.

﴿... وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾(١٢).

س ٦٢٠ ـ ما هو الإمام المبين؟

ج ـ قيل: إنه الكتاب الظاهر الدال على علمه تعالى، وهو اللوح المحفوظ.

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ...﴾(١٩).

س ٦٢١ ـ ما معنى أن يكون طائرهم معهم؟

ج ـ الطائر: هو ما يتطيّرون ويتشائمون منه، وكأن المقصود أن سبب الشؤم ملازم لكم، وهو الكفر بالله تعالى.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾(٣٨).

س ٦٢٢ ـ ما هو المستقرّ الذي تجري له الشمس؟

ج ـ هو ما قدّر الله تعالى أن تستقرّ في جريانها له. ولعلّه ينطبق على ما يقوله علماء الفلك في العصر الحديث من اتجاه المجموعة الشمسية إلى «النسر الطالع» حيث تكون نهايتها بارتطامها به، وحينها تنتهي الحياة الدنيا. والله العالم.

سورة الصافات

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾(٢٧ ـ ٢٨).

س ٦٢٣ ـ كيف يقول هنا إنهم يتساءلون، بينما في سورة المؤمنون يقول تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ﴾[1]؟

ج ـ الناس عند الحشر لا يتساءلون ـ كما جاء في سورة المؤمنون ـ لأنّ لكلّ منهم يومئذ شأناً يعنيه ويشغله عن محاورة الآخرين، بينما بعد الحساب حيث يمتاز أهل اليمين عن أهل الشمال ويدخل كلٌّ من الفريقين مقرّه الدائم، يتساءل أهل الشمال ويعنّف بعضهم بعضاً، كما تحدثت آيات سورة الصافات هذه، وكذلك غيرها مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[2].

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾(٨٨ ـ ٨٩).

س ٦٢٤ ـ كيف يكون ابراهيم عليه السلام سقيماً، والسقم كناية عن الشك؟

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠١.

(٢) سورة ص: ٦٤.

ج ـ المتأمـل في هذه الآية وغيرهـا من الآيات التي تتحدث عن ذلك يلاحظ أنّها ليسـت بصدد بيان الحالة النفسـية أو الموقف الفكري لإبراهيم بقـدر ما تبيّن موقفـه الحواري ومحاجحتـه لقومه، فلم يكن شـكه حقيقياً، كيف! وقد حكى القرآن حواره معهم في آيات سابقة: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَـاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْـكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُـم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [(١)] وإنما هو الظهور بمظهر الشـاك والتزام الشـك في مقام الحوار، ليكون أبلغ في إقامة الحجة، وهو منهج مألوف لا يختص بإبراهيم عليه السلام، وقد أشار إليه القرآن الكريم في عدّة مواطن، كما في قولـه تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَـلالٍ مُّبِـينٍ﴾ [(٢)]. ولعلّه إلى هذا يشـير ما رواه العياشي باسـناده عن أبي جعفـر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالا: «والله ما كان سـقيماً وما كذب»[(٣)].

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾(١١٢).

س ٦٢٥ ـ لمـاذا ذكر البشـارة بإسـحاق ولم يذكر إسماعيل؟

ج ـ لعلّه باعتبار تقدُّم ذكره باعتباره الذبيح: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...﴾[(٤)] وهذاً مما يرجح أن الذبيح هو إسماعيل. وان البشارة بإسحاق جاءت بعد ذلك.

ومـمـا يشـهد بـأن الذبيح إسـماعيل أن الآيـات المذكورة تـدلّ على أن البشـارة بالغـلام الذبيح كانت بعد طلبه الذريـة ـ حيث كان عقيماً ـ ﴿رَبِّ

---

(١) سورة الصافات: ٨٥ ـ ٨٧.

(٢) سورة سبأ: ٢٤.

(٣) مجمع البيان: ٨/ ٧٠٢.

(٤) سورة الصافات: ١٠١ـ ١٠٢.

هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...﴾(١)، وحيث إن إسماعيل أكبر سناً من إسحاق، باعتبار أن سارة أم إسحاق عندما وجدت نفسها لم تنجب من إبراهيم عليه السلام، وهبت له جاريتها هاجر ـ أم إسماعيل ـ لتلد له غلاماً، فولدت له هاجر إسماعيل، فيكون هو الغلام الحليم المبشّر به والذي رأى في المنام أنه يذبحه.

«وقال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق أم إسماعيل؟ فقال: يا أصمعي أين ذهب عقلك، ومتى كان إسحاق بمكة، وإنما كان بمكة إسماعيل، وهو بنى البيت مع أبيه، والمَنحر بمكة، لا شك فيه» (٢) أقول: فيكون هذا شاهداً ثالثاً على كون الذبيح إسماعيل.

---

(١) سورة الصافات: ١٠٠ـ١٠٢.

(٢) مجمع البيان: ٨/ ٧٠٨.

سورة ص

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾(٣٢-٣٣).

س ٦٢٦ ـ كيف يفضّل نبيّ الله حبّ الخير ـ الخيل ـ على ذكر الله؟

ج ـ لم تتضمّن الآية ذلك، وإنّما تضمنت انّ سليمان انشغل بحبّ الخير، كمن يعرض عليه ما يشغله عمّا اعتاده من ذكر الله، من دون أن يفضِّله على ذكر الله، ولذلك تعدّى بـ(عن) فقال: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ باعتباره مضمَّن معنى الانشغال ولم يقل: على ذكر ربّي، حتى يدلّ على التفضيل.

كما انه لا دليل على أن المقصود من ذكر ربّه الذكرُ الواجب، فقد يكون ذِكراً مستحباً قد اعتاد عليه، ولا وجه لحمله على فوات الوقت الشرعي للصلاة الواجبة، لأن الشرائع مختلفة في أحكامها، فما هو واجب في الإسلام قد لا يكون واجباً في شريعة اُخرى.

س ٦٢٧ ـ لماذا عاقب الخيلَ بقتلها مسحاً بالسوق والأعناق مع أنها لا جرم لها؟

ج ـ هذا ليس من باب العقوبة لها، وإنما هو كبح لرغبته بإزالة السبب

الذي أشغله عن ذكر الله تعالى. ويدخل ذلك في ضمن وسائل تربية النفس.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الأَخْيَارِ﴾(٤٨).

س ٦٢٨ ـ لماذا قرَن ذكر إسحاق ويعقوب بإبراهيم وأخّر ذكر اسماعيل مكتفياً بوصفه من الأخيار، ألا يعني تفضيلهما عليه؟

ج ـ ذكر القرآن الكريم إسماعيل مقروناً بإبراهيم في عدة آيات مثل قوله تعالى: ﴿... وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ...﴾[1] ومجرّد تأخير ذكره في آية واحدة، لمناسبة معيّنة لا يعني تفضيلهما عليه.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أنّ خلوّ القرآن من تفضيل واضح لإسماعيل على إسحاق ـ رغم انتساب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى إسماعيل، والحسّاسية المفرطة التي يبديها اليهود وإصرارهم على تفضيل أبيهم إسحاق على إسماعيل الذي ينتسب له خصمهم نبي الإسلام وقومه ـ يشهد بارتباطه بالوحي الإلهي، كما قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[2].وأنه ليس من إنشاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم لدعم سلطانه، كما يدعيه أعداء الإسلام.

---

(١) سورة النساء: ١٦٣.

(٢) سورة النجم: ٣ ـ ٥.

سورة الزمر

﴿... وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ...﴾(٦).

س ٦٢٩ ـ ما معنى إنزال الأنعام؟

ج ـ هو إشارة لخلقها، ولعلّ التعبير عنه بالإنزال باعتبار كونه معلوماً لله تعالى قبل إيجاده وثابتاً في اللوح المحفوظ، كما تقول: «أنزلتُ الفكرةَ إلى الواقع».

س ٦٣٠ ـ كيف يقول: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ في إشارة إلى الزوجين من الأبل والبقر والغنم والمعز، بينما هي أربعة أزواج؟

ج ـ كلاّ، لأن الزوج هنا هو أحد الزوجين، قال ابن سيده: الزوج: الفرد الذي له قرين. ولذلك يقال للرجل والمرأة: الزوجان. وقد تقدم الحديث في ذلك مفصّلاً حول الآية (١٤٣) في سورة الأنعام. فراجع.

س ٦٣١ ـ ما هذه الظلمات الثلاث؟

ج ـ المروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنها ظلمات البطن والرحم والمشيمة[١].

---

(١) فتح القدير: ٤/ ٤٥.

﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...﴾(٢٣).

س ٦٣٢ ـ ما معنى قوله: ﴿مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾.

ج ـ كأنه إشارة إلى أن القرآن لا تضادّ ولا تنافر بين آياته وأجزائه، بل هي متشابهة ومتناسقة يُكمّل بعضها بعضاً، ويؤكده.

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلا رَّجُلا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا...﴾(٢٩).

س ٦٣٣ ـ ما هو المقصود من ضرب هذا المثل؟

ج ـ ضُرب هذا المثل للتفريق بين العبودية لشركاء متشاكسين والعبودية لواحد، حيث يكون الصلاح في الحالة الثانية والفساد في الحالة الأولى، بسبب تشاكس الموالي وصراعهم. فكذلك عالم التكوين لو كان مخلوقاً لأكثر من إله لفسد واضطرب. فيكون هذا إشارة إلى دليل النظام الدال على التوحيد.

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤٤).

س ٦٣٤ ـ كيف ينسجم حصر الشفاعة بالله تعالى في هذه الآية وفي آية سورة السجدة: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ﴾[(١)] مع اثبات الشفاعة لغيره تعالى في سورة يونس: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[(٢)].

---

(١) سورة السجدة: ٤.

(٢) سورة يونس: ٣.

ج ـ ليس هناك مناقضة بين الآية في سورة يونس والآيتين الاولى والثانية، فإنّ الآية الأولى جاءت ردّاً على الكافرين من عَبدة الأصنام الذين يتصوّرون أنّ الأصنام تشفع لهم يوم القيامة ﴿أَم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١).

فأولئك كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم من دون الله، فردّ عليهم تعالى بأنّ الشفاعة لله، وهو لا ينافي أن يُشفَّع لشفاعة بعض عباده المؤمنين فانّ شفاعة هؤلاء راجعة إليه تعالى وليست في مقابل شفاعته، ويصح نسبة فعل التابع الى المتبوع كما يقال: «الرئيس قتل فلاناً»، مع أنه لم يباشر القتل وإنما أمر به.

وكذا الآية الثانية ـ في سورة السجدة ـ فإنها جاءت ردّاً على الكافرين الذين كانوا يعبدون الأصنام من دون الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢).

وهي لا تنافي شفاعة الأنبياء وغيرهم من الأبرار بإذن الله تعالى، وقد حفل القرآن الكريم والسـنّة بالآيات والنصوص الدالّة على قبول الشفاعة بإذن الله تعالى، لأنّها ترجع إليه سبحانه (٣).

---

(١) سورة الزمر: ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) سورة السجدة: ٣ ـ ٤.

(٣) يراجع مسند أحمد: ١/ ٢٨١، و٢: ٢٧٥ و٣/ ٣١٣ و٢/ ٤٠٠ « و٣/ ٢٠ ... وأني أخرت عطيتي شفاعة لأمتي وان الرجل من أمتي ليشفع للفئام من الناس فيدخلون الجنة، ان الرجل ليشفع للقبيلة...» و٤/ ٤١٦ و ٥/ ٢٣٢. والبخاري: ٧/ ١٤٥. وصحيح مسلم: ١/ ١٣٠ و١٣١ و١٣٢. وسنن ابن ماجه: ٢/ ١٤٤. والسنن الكبرى: ٨/ ١٧، وغيرها، وهناك تعليق للنووي يصرح فيه بتواتر آثار الشفاعة وإجماع السلف والخلف عليها (شرح مسلم: ٣/ ٣٥).

س ٦٣٥ ـ كيف تنفي هذه الآية الشفاعة لغير الله بينما تضمنت آيات أخرى الشفاعة لغيره، كما في قوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ وكذلك النصوص الكثيرة المتضمنة شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره؟

ج ـ لا تنافي بين هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات والنصوص المثبتة لشفاعة النبي وآله وغيرهم، لأن هذه الآية جاءت ردّاً على الاستشفاع بالأصنام ونحوها من دون الله ومن دون إذنه، بينما النبي وآله (صلوات الله عليهم) يشفِّعهم الله تعالى، فشفاعتهم راجعة إليه وبإذنه تعالى. فليست هي الشفاعة من دون الله المنفية في هذه الآية.

سورة غافر

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾(١١).

س ٦٣٦ ـ ما هما الميتتان وما هما الحياتان؟

ج ـ الظاهر أن الموتة الأولى هي حالة الإنسان قبل حياته في الحياة الدنيا، والثانية هي موته ومفارقته للحياة الدنيا، وسمّى الأولى إماتة من باب التغليب ـ باعتبار أن الثانية إماتة ـ وهو شائع في كلام العرب. والحياتان أولاهما بإحيائه في الحياة الدنيا، والثانية بإحيائه بعد الموت، فتكون هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[1]. فسمّى حالة العدم قبل الحياة الدنيا موتاً لاشتراكهما في الآثار.

﴿...وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ...﴾(٢٨).

س ٦٣٧ ـ لماذا قال: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ مع أنه إذا كان صادقاً يصيبهم كلّ الذي يعدهم؟

ج ـ هذا التحذير من تصديهم لقتل موسى عليه السلام، كما هو ظاهر من قول مؤمن آل فرعون: ﴿... أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ...﴾ وليس

(١) سورة البقرة: ٢٨.

مرتبطاً بدعوتهم وحثّهم على الإيمان برسالة موسى عليه السلام كي يتضّمن تأكيد وقوع كلّ ما وعده موسى عليه السلام. فكأنّ مقصود مؤمن آل فرعون: أنكم إذا لم تؤمنوا برسالته وبالمعاد فتجنّبوا قتله حذراً من العذاب الدنيوي ـ الذي هو بعض ما وعده موسى لهم ـ الماحق الذي يصيب الأمم التي تقتل أنبياءها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ...﴾(٥٦).

س ٦٣٨ـ ما معنى عدم بلوغهم الكبر؟

ج ـ حيث كان خصامهم وعنادهم نتيجة استكبارهم عن الخضوع للحق ـ كما أكّدته كثير من الآيات ـ أشار هنا إلى انهم سوف لا يبلغون الشموخ الموهوم، لأنّ الله تعالى سوف يُذلّهم.

سورة الشورى

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ...﴾(٥).

س ٦٣٩ ـ لماذا كادت السماوات يتفطّرن؟

ج ـ إشارة الى عظمة الله تعالى والخضوع والخشية من جبروته. فهي نظير قوله تعالى: ﴿... وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

﴿... قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾(٢٣).

س ٦٤٠ ـ من هم ذوو القربى الذين تتحدث عنهم الآية؟

ج ـ هم عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وروي أنها لما نزلت قيل: «يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناها»[2]. وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انّه قال: «إنها نزلت فينا أهل البيت أصحاب الكساء»[3]. ولذلك لم يتحدث التأريخ أنه قد تمّ تطبيقها على غيرهم، مثل زوجاته.

---

(١) سورة البقرة: ٧٤.

(٢) الكشاف: ٤/ ٢٣٠.

(٣) مجمع البيان: ٩/ ٤٤.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾(٢٦).

س ٦٤١ ـ كيف قال: ﴿يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مع أن الذي يستجيب هو الله، والمؤمنون يستجاب لهم؟

ج ـ فاعل الاستجابة هو الله تعالى ومفعوله الذين آمنوا، لأن فعل الاستجابة كما يتعدى للموصول باللام يتعدى بنفسه أيضاً، قال ابن منظور: «... استجابه واستجاب له، قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار:

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى   فلم يستجبه عند ذاك مجيب »[1]

فقال: يستجبه، ولم يقل يستجب له. وكلاهما صحيح.

﴿...أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا...﴾(٥٠).

س ٦٤٢ ـ ما معنى تزويجهم الذُّكران والإناث؟

ج ـ معناه أن يجمع لهم في الذرية من الذكور والإناث. وليس المقصود من التزويج هنا الزواج.

﴿...مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ...﴾(٥٢).

س ٦٤٣ ـ كيف لا يكون النبي ـ محمد صلى الله عليه وآله وسلم عارفاً بالإيمان قبل رسالته مع أنه كان موحّداً لله تعالى؟

ج ـ الإيمان لا يقتصر على الاعتقاد بأصل التوحيد، بل هناك تفاصيل الصفات والمعاد وغيرها مما تجلّى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الوحي إليه.

(١) لسان العرب: ١/ ٢٨٢.

سورة الزخرف

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾(١٥).

س ٦٤٤ ـ كيف جعلوا له جزءاً؟

ج ـ من خلال ادّعائهم أن له ولداً، وكل ولد فهو جزء وبضعه من والده.

﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾(١٨).

س٦٤٥ ـ مَن الموصوف بهذه الصفة؟

ج ـ إنّه وصف للنساء ـ بشكل عام ـ حيث تنشأ البنت وتحاط بالزينة، وليس لها دور فاعل في ساحات الوغى والخصام عندما تكبر، فانها (ريحانة وليست بقهرمانة) ـ كما ورد في الحديث ـ . فمن كانت تلك طبيعته كيف يصطفيه الله تعالى ويستعين به على إدارة الكون ـ كما يزعمون ـ .تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. وهو ردّ على الكافرين الذين يزعمون أنّ الملائكة إناث تساهمن في إدارة عالم التكوين ويعنّ الله تعالى في ذلك.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾(٧٧-٧٨).

س ٦٤٦ ـ هل المخاطَبون في كلام (مالك) ﴿قَالَ

﴿...إِنَّكُم مَّاكِثُونَ...﴾ أهل النار فقط أو البشرية جمعاء؟

فـإذا كان المقصود بهـا البشرية جميعاً. فكيف يوجـه كلام إلى البشرية جميعاً وهو يخاطب أهل النار فقط؟

وإذا كان المقصـود أهـل النار فقط فلماذا اسـتخدم عبـارة ﴿**أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾ ولم يسـتخدم عبارة: (وكنتم للحق كارهون) حيث إن ن كلّ أهل النار كارهون للحق؟

ج ـ في تفسير هذه الآية وجهان ..

الأول : أن يكـون الخطـاب لأهل النار بما هـم بشر وليس بما لهم من خصوصيـة كونهـم عاصـين لله، كما تقـول لمجموعة مـن أهل بلـدة معيَّنة: «لقـد حذّرتكم ولكـن أكثركم لم يعتن بالتحذيـر»، وتقصدهم في الخطاب باعتبارهم أهل البلدة، لا بما هم تلك المجموعة الخاصة المذمومة.

الثـاني: أن يكون الخطاب لأهل النار، والتعبـير بالأكثرية باعتبار أن بعـض أهل النار لم يكرهوا الحق ولكن جهلهم وحمقهم جرّهم إلى النار كما ورد عـن الامام علي(عليه السـلام): «لا تقاتلوا الخـوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه».

فهناك أقلية من أهل النار لا يكرهون الحق، لكن جهلهم وتقصيرهم في البحث عن الحق أوردهم جهنم.

اللهم لا تجعلنا من الأخسرين أعمالاً: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾[1].

---

(١) سورة الكهف: ١٠٤.

سورة الدخان

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٣٢).

س ٦٤٧ ـ هل ان بني اسرائيل مفضّلون على كل الأُمم وفي كل العصور؟

ج ـ كلاّ، فانّ الآية تتحدث عن خصوص قوم موسى الذين فضّلهم على العالمين المعاصرين لهم كالأقباط والفرس وغيرهم.

ويمكن أن يكون المقصود من التفضيل تمييز بني إسرائيل بوفرة الأنبياء، حيث لا تشاركهم في هذه الفضيلة أُمة. وعلى كلّ حال ليس المراد من التفضيل سموّ ورفعة مقامهم، لأنّ الدين عند الله الإسلام، فمن دان بدين الله أفضل ممن أنكره عناداً وعاداه، ولذلك ذمّهم القرآن الكريم والنصوص كثيراً، بسبب كفرهم وكيدهم للإسلام وأهله.

وممّا يشهد بعدم إرادة رفعة المقام من التفضيل أنّ المسلمين لم يشكّوا في دينهم ولم يتوهّموا ذلك، كما أن اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحتجّوا على المسلمين بهذه الآيات.

﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(٥٦).

س ٦٤٨ ـ كيف استثنى الموتة الأولى مع أنها لا تكون في الجنة حتى يذوقوها؟

ج ـ قيل: ان الاستثناء هنا منقطع أي من المفهوم لا المنطوق، وذلك إنه حيث كان بصدد بيان سعادتهم في الجنّة فعندما نفى تذوّق الموت قد يُفهم منه عدم خطوره بالبال أيضاً، فاستثنى الموتة الأولى من هذا المفهوم، باعتبارهم يتذكّرونها، فكأنه قال: لا يذوقون فيها الموت ولا يخطر ببالهم إلاّ الموتة الأولى.

ويلوح وجه محتمل آخر: وهو أن يكون ذكر الاستثناء المذكور لغرض تأكيد عدم تذوّقهم للموت في الجنة، وهو اسلوب عرفي شائع. كما يقال للمريض ـ بعد إجراء عملية جراحية له ـ: سوف لا تحتاج إلى إجراء عملية جراحية أخرى إلاّ هذه العملية، وذلك بهدف حصر الحاجة بتلك العملية، وتأكيد نفي الحاجة لغيرها في المستقبل، ولعلّ هذا الوجه أرجح من الوجه الأول.

سورة الجاثية

﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١٤).

س ٦٤٩ ـ ما معنى أن يغفر المؤمنون للكافرين؟

ج ـ بـأن يتركوا خصامهم ويتحملوا أذاهم في الدنيا ـ في غير ظروف الصراع بين الحق والباطل ـ انتظاراً وإيكالاً لعذاب الله لهم في الآخرة.

س ٦٥٠ ـ لماذا جزم: ﴿يَغْفِرُوا﴾ والمفروض رفعه بثبوت النون، لأنه مقول القول؟

ج ـ كلاّ ليس هو مقول القول، بل المقول محذوف تقديره (اغفروا) أي «قل للذين آمنوا اغفروا يغفروا» كما دلّت عليه القرينة، وعلى هذا يكون جزم **﴿يَغْفِرُوا﴾** لأنه جواب الطلب المتقدم، وهو **﴿قل﴾** وذلك يستبطن أمرين:

الأول: أن الرسول لا يتوانى عن أمرهم بذلك تنفيذاً للأمر الإلهي إليه **﴿قل﴾**.

الثاني: ان من شأن المؤمنين طاعة الرسول عندما يأمرهم بالمغفرة والاعراض عن هؤلاء وتحمّلهم ويترتب على هذين الأمرين أن توجيه الأمر الإلهي للرسول **﴿قل﴾** يترتب عليه امتثال المؤمنين ومغفرتهم

وتحمّلهم لهؤلاء المنكرين للبعث.

س ٦٥١ ـ ما معنى أيام الله؟

ج ـ هي الأيام المنسوبة له تعالى باعتبار ظهور ملكه وسلطانه مثلاً، كيوم القيامة كما قال تعالى: ﴿...لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1].

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ...﴾(٢٤).

س ٦٥٢ ـ إن قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ اعتراف منهم بالحياة بعد الموت، فكيف قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ ؟

ج ـ كلاّ، لأن الواو لا تدلّ على الترتيب، يقصد هؤلاء الكافرون أنه لا توجد حياة أخرى غير هذه الحياة التي يولد بعضنا ويموت البعض الآخر فيها، أي يولد جيل ويموت جيل. فالمقصود من **﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾** هو موت جيل وحياة جيل آخر في الدنيا.

---

(١) سورة غافر: ١٦.

سورة الفتح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾(١ ـ ٣).

س ٦٥٣ ـ ما هو الارتباط بين الفتح على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصلح الحديبية أو فتح مكة ـ على اختلاف المفسّرين ـ وبين غفران ذنوبه؟

ج ـ الظاهر أنه ليس المراد من الذنب المعصية ـ كيف! وهو صلى الله عليه وآله وسلم معصوم من ذلك ـ إذ لا يتجه الربط بين الفتح الإلهي ـ الذي هو نعمة إضافية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبين غفران ذنبه. بل كأن المقصود من الذنب التبعاتُ والجرمُ الذي كان في أنفسهم بسبب أوهامهم وتخرّصاتهم عن رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته لهم، سواء القديمة منها عندما كان بين أظهرهم في مكة أم المتأخرة التي حدثت بعد الهجرة من مواقفه وحروبه معهم. فإن موقفه في صلح الحديبية واستعداده للسلم معهم واحترامه للبيت الحرام كشف عن زيف التهم والأوهام التي كانوا يحملونها عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن رسالته، فيكون ذلك غفراناً ـ من المغفرة بمعنى التغطية ـ وإزالةً لتلك التهم وكشفاً لزيفها. وبهذا الوجه ينسجم ذيل الآية مع مقدّمها

ويتضح الارتباط بينهما. ويتضح أنه لا يراد من الذنب المعصية لله تعالى.

﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ...﴾(٥).

س ٦٥٤ ـ ما هو الارتباط بين دخول المؤمنين الجنة وما قبله حتى جاءت لام التعليل؟

ج ـ بعد أن أنزل الله تعالى السكينة على المؤمنين فثبتوا وازدادوا إيماناً استحقوا رحمة الله وجنّاته وكفّر عنهم سيئاتهم.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(٩).

س ٦٥٥ ـ هل مرجع الضمائر في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾هو الله أو رسوله؟

ج ـ يمكن إرجاع الأولين للرسول، والأخير لله تعالى، ويمكن إرجاع الجميع لله تعالى، لأن التعزير بمعنى النصرة، فيكون نظير قوله تعالى: **﴿إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ﴾** (١)، والتوقير هو التعظيم، وقد ذمّ الله تعالى الكافرين بقوله: **﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾** (٢) أي لا تعظّمونه.

---

(١) سورة محمد: ٧.

(٢) سورة نوح: ١٣.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ...﴾(١٥).

س ٦٥٦ ـ كيف يبدّلون كلام الله بخروجهم؟

ج ـ روى المؤرّخون أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعد الذين خرجوا معه إلى الحديبية بعد الصلح أن يحصلوا على مغانم خيبر وخصّهم بها، فأراد المتخلّفون عن الحديبية أن يخرجوا إلى خيبر ليشاركوا في المغانم الموعودة خلافاً لما أراده الله تعالى وشرّعه.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١٨).

س ٦٥٧ ـ هل تدلّ هذه الآية على أنّ أهل بيعة الشجرة مرضيون عند الله تعالى مهما فعلوا بعدها؟

ج ـ الآية تدلّ على الرضا عنهم في موقفهم هذا، لا عن أشخاصهم وتزكيتهم مطلقاً، ولذلك قال: ﴿**إِذْ يُبَايِعُونَكَ**﴾ليكون بدل اشتمال ـ كما يسميه النحاة ـ نظير قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**﴾[1] أي اذكر وقت انتباذها لا اذكر شخص مريم، لأن الهدف التذكير بالحدث وما تضمّنه من آية ودلالة. ويؤكد ما ذكرناه تخصيص

---

(١) سورة مريم: ١٦.

الوعد الإلهي بالأجر والمغفرة ببعضهم في آخر هذه السورة: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِيـَن مَعَهُ أَشِـدَّاء عَـلى الْكُفَّارِ رُحَمَـاء بَيْنَهُمْ ... وَعَـدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]. مما يؤكدّ أن الرضا الإلهي كان عـن بيعتهـم، وليس فيه تزكية لأشـخاصهم وما يفعلونه في المسـتقل.

وعـلى كلّ حـال، فكان نتيجة موقفهـم المرضي هـذا أن أثابهم الفتح القريب والمغانم الكثيرة، بينما عاتبهم يوم حنين ـ بعد ذلك ـ حينما أعجبتهم كثرتهم وأخذهم الغرور فانهزموا: ﴿...وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَـيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[2].

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) سورة التوبة: ٢٥.

سورة ق

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾(١).

س ٦٥٨ ـ ما هو جواب القَسَم المذكور؟

ج ـ طبق القواعد النحوية يكون جواب القسم محذوفاً مدلولاً عليه بالآيات اللاحقة: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ...﴾.

﴿... فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾(٩).

س ٦٥٩ ـ ما هو حبّ الحصيد؟

ج ـ الحبّ الذي من شأنه أن يُحصَد كالحنطة والشعير، وهذا من باب إضافة الموصوف للصفة، مثل مسجد الجامع وحق اليقين، والمعنى: الحب الحصيد والمسجد الجامع والحق اليقين.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾(١٧).

س ٦٦٠ ـ من هما المتلقيان وماذا يتّلقيان؟

ج ـ هما الملَكان الملازمان للإنسان عن يمينه وشماله يتلقيان أعماله ويسجلانه. والقعيد كناية عن الملازم الذي لا يفارق.

﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(٢٢).

س ٦٦١ـ ما معنى أن يكون البصر حديداً؟

ج ـ أي حادّ النظر وثاقباً حيث يرى الكافر الحقيقة يوم القيامة من دون غشاوة.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾(٣٩ ـ ٤٠).

س ٦٦٢ ـ ما هذه التسبيحات وذكر الله في هذه الأوقات؟

ج ـ قيل الأولى صلاة الفجر، وقبل الغروب صلاتا الظهرين. وفي الليل صلاتا العشائين. وأما أدبار السجود، فهو تعقيب الصلوات، وقيل: إنه الوتر من آخر الليل، روي ذلك عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام[1].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(٤٥).

س ٦٦٣ ـ ما هو الجبّار؟

ج ـ الجبّار المتسلّط الذي يفرض الأمر فرضاً عليهم. والآية تشير إلى أن مسؤولية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي التبليغ وإلقاء الحجة، وليس هو فرض الإيمان على المجتمع جبراً وقسراً.

---

(١) مجمع البيان: ٩/ ٢٥٥.

سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾(١ ـ ٤).

س ٦٦٤ ـ ما معنى هذه الأمور التي أقسم بها؟

ج ـ عن الإمام علي عليه السلام أنه قال وهو على المنبر: سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي. فقام ابن الكوّاء فقال: ما الذاريات ذرواً؟ قال: الرياح (باعتبارها تذرو أي تُطير التراب ونحوه) قال: فالحاملات وقراً؟ قال: السحاب (لأنها موقَرة أي مثقَلة بالماء التي تحمله). قال: فالجاريات يسراً؟ قال: الفُلك (باعتبارها تجري على الماء جرياً سهلاً) قال: فالمقسِّمات أمراً؟ قال: الملائكة (لأنّهم مكلّفون من قِبل الله تعالى بتقسيم الأرزاق ونحوها) [1].

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾(٦).

س ٦٦٥ ـ ما معنى وقوع الدَّين؟

ج ـ الدَّين بمعنى الحساب أو الجزاء، وهو متحقق يوم القيامة.

---

(١) يراجع الكشاف: ٤/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾(٤٠).

س ٦٦٦ ـ ما معنى: ﴿مُلِيمٌ﴾؟

ج ـ المُليم: هو الذي يفعل ما يستحق اللومَ عليه.

﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(٤٧).

س ٦٦٧ ـ ما معنى الأيد؟

ج ـ الأيد: القوة والإحكام.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾(٥٩).

س ٦٦٨ ـ ما هو الذَّنوب الذي للظالمين ومَن يشاركونهم في الكفر من الأُمم السابقة؟

ج ـ الذَّنوب: هو النصيب، والمقصود هنا نصيبهم من العذاب.

سورة الطور

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾(١٠).

س ٦٦٩ ـ كيف يقول إنها تسير آنذاك مع أن آيات أخرى ذكرت أن من أشراط الساعة أن تُنسف الجبال وتكون كثيباً وكالعهن المنفوش، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[١] ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾[٢] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[٣]؟

ج ـ إنّ سيرها كناية عن زوال ثباتها واستحكامها، ويتحقق ذلك عند نسفها ودكّها، كما قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[٤] حيث جمع بين سيرها وكونها سراباً أي دمارها. فلا تناقض بين الآيات.

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾(٢٣).

س ٦٧٠ ـ كيف يتنازعون مع أنّ الجنّة لا نزاع

---

(١) سورة المرسلات: ١٠.

(٢) سورة المزمل: ١٤.

(٣) سورة القارعة: ٥.

(٤) سورة النبا: ٢٠.

فيها ولا تخاصم؟

ج ـ التنـازع هنـا بمعنى التجـاذب، كما يفعله المتسـامرون، من دون خصومة وعداء. قال ابن منظور: «وأصلُ النزع الجذبُ والقلع».

وقال أيضاً: «ومنازعة الكأس: معاطاتها. قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾ أي يتعاطون، والأصل فيه يتجاذبون»(١).

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾(٣٥).

س ٦٧١ ـ كيف يستنكر أن يكونوا خُلقوا من غير شيء مع أنّ الله تعالى أبدع الخلق لا من شيء؟

ج ـ هذا ردّ على ادعائهم بأنّ وجودهم لم يكن بإيجاد خالق ـ فالخلق هنا بمعنى الوجود ـ بينما وراء خلق الإنسـان وكلّ المخلوقات الأخرى الباري تعالى بما لَه من قدرة وإبداع وكمال. فـ(مِن) في الآية للسببية والمنشأ، لا لبيان أصل المخلوقات وحالتها السـابقة حتى يتنافى مع إبداع الخلق لا من شيء.

---

(١) لسان العرب: ٨/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

سورة القمر

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾(١).

س ٦٧٢ ـ لو كان القمر قد انشقّ في عهد رسول الله لرآه باقي الأُمم والشعوب، ولم يعرف ذلك في التأريخ؟

ج ـ لا دليل على عدم رؤية شعوب أخرى[١] لشق القمر. ومجرّد عدم ذكره في التأريخ غير الإسلامي لا يدل على عدمه، لأنّ التدوين والتوثيق لم يكن مألوفاً آنذاك، على أن جلّ الكتب والمصادر المدوّنة قد تلفت ولم تصل إلينا.

هـذا، وإنّ ذكـرَ هذه الآيـة المكية لشـق القمر شـاهد تاريخي قوي ـ بالنسبة لغير المسلمين فضلاً من المسلمين ـ على حدوثه، لأنّ المسلمين كانوا أقلية حديثي عهدٍ بالإسـلام في مكة، والمشركون يتربصون بهم، ويضيقون بهم ذرعاً حتى استخدموا معهم مختلف أساليب البطش والقسوة.

فكيف تتضمن الآية أمراً من شأنه أن يكون واضحاً للعيان، وهو لا واقع له؟! مما يوجب تشكيك الأقلية المسلمة المضطهدة في دينها ومحاججة المشركين لهم. بل إنّ الآية اللاحقة: **﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾**[٢] شاهد على أن المشركين لم يكذّبوا ذلك، وإنما فسّروه بالسحر.

---

(١) المقصود خصوص الشعوب التي كان القمر طالعاً عندهم حين حدوث هـذه الآية، ولم تكن في الجوّ عندهم علّة من مطر وغيم ونحوهما. وأما غيرهم فلم يظهر لهم شقّ القمر حتى يروه.

(٢) سورة القمر: ٢.

سورة الرحمن

﴿فباي آلاء ربّكما تكذبان﴾(١٣).

س ٦٧٣ ـ لماذا تكررت هذه الآية أكثر من مرة؟

ج ـ كأنه من باب التذكير بالنعم الإلهية الوفيرة، وتأكيد الحجة على الخلائق ليشكروها بمعرفة ربّهم والخضوع والطاعة له.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾(٣١).

س ٦٧٤ ـ كيف يقول: ﴿سَنَفْرُغُ﴾مع أن الله تعالى لا يشغله شيء عن شيء حتى يتفرّغ له؟

ج ـ جاء الفعل هنا بمعنى القصد، قال ابن الأعرابي ـ في تفسير هذه الآية ـ أي سنعمد، واحتجّ بقول جرير:

ولمّا اتقى القينُ العراقيَ باسته   فَرَغتُ إلى العبدِ المقيَّد في الحِجل

قال: معنى فرَغتُ أي عَمدتُ...[1].

---

(١) لسان العرب: ٨/ ٤٤٥.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾(٣٩).

س ٦٧٥ ـ كيف لا يُسألون عن ذنوبهم مع أنّ ذلك اليوم يوم الحساب والسؤال؟

ج ـ الظاهر أنّ المقصود الإشارة إلى عدم الحاجة للاستفسار منهم عن صدور الذنوب، لأنّ الأدلة الاثباتية متوفرة بحدّ الكفاية من دون حاجة لاستجوابهم، فأعضاؤهم وجلودهم تشهد عليهم، بالإضافة إلى سيماهم، كما قال تعالى لاحقاً: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾[1].

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾(٤٤).

س ٦٧٦ ـ هل يخرجون من جهنم إلى الحميم؟

ج ـ كلاّ، لأن الحميم في جهنم، وإنما المقصود الإشارة إلى توارد أصناف العذاب عليهم وتعاقبه، فهم بين نار وحميم. نعوذ بالله تعالى من غضبه وعقابه.

---

(١) سورة الرحمن: ٤١.

سورة الواقعة

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾(٨٢).

س ٦٧٧ ـ كيف يجعلون رزقهم التكذيب؟

ج ـ كان حظهم هو تكذيب المعاد وما جاء به الرسول، أو انهم كانوا يرتزقون بالتكذيب، حيث يحفظون مصالحهم ومقامهم في الدنيا بذلك بدلاً من الخضوع للحق والإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته.

﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٨٦ ـ ٨٧).

س ٦٧٨ ـ ما هو المقصود من هذا التحدي؟

ج ـ إنه تحدٍّ للكافرين الذين لا يؤمنون بالله تعالى، والمعنى: هلاّ ترجعون الأرواح إلى أصحابها ـ أو أرواحكم إليكم ـ إن لم تكونوا خاضعين لله تعالى وقضائه كما تزعمون. والله العالم.

سورة الحديد

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ...﴾(١٦).

س ٦٧٩ ـ أليست قلوب المؤمنين خاشعة لذكر الله؟

ج ـ ليس كلّ الصحابة والمؤمنين على درجة سواء، ولذلك اختلف الموقف منهم، وورد العتاب لبعضهم، والتحذير من الغفلة والقسوة. وعن أبي بكر أنّ هذه الآية قرئت بين يديه، وعنده قوم من أهل اليمامة، فبكوا بكاءً شديداً. فنظر إليهم فقال: هكذا كنّا حتى قست القلوب[1].

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(١٨).

س ٦٨٠ ـ كيف عطف الفعل ﴿أَقْرَضُوا﴾ على اسم ﴿إِنَّ﴾ والمفروض أن يكون المعطوف اسماً لا فعلاً؟

ج ـ كلاّ، إنّ الفعل ليس معطوفاً على اسم (إنّ)، بل اسم (إنّ) هو (أل) الموصولة، وصلتها اسم الفاعل (مصّدّقين) والفعل (أقرضوا)

---

(١) يراجع الكشاف: ٤/ ٤٧٧.

معطوف على صلة الموصول، لا على اسم الموصول نفسه.

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٢٣).

س ٦٨١ ـ كيف لا يأسى الإنسان على ما فاته ولا يفرح بما آتاه الله من النِعم؟

ج ـ إذا علم الإنسان أنّ كلّ ما يجري عليه بقضائه تعالى وقدره، وهو الكريم المحسن، لا تتعلق نفسه بما عنده ولا يكون أسير المادة، بل يأمل دائماً في كرم ربّه ووليّ نعمته، وهو الذي يعوّضه عما فاته بغيره أو بثواب الصبر. كما قال تعالى: **﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[1]. حيث لا حزن على ما فات، ولا خوف مما يأتي.

وعن الإمام علي عليه السلام: الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: **﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾** ومن لم يأسَ على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه[2].

(١) سورة يونس: ٦٢.

(٢) نهج البلاغة: ٥٥٣ ـ ٥٥٤ الحكمة رقم: ٤٣٩.

سورة المجادلة

﴿... وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٨).

س ٦٨٢ ـ كيف يتمنّون أو يطلبون عذاب الله تعالى؟

ج ـ إنما قال ذلك اليهود استهزاءً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي بسبب سوء أفعالهم وعدوانهم تجاهه صلى الله عليه وآله وسلم. فردّ عليهم القرآن بقوله: **﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**، لأنّ الله تعالى لم يقدّر مع رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عذاب المحق الدنيوي، كما كان بالنسبة لكثير أو أكثر الأمم السابقة التي كذّبت رسُلَها.

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...﴾(١٣).

س ٦٨٣ ـ كيف يتوب الله عليهم ولم يفعلوا معصية، بل شحّت أنفسهم فتركوا مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟

ج ـ التوبة هي العودة والإقبال بعد الإعراض، وليس من الضرورة أن يكون الإعراض بسبب المعصية، بل بسبب الشحّ والجهالة حيث

تركوا مناجاة الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم بسـبب ذلك. وهذه الآية من الموارد التي استُعملت فيهـا التوبة في مورد فعل مـا لا ينبغي مـن دون أن يكون هناك ذنب وعصيان لله تعالى.

هـذا، وقد ذكر المحدِّثون والمفسِّرون أنه لم يعمل بآية النجوى سـوى الإمـام علي عليه السلام، حيث روي عنه قولـه: إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي: كان لي دينار فصرفته، فكنتُ إذا ناجيته تصدّقتُ بدرهم. وعن ابن عمر: كان لعليّ ثلاث، لو كانت لي واحدة منهنّ كانـت أحبّ إليّ مـن حُمر النعم، تزويجه فاطمة، وإعطـاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى[1].

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(١٨).

س ٦٨٤ ـ كيـف يجـرؤون على الحلـف كذباً على الله يوم القيامة؟

ج ـ هـؤلاء هم المنافقون الذين اعتـادوا على الكذب في الحياة الدنيا، يكذبـون في الآخـرة جريـاً على تلـك الخصلـة الذميمة تخبطـاً وجهالة، كما يتشبث الغرقى بالخيط الرفيع طمعاً في النجاة، مع علمهم بعدم جدواه.

---

(١) الكشاف: ٤/ ٤٩٤.

سورة الممتحنة

﴿...يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ...﴾(١).

س ٦٨٥ ـ لماذا لم يقل (يخرجونكم والرسول) من باب الاختصار ؟

ج ـ قدّم ذكر الرسول تعظيماً لشأنه، حيث إن إخراجه أعظم وزراً من إخراج المسلمين.

﴿... وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...﴾(١٠).

س ٦٨٦ ـ إذا كان ابقاء الزوجة الكافرة محرّماً فكيف يفتي كثير من الفقهاء بجواز الزواج من الكتابية؟

ج ـ المنظور في الآية الكافرات المشركات لا الكتابيات.

﴿... وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ...﴾(١٢).

س ٦٨٧ ـ لماذا خصّ المعصية بالمعروف مع أن النبي لا يأمر بغير المعروف، فلا حاجة للتنصيص عليه؟

ج ـ لعلّ التنصيص عليه رعاية لحساسية المجتمع العربي تجاه

النسـاء ـ خاصـة إن المجتمـع المكي جديد عهـد بالإسـلام ـ فأكدت الآية عـلى أنّ طاعتهـن المفروضـة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إنـما هي في المعـروف، باعتبار أنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يأمر إلاّ به.

ومـن فوائد التنصيـص عل طاعتهن لـه بالمعروف غلـق المنافذ أمام الحمـلات الإعلاميـة المضلِّلة من جانـب المشركين ـ كما هـي العادة في كل صراع ـ كـي لا يشـيعوا أن الإسـلام يفـرض طاعة النسـاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تنفيذاً لهواه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾(١٣).

س ٦٨٨ ـ لماذا خصّ الكفار بالذكر، مع أنّ المؤمنين أيضاً لا يطمعون في الأموات ـ أصحاب القبور ـ ؟

ج ـ كلاّ، فـانّ المؤمنـين يعتقـدون ببعـث الأمـوات وإحيائهـم، بينما الكفار ينظرون إليهم كعظام نخرة بالية لا تعاودها الحياة.

سورة الجمعة

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾(٢).

س ٦٨٩ ـ إذا كان مبعوثاً في الأميين فكيف تكون رسالته عامّة لكل الشعوب؟

ج ـ إن تعدية البعث بـ(في) لا يعني اختصاص رسالته بهم، ولذلك لم يقل: (إلى الأميين). ومما يؤكد عدم دلالة الآية على حصر الرسالة بالأميين، أن سورة الجمعة نزلت في المدينة، حيث دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم اليهود فيها إلى الإيمان برسالته، مع أنهم أهل كتاب وليسوا من الأميين.

ولعلّ الذي دعا إلى التنصيص على (الأميين) كون الآيات هنا بصدد بيان مدى فضل الله تعالى ولذلك جاء التعبير هنا عن عرب الجزيرة بالأميين، باعتبار انتشار الأُميّة والبداوة فيهم، ولذلك عُرف مجتمعهم بالمجتمع الجاهلي.

فبعثُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم لتعليمهم وتزكيتهم بعد أن كانوا في ضلال مبين يؤكدّ الفضل الإلهي بحيث شمل الأميين من عباده وملاحظة هذه المناسبات والنكات كثيرة في الاستعمالات القرآنية من دون دلالة للآية على اختصاص بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخصوص أهل مكة أو عرب

الجزيرة، وهي ليست بصدد ذلك.

س ٦٩٠ ـ لماذا عطف الحكمة على الكتاب مع أنّ الكتاب يحتوي على الحكمة؟

ج ـ الحكمة تشمل مكارم الأخلاق ونحوها مما لا يعرف من الكتاب العزيز، بل تضمّنته السّنّة الشريفة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٦).

س ٦٩١ـ كيف يؤنّبهم على ذلك مع أنّ أكثر المسلمين الصالحين لا يتمنّون الموت؟

ج ـ إنما كان تأنيبهم على ادعائهم أنّهم أولياء الله وأحباؤه، فاحتج عليهم بأن ادعاءهم هذا وما يستتبعه من المكانة والحظوة والنعيم المزعوم الذين ينتظرهم لا ينسجم مع عدم تمنيّهم الموت، بينما المسلمون لا يدّعون أنهم أحبّاء الله، وإنما هم عباده ومسؤولون عن أعمالهم يوم القيامة ويعيش المؤمن حالة الخوف والرجاء.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(١١).

س ٦٩٢ ـ لماذا قدّم التجارة على اللهو في صدر الآية، وأخّرها عنه في آخرها؟

ج ـ لأن صدر الآية بمثابة الترقي في توبيخهم بينما ذيلها بمثابة

الترقي في تفضيل الصلاة.

توضيحه: أنه حيث كان صدر الآية بصدد نقد سلوكهم وبما أن التجارة أهم من اللهو بدأ بها مشيراً إلى أنّ بعضهم رجّح التجارة على الصلاة، ثم ترقى في التوبيخ حيث أشار إلى أن آخرين منهم قدّموا ما هو أدنى من التجارة وهو اللهو على الصلاة، فأنّ منهم من ترك الصلاة خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ عندما سمع طبول القوافل التجارية الداخلة إلى المدينة ـ بهدف التجارة، ومنهم من ترك الصلاة لمجرّد اللهو والمتعة، فكان مقتضى الترقي هنا تقديم التجارة على اللهو.

بينما في ذيل الآية حيث كان بصدد بيان القيمة الواقعية للصلاة، فضّلها أوّلاً على اللهو ـ الذي هو أدنى ـ ثم فضّلها على التجارة، وذلك هو المناسب للترقي في التفضيل، إذ لو فضّل الصلاة على التجارة لم يتوجه تفضيلها بعد ذلك على اللهو الذي هو أدنى من التجارة، بل يكون ذلك زيادة غير مناسبة.

سورة المنافقون

﴿... كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ...﴾(٤).

س٦٩٣ ـ كيف شبّههم بالخُشُب المسنّدة؟

ج ـ باعتبار أن من يؤمن بلسانه دون عقله مثل الهياكل والتماثيل التي لا روح فيها.

س٦٩٤ ـ لماذا قال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾؟

ج ـ لأن المنافق يعيش هاجس الفضيحة والخوف دائماً.

سورة التغابن

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ...﴾(٩).

س ٦٩٥ ـ لماذا سمي يوم القيامة بيوم التغابن؟

ج ـ لعلّه مأخوذ من الغَبْن بمعنى ضعف الرأي والسفاهة، حيث يستخفّ المؤمنون بما آل إليه مصير الفاسقين والكافرين.

سورة الطلاق

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ...﴾(٢).

س ٦٩٦ ـ إذا بلغن أجلهن وتمت العدّة فكيف يمكنه الرجوع بالمرأة وامساكها؟

ج ـ المقصود من بلوغ الأجل مشارفة نهاية العِدّة لا انتهاؤها. وكأنه لتاكيد حق الرجوع للمطلق إلى نهاية العدّة.

سورة التحريم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

س ٦٩٧ ـ كيف يغيّر النبي حكم الله فيحرّم الحلال إرضاءً لأزواجه؟

ج ـ المقصود من التحريم هنا مجرّد الاجتناب لا البناء على حرمته، كما يقال: حرّم فلان على نفسه الخضاب أي اجتنبه، ومجرّد اجتناب الحلال تجنّباً لمشاكل بيتيّة بسبب غيرة زوجته ليس معصية حتى لا ينسجم مع مقام النبوّة. وقد حثَّ الله نبيّه ـ من خلال الآية الكريمة ـ إلى تجاهل ضغوط زوجاته عليه من دون حق.

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا...﴾(١٠).

س ٦٩٨ ـ كيف يمسك النبي زوجة خائنة؟

ج ـ ليس المقصود بذلك الخيانة الزوجية، وإنما انضمامها إلى الكافرين ومواطأتهم، حيث قيل: إن امرأة نوح كانت تخبرهم بمن يؤمن به، وامرأة لوط كانت تخبرهم بضيوفه، فكان ذلك خيانة منهما.

سورة القلم

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾(٥،٦).

س ٦٩٩ ـ ما معنى : أيّكم المفتون؟

ج ـ قال الزمخشري: «المفتون: المجنون، لأنه فُتن أي محّن بالجنون، أو لأن العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن، وهم الفُتّان للفتاك منه، والباء مزيدة ،أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود، أي بأيّكم الجنون أو بأي الفريقين منكم الجنون...»[1].

والظاهر أن الإبصار مضمَّن معنى العلم واليقين، والمعنى انكم يوم القيامة تتيقنون بأيّكم المفتون أي بجواب هذا السؤال، وهذا يجري في كل مورد يتعلق العلم واليقين بجملة استفهامية ـ حيث لا ينسجم الاستفهام مع العلم ـ كما تقول: علمتُ بكم هذه البضاعة؟ أي علمت بجواب هذا السؤال، والمقصود أنك تعرف سعر البضاعة. وعلى هذا الوجه لا تكون الباء زائدة، ولا حاجة لتأويل الزمخشري المتقدّم.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾(١٦).

س ٧٠٠ـ ماذا تعني السمة على الخرطوم؟

---

(١) الكشاف: ٤/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦.

ج ـ إنها تعني الإذلال والهوان، حيث كان الأنف وسط الوجه والموضع المتقدم منه، فوسمه إذلال له، ولذلك كانوا يجدعون الأنف إذلالاً للشخص، ويقولون ـ للاستهانة بالشخص ـ برغم أنفه.

هذا، وإن في التعبير عن الأنف بالخرطوم مزيداً من الإهانة والاستخفاف.

﴿وَلا يَسْتَثْنُونَ﴾(١٨).

س ٧٠١ـ ما معنى: ﴿لا يَسْتَثْنُونَ﴾؟

ج ـ أي لا يعلِّقون قطف الثمرة والحصاد على مشيئة الله تعالى.

﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾(٢٥).

س ٧٠٢ـ ما معنى غدوّهم على حردٍ قادرين؟

ج ـ الحرد: المنع، والمعنى: أنهم جاؤوا للحصاد غداةً عازمين على منع الفقراء مع قدرتهم ـ بتخيلهم ـ على إعطائهم، فوجدوا جنّتهم محترقة. ويمكن أن يكون ﴿قَادِرِينَ﴾ من التقدير والتضييق لا بمعنى القدرة، أي عزموا على منع الفقراء مضيّقين ومقتّرين عليهم.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(٤٢).

س ٧٠٣ـ ما معنى الكشف عن الساق؟

ج ـ كناية عن شدة الأمر وفظاعة الموقف. قال عكرمة: سئل ابن

عباس عن قولـه: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ فقال: إذا خفي عليكم شيء في القرآن فابتغوه في الشعر، فانه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر: «وقامت الحرب بنا عن ساق» هو يوم كرب وشدة. وقال القتيبي: أصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه يشمّر عن ساقه، فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة..» (١).

س ٧٠٤ـ كيف يُدعَوْن إلى السجود يوم القيامة ولا تكليف آنذاك؟

ج ـ ليست هذه الدعوة دعوة تكليف، وقد تكون إشارة لدهشة الفاسقين وتسمّرهم آنذاك، فبينما يسبّح المؤمنون ويخضعون لله تعالى عندما يتجلى المُلك الإلهي لأهل المحشر: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(٢) ينتاب الفاسقين الهلع والذلّة كما قال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾(٣).

«وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالا في هذه الآية: اُفحم القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من الندامة والخزي والمذلة، وقد كانوا يُدعَون إلى السجود وهم سالمون أي يستطيعون الأخذ بما اُمروا والترك لما نُهوا عنه، ولذلك ابتُلوا» (٤).

---

(١) مجمع البيان:٩/ ٥٠٩.

(٢) سورة غافر: ١٦.

(٣) سورة القلم:٤٣.

(٤) مجمع البيان: ٩/ ٥١٠

سورة الحاقة

﴿وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾(٩).

س ٧٠٥ـ ما هي: ﴿الْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ ؟

ج ـ هي القرى المنقلبة بأهلها، في إشارة إلى قرى قوم لوط السبعة ـ كما قيل ـ.

﴿وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ﴾(٣٦).

س ٧٠٦ ـ ما هو الغِسلين؟

ج ـ هو الصديد الذي ينغسل بسيلانه من أجسام أهل النار[١]. وفي لسان العرب: «الغِسلين: كل جرح غسلتَه فخرج منه شيء فهو غسلين»[٢].

﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾(٤٥).

س ٧٠٧ ـ لماذا خصّ اليمين بالذكر؟

ج ـ كأنّ اليد اليمنى رمز لقوة الإنسان باعتباره أداة بطشه ـ عادةً ـ فأخذُها قضاءٌ على قوته وتعبير عن السيطرة عليه.

---

(١) يراجع مجمع البيان: ٩/ ٥٢١.

(٢) لسان العرب: ١١/ ٤٩٥.

سورة المعارج

﴿... فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٤).

س ٧٠٨ ـ كيف ينسجم تقدير اليوم بخمسين ألف سنة مع تقديره بألف سنة في سورتي الحج والسجدة: ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تعدّون﴾؟

ج : آيتا سورتي الحج والسجد هما:

١ ـ قوله تعالى في سورة السجدة: آية ٣ ـ ٦ : ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ * ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٢ ـ قوله تعالى في سورة الحج: آية ٤٧ : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

وهاتان الآيتان تتحدثان عن الحياة الدنيا وانّ اليوم عند الله يعدل ألف سنة لدى الإنسان على أساس حساب الأيام، وعلى هذا الأساس

جاء الردّ الإلهي على الكافرين الذين كانوا يستعجلون بالعذاب لتبيّن أن الحساب الإلهي يختلف عن حسابكم، وانّ ما هو بعيد عندكم قريب عند الله لأن اليوم عنده كألف سنة مما تعدّون أي أن ألف سنة عندكم التي ترونها بعيدة بمثابة يوم عند الله تعالى.

أما الآية التي تتحدث عن تحديد اليوم بخمسين ألف سنة فهي ضمن آيات سورة المعارج ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ**﴾.

وواضح من هذه الآيات أنّها تتحدث عن يوم القيامة، وقد روي عن ابي سعيد الخدري أنّه قال: قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم؟ فقال: والذي نفس محمّد بيده إنه ليخفّ على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا(١). وعلى كل حال، فلا تناقض بين هذه الآية التي تتحدث عن يوم القيامة مع الآيتين السابقتين اللتين تتحدثان عن الحياة الدنيا.

---

(١) مجمع البيان ٩/ ٥٣١.

سورة نوح

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاء لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٤).

س٧٠٩ـ لماذا قال: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاء لا يُؤَخَّرُ﴾؟

ج ـ كأنه لبيان أنّ إيمانهم إنّما يمنع عنهم عذاب الله لهم في الدنيا وتعجيل موتهم بالغرق، من دون أن يُخلّدهم، لأن المؤمن يموت في أجله المحدَّد الذي لا يتخلّف عنه.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً﴾(٢٤).

س ٧١٠ ـ لماذا دعا عليهم بزيادة الضلال؟

ج ـ بعد أن تمادوا في ضلالهم ويئس من إيمانهم دعا ربّه أن لا يزيد في أعمارهم ويقطع دابرهم، ولا يمهلهم إلاّ بمقدار تأكيد الحجة عليهم ـ حيث يزداد ضلالهم ـ وهي النتيجة الطبيعية لعنادهم وعدم خضوعهم للحجة فيستحقوا المحق والعذاب.

فنوح عليه السلام لم يطلب زيادة ضلالهم، وإنما مجرّد تأكيد الحجة عليهم الذي يترتب عليه زيادة عنادهم وضلالهم ـ بمقتضى اختيارهم السيء وطبيعة سلوكهم المنحرف ـ كي يستحقوا العذاب الإلهي في الدنيا والآخرة.

سورة الجن

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾(٣).

س ٧١١ ـ ما معنى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾؟

ج ـ الجَـد: العظمـة. قال الطـبرسي: «الجَدّ أصله القطـع. ومنه الجَدّ العظمـة، لانقطـاع كلّ عظمـة عنهـا، لعلوّها عليـه. ومنه الجَـدّ أبو الأب، لانقطاعه بعلوّ أُبوّته...»[١].

(١) مجمع البيان: ١٠/ ٥٥٣.

سورة المزمل

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾(١ ـ ٤).

س ٧١٢ ـ إذا كان المطلوب قيام نصف الليل أو قريباً منه، فيكون الباقي من الليل النصف، ونصف الشيء لا يعتبر قليلاً منه، فكيف قال: ﴿إلا قَلِيلًا﴾؟

ج ـ لعلّ ذلك باعتبار أن الليل هو وقت الاستقرار والراحة، فمع اقتطاع نصفه للصلاة والعبادة تكون حصة النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه للراحة قليلاً بملاحظة الوقت الطبيعي للنوم والراحة، خاصة أن ما تبقى منه للراحة هو أقلّ من النصف، إذ ينقضي شطر من هذا النصف في شؤون أخرى عامة أو خاصة كالطعام وقضاء بعض الحوائج واستقبال الضيوف وغير ذلك، فلا يبقى من هذا النصف للنوم والراحة سوى القليل.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾(١١ ـ ١٢).

س ٧١٣ ـ لماذا خصّ الوعيد بأولي النَّعمة منهم مع أنّ العذاب الإلهي والجحيم لكل كافر؟

ج ـ باعتبار أنّ دورهم في إفساد المجتمع وتضليله ومنعه من الإيمان أكبر من دور الآخرين، كما أن وطأة عداوتهم وإيذائهم كانت أشدَّ على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من غيرهم الذين لا يملكون إمكاناتهم وسطوتهم.

﴿السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولا﴾(١٨).

س ٧١٤ ـ لماذا لم يقل منفطرة به مع أنّ السماء مؤنث مجازي فيؤنث خبره؟

ج ـ السماء مما يؤنث ويذكَّر، ومن ذكّره أراد به معنى السقف.

﴿...وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ...﴾(٢٠).

س ٧١٥ ـ لماذا لم يقل (تحصوهما) باعتبار عود الضمير للّيل والنهار؟

ج ـ كأن المقصود إحصاء الوقت، لأنهم لم يَحّددوا الوقت المطلوب فيه القيام بالدقة، فيطيلون القيام احتياطاً. وفي ذلك مشقة لهم، فجعل قيام الليل طوعياً لا الزامياً، واكتفى بالحثّ على صلاة الليل.

سورة المدّثّر

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾(٥ ـ ٦).

س ٧١٦ ـ كيف يخاطب النبي بترك الرجز والمنّة مع أنه تارك لهما بالفعل؟

ج ـ مثل هذه الخطابات يراد منها بيان تعاليم الإسلام، ولا تعني نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشخصه عن فعل أو توجيه أمر له بالخصوص، فانّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عُرف تاريخياً بنبذه للأصنام ومكارم الأخلاق قبل نبوّته فضلاً عن موقفه الحازم تجاهها بعد نبوّته.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ﴾(٣٨ ـ ٤٠).

س ٧١٧ ـ لماذا استثنى أصحاب اليمين مع أنّهم مرهونون بأعمالهم أيضاً؟

ج ـ الرهن: الحبس، وأصحاب اليمين لم تحبسهم أعمالهم بل رفعتهم إلى الجنان، بالإضافة إلى الرحمة الإلهية والشفاعة التي ربما حررّتهم من تبعات بعض الأعمال أيضاً، على العكس من أصحاب الشمال المحرومين من الشفاعة والرحمة.

سورة القيامة

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾(١٦ ـ ١٩).

س٧١٨ـ ما هو الحدث الذي تشير إليه هذه الآية؟

ج ـ أشار المفسّرون إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يبادر بقراءة ما ينزل عليه من الآيات، وكأنه كان يحذر من فوات بعضها ـ كما يصنع كلّ من يهتم بحفظ نص من النصوص ـ فطمأنته هذه الآيات بعدم سهوه عما ينزل عليه، وأنه تعالى ضامن بتبليغ كلّ آياته بواسطة نبيّه إلى الأمة، وبالتالي فلا داعي لاستعجاله صلى الله عليه وآله وسلم وشدة حرصه.

وعن ابن عباس قال: فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا إذا نزل عليه جبريل عليه السلام أطرق، فإذا ذهب قرأ[1].

---

(١) مجمع البيان: ١٠/ ٦٠٠.

سورة الإنسان

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾(١٥).

س ٧١٩ـ لماذا قال: ﴿قَوَارِيرَا﴾ بالتنوين مع أنها لا تنوّن لامتناعها عن الصرف لأنها على وزن مصابيح؟

ج ـ القراءة المعروفة لهذه الآية بعدم التنوين، نعم عند الوقف عليها تلحقها الألف، لكنّ هذه ليست الألف التي هي تحلّ محلّ التنوين عند الوقف، وإنّما هي ألف الإطلاق كالألف في قول جرير:

يعود الفضل منك على قريش　　وتفرج عنهم الكرب الشدادا

فما كعب بن مامة وابن سعدى　　بأكرم منك يا عمرَ الجوادا

وهذه ليست بدلاً عن التنوين ولذلك لحقت بالمعرّف بـ«أل» الذي لا ينوّن.

سورة النازعات

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾(٦ ـ ٧).

س ٧٢٠ ـ لماذا تتكرّر النفخة؟

ج ـ الأولى تصعق الخلائق وتقوّض الكون، والثانية التي يعقبها بعث الخلائق، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاء اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١) .

﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾(٣٤).

س ٧٢١ ـ لماذا سمّيت القيامة بالطامة؟

ج ـ الطامة: كلّ ما عظم أو عَلا حتى غلب، وتسمّى الداهية التي تغلب وتطغى على ما سواها (٢)، وباعتبار أن القيامة هي الداهية التي ليس مثلها داهية، سميت بالطامة الكبرى تأكيداً.

---

(١) سورة الزمر: ٦٨.

(٢) يراجع لسان العرب: ١٢/ ٣٧٠.

سورة الأعلى

﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾(١٣).

س ٧٢٢ ـ كيف يخلو الإنسان من الحياة والموت؟

ج ـ ليس المقصود انعدام حياته، وإنما حيث كانت الحياة نعمة، فمن فقد النعمة في حياته التي تحوّلت إلى شقاء وعذاب شديد فكأنه فاقد للحياة، كما يوصف المريض الذي يشتد مرضه بأنه لا حيّ ولا ميّت.

ويمكن أيضاً أن يكون ذلك إشارة الى دوام العذاب والحالة التي يعيشها الشقي في النار، وأنه لا يواجه موتاً ولا حياة أخرى.

سورة البلد

﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(١ ـ ٤).

س ٧٢٣ ـ كيف ينفي القسم بالبلد مع انه أقسم به في سورة التين: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾؟

ج ـ الظاهر أن «لا» ليست نافية، بل في آية سورة «البلد» هناك قسَم بالبلد بقرينة القسم بالوالد وما ولد، حيث ان «لا أقسم» بمعنى لأُقسم وان الألف في «لا» هي إشباع للفتحة، نظير ما يذكره علماء العربية أنه يجوز أن تشير إلى الأنثى بقولك: «هذهي فاطمة»، وأصلها هذهِ لكنّ الكسرة أُشبعت فصارت ياءً، وعلى هذا الرأي فيكون هناك قسَمٌ بالبلد في كلتا السورتين ولا مناقضة بينهما.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾(١١ ـ ١٣).

س ٧٢٤ ـ كيف يكون عتق الرقبة وإطعام اليتيم والمسكين عقبة مع أنهما من أسباب رقي الإنسان وخيره؟

ج ـ لعلّ تسميتهما بالعقبة، لصعوبتهما على النفس، فيحتاجان إلى عزم وإرادة تتجاوز شحة النفس.

سورة الضحى

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾(٧).

س ٧٢٥ ـ كيف يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالضلال مع أنه كان موحّداً ويتعبد لله تعالى في غار حرّاء؟

ج ـ ليس المقصود ضلال العقيدة، وإنما هي الحيرة ولهفة العارف بربه ـ بفطرته وبصيرته ـ الذي يطمح أن يعرف طبيعة مسؤوليته تجاه ربِّه أو تجاه عباده الغافلين عنه، خاصة في مثل مجتمع الجزيرة العربية الجاهلي، كما انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يتلقّ بعدُ تعاليم ربه وأحكام شريعته، ولا كيفية هداية الأُمة وإرشادهم إلى ربّهم. فتكون هذه الآية نظير قوله تعالى: **﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾**[1] فيكون صلى الله عليه وآله وسلم بحاجة الى التوجيه الإلهي وهداه.

---

(١) سورة الشورى: ٥٢.

سورة التين

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ (١ ـ ٣).

س ٧٢٦ ـ ما هو طور سينين؟

ج ـ كأن المقصود منه الجبل الذي كلّم الله تعالى موسى عليه السلام عليه، ويسمى طور سيناء أيضاً. وهناك آراء أخرى لبعض المفسرين. والله العالم.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (٤ ـ ٥).

س ٧٢٧ ـ ما معنى أن يردّ الله الإنسان أسفل سافلين وكيف يفعل ذلك بعباده؟

ج ـ بعد أن خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وزوّده بالعقل القادر على الوصول إلى الحقيقة وتمييز الخير من الشر، وجعله حرّاً في تحديد مصيره، اختار اكثر البشر الانصياع للهوى فانحرفوا عن الطريق المستقيم فاستحقوا بذلك غضب الله تعالى وعقابه، فكان هذا المصير القاتم ـ الذي اوصلهم إليه سوء اختيارهم ـ هو ﴿اسفل سافلين﴾ ولم يُستثنَ من ذلك: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1].

---

(١) سورة التين: ٦.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (٧ـ٨).

س ٧٢٨ ـ ما هو ارتباط هاتين الآيتين بما قبلهما؟

ج ـ «الدين» هنا هو الحساب والجزاء يوم القيامة. وذلك بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن المؤمنين الصالحين الذين استثمروا عقولهم ونِعَمْ الله تعالى عليهم لسعادتهم وخيرهم، بينما الكافرون والفاسقون أضاعوا حظّهم فكان لابد من حساب في حياة أخرى ينال كل فريق منهم جزاءه وما يستحقّه من الثواب والعقاب، ولا يبقى حينئذ مجال للتكذيب بيوم القيامة والمعاد. ولذلك قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ حيث لا تضيع لديه الحقوق والظلامات مهما صغرت.

سورة القدر

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(١).

س ٧٢٩ ـ القرآن نزل متدرّجاً خلال عشرين أو ثلاثة وعشرين عاماً فكيف يكون مُنزلاً في ليلة واحدة؟

ج ـ قد يكون المقصود بداية تنزيله في ليلة القدر. وقيل إنه أُنزل إلى السماء الدنيا دفعة واحدة في ليلة القدر، ونُزِّل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال ثلاثة وعشرين عاماً. وقيل غير ذلك. وقد تقدم تفصيل ذلك عند الحديث حول الآية (٨٥) من سورة البقرة. فراجع.

سورة القارعة

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾(٨ ـ ٩).

س ٧٣٠ ـ ما معنى أن تكون أُمه هاوية؟

ج ـ قيل: إنه إشارة إلى أن الهاوية ـ جهنم ـ مأواه، كما يأوي الولد إلى أُمّه، ولذلك يقولون عند الدعاء على شخص: لأُمه الهبَل، قال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمرٍ شديد قيل هوت أُمه.

وقيل: إن المقصود من الأم أُمّ الرأس، لأن العاصي يهوي على أُمّ رأسه في النار [1].

---

(١) يراجع مجمع البيان: ١٠/ ٨٠٨ ـ ٨٠٩.

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ (١ ـ ٣).

س ٧٣١ ـ ما الفرق بين الربّ والإله؟

ج ـ الربّ هو المدبّر ، والإله هو المعبود وكأنه باعتباره الخالق لعالم الإمكان وما فيه فيستحق الخضوع والعبادة من خلقه. والله العالِم.

والحمد لله ربّ العالمين

تم الانتهاء من الإجابة على الشبهات والأسئلة القرآنية في الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة الأحد الموافق الرابع عشر من جمادى الثانية عام ١٤٢٣ هجرية، على مهاجرها وآله الصلاة والسلام.

سائلاً الباري تعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن ويجعله ذخراً لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، وأن ينفع به الباحثين والمتعلمين على سبيل النجاة. إنه أرحم الراحمين.

رياض الحكيم

بإمكان الأخوة الراغبين في الإجابة على الشبهات أو الأسئلة القرآنية الأخرى إرسال أسئلتهم على العنوان التالي:

info@alhakeem.com

المصادر

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ أسئلة القرآن الكريم واجوبتها: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٠)/ مطبعة مهر.

٣ ـ بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١). المكتبة الاسلامية ـ طهران/ الطبعة الثالثة: ١٣٧٤هـ. ش.

٤ـ بداية المجتهد: محمد بن احمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٩٥ هـ). مطبعة أمير: ١٤١٢/ الطبعة الاولى.

٥ ـ تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ منشورات مكتبة ارومية.

٦ـ تذكرة الخواص: سبط بن الجوزي.

٧ـ ترتيب كتاب العين: الخليل بن احمد الفراهيدي: اعداد الشيخ محمد حسن بكائي. طبع مؤسسة النشر الإسلامي/ الطبعة الأولى.

٨ـ تصحيح اعتقاد الإمامية: الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ). مطبعة أمير منشورات الرضي.

٩ـ تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون. مكتب الأعلام الإسلامي/ الطبعة الثانية.

١٠ـ تفسير العياشي: أبي نصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي. الطبعة الأولى ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١١ـ تفسير القرآن الكريم: لأبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي. أعاد جمعه وتأليفه عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين. مطبعة الهادي/ الطبعة الأولى.

١٢ـ التفسير الكاشف: الشيخ محمد جواد مغنية. دار الملايين / الطبعة الثالثة تموز ١٩٨٠.

١٣ـ التفسير الكبير: الفخر الرازي. دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الثالثة / بيروت.

١٤ـ تلخيص التمهيد: الشيخ محمد هادي معرفة. مؤسسة النشر الإسلامي/ الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ.

١٥ـ تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) تحقيق: السيد حسن الخرسان، مطبعة

خورشيد، الطبعة الرابعة/ ١٣٦٥ ش/ الناشر: دار الكتب الإسلامية.

١٦ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذي): أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ـ ٢٩٧هـ). دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

١٧ـ الجامع الصحيح: لابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ). المطبعة الإسلامية طهران/ الطبعة السادسة.

١٨ـ الدر المنثور: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) المطبعة: الفتح. جدة. الناشر: دار المعرفة/ الطبعة الأولى: ١٣٦٥

١٩ ـ شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني (٦٩٨ ـ ٧٦٩هـ). انتشارات ناصر خسرو ـ طهران.

٢٠ـ الطرائف: السيد ابن طاووس الحسني (ت: ٦٦٤ هـ) المطبعة خيام. قم/ الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ.

٢١ـ علل الشرائع: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ).

٢٢ـ علوم القرآن دروس منهجية: السيد رياض الحكيم. المركز الإسلامي المعاصر/ الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ.

٢٣ـ فتح القدير: (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير): محمد بن علي بن محمد الشوكاني: (ت: ١٢٥٠ هـ) المطبعة والناشر: عالم الكتب.

٢٤ـ فرائد السمطين: الحموي.

٢٥ـ في رحاب العقيدة: السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم. دار الهلال الطبعة الأولى.

٢٦ـ القاموس المحيط: ـ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٦ و٨١٧). دار الجيل ـ بيروت.

٢٧ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: الدكتور موريس بوكاي/ جمعية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس ـ ليبيا.

٢٨ـ الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (ت: ٣٢٨/ ٣٢٩). دار صعب، دار التعارف ـ بيروت / الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ.

٢٩ـ الكتاب المقدس العهد الجديد. اتحاد جمعيات الكتاب المقدس بيروت/ الطبعة الرابعة/ ١٩٩٢م.

٣٠ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جاد الحق محمود بن عمر الزمخشري.

٣١ـ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (٦٣٠ ـ ٧١١هـ). دار صادر.

٣٢ـ مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ). انتشارات ناصر خسرو/ الطبعة الثانية.

٣٣ـ مسند أحمد: الامام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ) المطبعة والناشر: دار صادر ـ بيروت.

٣٤ـ المشاركة (جريدة بغدادية)/ العدد التاسع/ ٢٣/ آذار/ ٢٠٠٤م الموافق ٢ صفر ١٤٢٥هـ.

٣٥ـ المعجم الكبير: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ).

٣٦ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)/ انتشارات زاهدي ـ قم.

٣٧ـ من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١). طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٨ـ الموطأ: مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ). مطبعة دار الفكر/ الطبعة الاولى.

٣٩ـ نهج البلاغة: الشريف الرضي: تحقيق الدكتور صبحي الصالح. منشورات دار الهجرة ـ قم.

٤٠ـ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي. المطبعة دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت/ الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ.

٤١ـ وسائل الشيعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ). دار الكتاب العربي ـ بيروت.

الفهرست

مقدمة ٥
دور القرآن.. ٧
سورة الفاتحة ١١
سورة البقرة.. ١٥
سورة آل عمران ٨٧
سورة النساء ١١٣
سورة المائدة.. ١٤٧
سورة الأنعام ١٦٩
سورة الأعراف ١٩٩
سورة الأنفال ٢١٧
سورة التوبة.. ٢٢٤
سورة يونس ٢٣٧
سورة هود ٢٤٧
سورة يوسف ٢٥٥
سورة الرعد ٢٦٣
سورة إبراهيم.. ٢٦٩
سورة الحِجر.. ٢٧٣
سورة النحل ٢٧٧

سورة الأسراء................................ ٢٨٧
سورة الكهف................................ ٢٩٧
سورة مريم ٣٠١
سورة طه ٣٠٥
سورة الأنبياء ٣١٥
سورة الحج ٣٢٤
سورة المؤمنون ٣٣٣
سورة النور ٣٣٧
سورة الفرقان................................ ٣٤١
سورة الشعراء ٣٤٥
سورة القصص................................ ٣٤٧
سورة العنكبوت ٣٤٩
سورة الروم................................ ٣٥١
سورة لقمان ٣٥٥
سورة السجدة ٣٥٩
سورة الأحزاب................................ ٣٦١
سورة سبأ................................ ٣٦٧
سورة فاطر ٣٦٩
سورة يس ٣٧٣
سورة الصافات................................ ٣٧٥
سورة ص................................ ٣٨١
سورة الزمر ٣٨٢

سورة غافر ٣٨٥

سورة الشورى ٣٨٧

سورة الزخرف ٣٨٩

سورة الدخان ٣٩١

سورة الجاثية ٣٩٣

سورة الفتح ٣٩٥

سورة ق ٣٩٩

سورة الذاريات ٤٠١

سورة الطور ٤٠٣

سورة القمر ٤٠٥

سورة الرحمن ٤٠٧

سورة الواقعة ٤٠٩

سورة الحديد ٤١١

سورة المجادلة ٤١٣

سورة الممتحنة ٤١٥

سورة الجمعة ٤١٧

سورة المنافقون ٤٢١

سورة التغابن ٤٢٣

سورة الطلاق ٤٢٥

سورة التحريم ٤٢٧

سورة القلم ٤٢٩

سورة الحاقة ٤٣٣

سورة المعارج ٤٣٥
سورة نوح ٤٣٧
سورة الجن ٤٣٩
سورة المزمل ٤٤١
سورة المدَّثر ٤٤٣
سورة القيامة ٤٤٥
سورة الإنسان ٤٤٧
سورة النازعات ٤٤٩
سورة الأعلى ٤٥١
سورة البلد ٤٥٣
سورة الضحى ٤٥٥
سورة التين ٤٥٧
سورة القدر ٤٥٩
سورة القارعة ٤٦١
سورة الناس ٤٦٣
المصادر ٤٦٥
الفهرست ٤٦٩

بمـوازاة اهتمـام الطبقـات المثقفـة بالقـرآن الكـريم وإقبالهـم عليـه ــ تزامناً مـع الصحوة الإسـلامية التي يشهدها العالم المعاصر ـ تزايد تكالب أعداء الإسلام علـى الطعـن فـي كتـاب الإسـلام الخالـد ومعجزته الكبرى من خلال تشكيك المسلمين بكتابهم وإثارة الشبهات حول آياته.

ومـن هنا ارتأيت القيام بمراجعة متأنية وشـاملة للقرآن الكريم، وجمع التسـاؤلات والشـبهات التي أثيرت أو قد تثار لدى القارئ المثقف، والإجابة عنها بما يتيسّـر لي من خلال مراجعة النصوص أو المصادر التفسـيرية أو مـا ترجّح فـي ذهني، مشـيراً إلى الوجـوه والدلائل الترجيحية ...

المؤلف